صاحبة الرواية الأكثر مبيعًا على قائمة نيويورك تايمز "في المنزل المجاور"

SHARI LAPENA

شاري لابينا

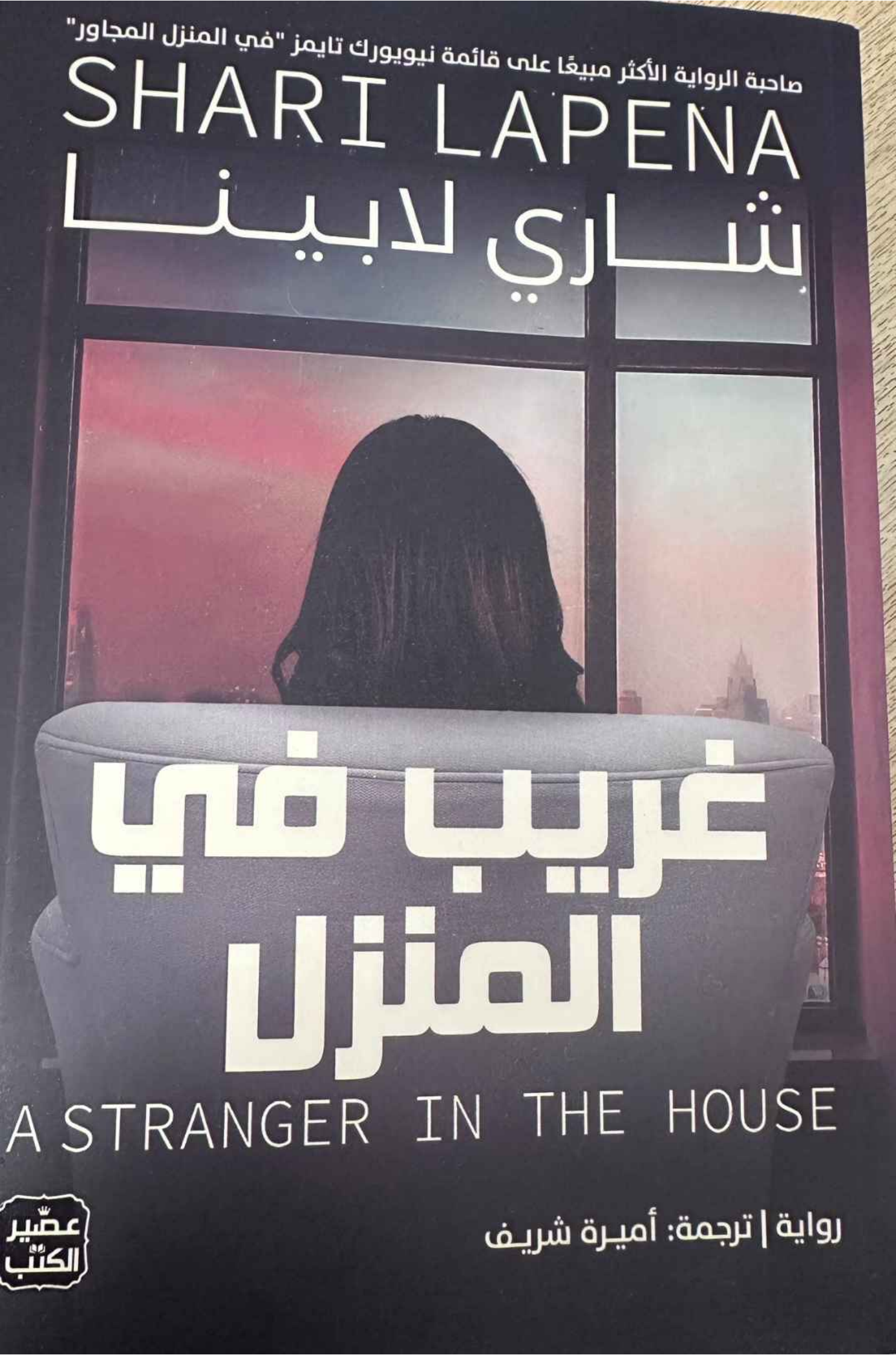

غريب في المنزل

A STRANGER IN THE HOUSE

رواية | ترجمة: أميرة شريف

عصير الكتب

توطئة

هذا المكان ليس مكانها.

تندفع خارجة من الباب الخلفي لذلك المطعم المهجور. تتعثر في الظلام، مصابيح الإضاءة معظمها محترق أو مكسور، تلتقط أنفاسها في لهثات متحشرجة حادة. تركض كحيوان مذعور إلى موقف سيارتها، بالكاد تعي ما تفعله. تتعثر عند فتح باب السيارة. تربط حزام الأمان دون تفكير، وتنعطف بالسيارة في صرير عنيف نتج عن دوران مزدوج للخلف، وتخرج مسرعة من باحة الوقوف، لتنحرف بتهور نحو الطريق دون أن تبطئ سرعتها. يلفت انتباهها شيء ناحية السوق التجاري على الجهة الأخرى، لا يتسنى لها وقت لتدرك ما تراه، لدى وصولها عند مفترق طرق. تنطلق قاطعة الإشارة الحمراء، بسرعة متزايدة. لا تُعمِل عقلها.

تنعطف باندفاع عند مفترق طرق آخر. تتجاوز السرعة القصوى، ولا تهتم. يجب أن تبتعد.

تقاطع آخر، إشارة حمراء أخرى. تعبر سيارات أمامها. لم تتوقف. اخترقت الطريق، وأخذت تدور حول سيارة اعترضتها، تاركة فوضى في إثرها. تسمع صرير المكابح والنفير الحاد خلفها. إنها تخاطر بفقدان السيطرة على السيارة. ثم تفقدها بالفعل -تعتريها لحظة فريدة من الوضوح، لحظة من الإنكار، بينما تضغط دواسة المكابح بلهفة، وتقفز السيارة المنزلقة فوق الرصيف، لترتطم مقدمتها بعمود كهرباء.

الفصل الأول

في هذه الليلة الحارة من أغسطس، أوقف توم كروب سيارته المستأجرة، طراز لكزس، في الممر الخاص بمنزله الأنيق ذي الطابقين. شُيِّد المنزل -المزود بمَرأَب يتسع لسيارتين- خلف حديقة رحبة، تطوقها أشجار بديعة عتيقة. يتقاطع الممر إلى اليمين، مع درب مرصوف بالحجارة أمام شرفة المدخل، ذات الدرجات القليلة التي تفضي إلى باب خشبي صلد، في منتصف واجهة المنزل. وعلى يمين الباب الأمامي، توجد نافذة ضخمة على اتساع غرفة المعيشة.

يقع المنزل في طريق منحنيةٍ سلسةٍ، مسدود آخرها. وتحظى جميع المنازل المحيطة به بالأناقة والجاذبية نفسها، وتتشابه تصاميمها. يعيش بها أناس مستقرون وناجحون؛ كلٌّ منهم معتد بنفسه بقدر ما.

تبدو هذه الضاحية الهادئة والثرية، الواقعة شمالي ولاية نيويورك، والمأهولة بأزواج لهم عائلات ووظائف مرموقة، لم تدركها مصاعب المدينة الصغيرة التي تحيط بها، أو حتى مصاعب العالم الكبير بأكمله. كأن الحلم الأمريكي ما يزال يحيا هنا، بهدوء ولطف.

لكن هذا الوضع الهادئ الوديع يتناقض مع حالة توم المزاجية. يطفئ المصابيح والمحرك، ويبقى جالسًا في قلق لبضع لحظات في الظلام، يزدري نفسه.

ثم ينتبه أن سيارة زوجته ليست في مكانها المعتاد بالممر. يتحقق تلقائيًا من ساعته، إنها التاسعة وعشرون دقيقة. يتساءل عمَّا إذا نَسِيَ تفصيلة ما. *هل* قالت إنها ستخرج؟ لا يستطيع تذكر أنها ذكرت أمرًا كهذا، في ظِل انشغاله مؤخرًا.

ربما خرجت لقضاء حاجة ما وستعود على الفور. تُضفي الأنوار التي تركتها مضاءة بالداخل، بريقًا مرحِّبًا على المنزل.

يترجل من السيارة، مبتلعًا خيبة أمله، في جوف ليلة صيفية، مفعمة برائحة العشب المنعش المجزوز. يتوق لرؤية زوجته بشدة. يتوقف للحظة، مبقيًا يده على سقف السيارة، وناظرًا باتجاه الطريق. ثم، يأخذ حقيبته وسترة بِذلته من المقعد المجاور، ويغلق باب السيارة بِوَهَن. يعبر المدخل ويصعد الدرجات الأمامية، ليفتح الباب. هنالك خطب ما. يحبس أنفاسه.

يظل ساكنًا مكانه عند عتبة الباب، ويده على المقبض. في البداية، يجهل ما يُشعره بالارتباك، ثم، يدرك ما هو. لم يكن الباب مقفولًا. ليس هذا بالأمر الغريب؛ ففي معظم الليالي، عندما يعود إلى المنزل، يفتح الباب ويدخل مباشرة، ليجد كارين بالداخل في انتظاره. لكنها ذهبت إلى الخارج بسيارتها، ونسيت قفْل الباب. لم يعهد أن تنسى زوجته ذلك، وهي مَنْ تحرص على إحكام غلق الأبواب. يزفر ببطء. *ربما خرجت على عجلة من أمرها وغَفلت عن* إغلاقه.

سرعان ما تعتاد عيناه الضوء في غرفة المعيشة المستطيلة الساكنة، ذات الفرش الأبيض والرمادي الفاتح. هناك صمت تام. من الواضح أن لا أحد بالمنزل. ما دامت تركت الأضواء، فلم يمر وقت طويل منذ خروجها. *ربما ذهبت لشراء حليب.* على الأرجح، تركت له ملاحظة. يُلقي مفاتيحه على الطاولة الصغيرة بجوار الباب، ويتجه رأسًا نحو المطبخ، في الجزء الخلفي من المنزل. إنه يتضور جوعًا. يتساءل عما إذا تناولَتْ طعامها، أم آثرتْ أن تنتظر عودته.

يبدو أنها كانت تعدُّ عشاءهما. السلطة مُعدَّة تقريبًا؛ فقد توقفت عن تقطيع بقية الطماطم. يتأمل لوح التقطيع الخشبية، والطماطم، والسكين المسنون بجانبه. توجد معكرونة على المنضدة الجرانيتية، جاهزة للطهي، وهناك إناء كبير مملوء بالماء، فوق موقد الغاز المصنوع من الستانلس ستيل. الموقد مُطفأ، وعند غمس إصبعه للتحقق، وجد الماء باردًا. يدقق النظر بباب الثلاجة. حيث لا توجد، من أجله، أي ملاحظات على السبورة البيضاء. يقطب

جبينه. يخرج هاتفه من جيب بنطاله، ليرى إذا ما فاتته رسالة منها. لا شيء. الآن، بدأ ينزعج حقًا. ربما أخبرته ولم ينتبه.

يفتح باب الثلاجة، ويقف أمامها للحظات، محدقًا إلى محتوياتها بعينين شاردتين، ثم يخرج زجاجة مستوردة من الجعة، ويباشر في تحضير المعكرونة. إنه أكيد من عودتها قريبًا. يبحث في فضول عما يُحتمل أنه نفد لديهم. لديهم حليب، خبز، صلصة معكرونة، نبيذ، وجبن بارميزان. يذهب لتفحُّص الحمَّام، ما يزال لديهم العديد من ورق الحمام. لا يخطر بباله أي شيء آخر، قد يحتاجان إليه على نحو عاجل. في أثناء انتظاره للماء حتى يغلي، يتصل بهاتفها، لكنها لا ترد.

بعد عدة دقائق، تصبح المعكرونة جاهزة، ولا أثر لزوجته بعد. يصفِّي المعكرونة من الماء، يتركها في المصفاة بحوض المطبخ، ويطفئ نار الموقد أسفل إناء صلصة الطماطم. ثم، يخرج ليذرع غرفة المعيشة جيئة وذهابًا، حتى نسي جوعه. يتطلع من خلال النافذة العريضة نحو الطريق، فيما وراء الحديقة. *إلى أين ذهبت بحق الجحيم؟*

ينتابه القلق. يتصل بهاتفها مرة أخرى، ويسمع ذبذبة خافتة آتِية من خلفه. يتلفت برأسه متعقبًا اتجاه الصوت، ليرى هاتفها، يهتزُّ على الأريكة. *اللعنة. نسيت أخذ هاتفها. كيف يتواصل معها الآن؟*

يبدأ البحث في جميع أرجاء المنزل عن أدلة حول المكان الذي يُحتمل أنها ذهبت إليه. في غرفة نومهما بالطابق العلوي، يُفاجَأ بحقيبة يدها قابعة على المنضدة الصغيرة عند جانبها من السرير. يفتحها بأصابع غشيمة، يعتريه ذنب طفيف لاضطراره تفقد حقيبة زوجته. هذه خصوصيتها. إنما هذه حالة طارئة. يفرغ محتوياتها على السرير المرتب. هذه محفظتها، كِيس الفكة، أحمر الشفاه، القلم، حزمة المناديل، توجد كل أغراضها هنا. *لم تذهب لقضاء حاجة إذن. لربما خرجت لمساعدة صديقة لها؟ بسبب حالة طارئة أو نحو ذلك؟* رغم ذلك، لأخذت حقيبتها معها، ما دامت ستقود السيارة. أليس عليها الاتصال به؟ أو إخباره من هاتف أحدهم؟ ليس من عادتها التصرف بِرُعُونة.

يجلس توم على حافة السرير منهارًا. تتسارع دقات قلبه. هناك أمر خاطئ. يعتقد أنه ربما عليه الاتصال بالشرطة. يفكر بماذا يخبرهم. *خرجت زوجتي من المنزل ولا أعرف أين هي. غادرت دون هاتفها وحقيبة يدها. كما نسيت أن تقفل الباب. هذه التصرفات ليست من طبعها تمامًا.* ربما لن يأخذوا

كلامه على محمل الجد، إذ لم تطُل مدة غيابها. كما لم يلحظ أي علامة على صراع، ولا شيء البتة في غير محله.

ينهض فجأة عن السرير، ليفتش المنزل بأكمله تفتيشًا حثيثًا. دون أن يلحظ أمرًا مُروعًا -لا توجد سماعة مرفوعة للهاتف الأرضي، لا نافذة مكسورة، ولا لطخة دماء على السجاد. ومع هذا، يتنفس بتوتر زائد كما لو وجد ما يبعث على القلق.

يتردد. ربما تعتقد الشرطة أنه حدث جدالٌ بينهما. لن يهتموا حتى لو أخبرهم أنهما لم يتجادلا، بل لم يحدث جدال بينهما قط. إن زواجهما يكاد يُعد مثاليًا.

بدلًا من إبلاغ الشرطة، هرول عائدًا إلى المطبخ، حيث تحتفظ كارين بقائمة أرقام الهواتف، وشرع في الاتصال بأصدقائها.

***

بينما يتطلع إلى الحُطام أمامه، يهزُّ الضابط كيرتون رأسه في إذعان. الناس والسيارات. لقد شهد حوادث أجبرت معدته على إفراغ ما بها بمجرد مرآها. أما هذه الحادثة، فليست بهذا السوء.

لم تُعرف هوية ضحية الحادثة بعد، غير أنها امرأة، ربما في أوائل الثلاثينات من عمرها. لا حقيبة يد، لا محفظة. إنما عُثر على تسجيل السيارة والتأمين في درج القفازات، باسم كارين كروب، الساكنة برقم 24 بطريق «دوجوود درايف». يجب عليها تقديم بعض الشرح، كما ستُوجه بعض المخالفات لها. أما الآن، فقد نُقلت في سيارة إسعاف إلى أقرب مشفى.

بقدر تصوره عن الحادثة، ووفقًا لأقوال الشهود، فقد أخذت تجوب الطرق بسرعة محمومة. اخترقت الإشارة واصطدمت السيارة هوندا سيفيك الحمراء بالعمود. إنها لمعجزة أنه لم يتأذَّ أحد آخر.

يفترض كيرتون، ربما قادت تحت تأثير مخدر ما. بوسعهم إخضاعها لفحص السموم.

يتساءل عما إذا سُرقت هذه السيارة. يسهل التأكد من ذلك.

مع أنها لا تبدو كامرأة سارقة للسيارات أو متعاطية للمخدرات. بل هي أقرب لربة منزل عادية. هكذا يظنُّها رغم الدماء التي تغطيها.

***

هاتف توم كروب عدَّة أصدقاء يعرف أن كارين تقابلهم في كثير من الأحيان. إذا لم تكن لديهم فكرة عن مكان وجودها، فلن ينتظر أكثر. سيباشر الاتصال بالشرطة.

ترتجف يده فيما يرفع سماعة الهاتف الأرضي. يعتريه اضطراب ممزوج بالخوف.

يأتيه صوت على الخط، يقول: «هنا النجدة 911. ما هي حالتك الطارئة؟».

***

ما إن يفتح توم الباب ويرى الشرطي واقفًا على عتبة منزله، ووجهه تسوده الجدية، يدرك أن أمرًا شديد السوء قد حصل. يصيبه شعور بالغثيان جراء فزعه.

يقول الشرطي، مشهرًا شارته: «أنا الضابط فليمنج».

ثم يسأل باحترام، في نبرة خافتة: «هل تسمح لي بالدخول؟».

يقول توم: «لقد وصلت بسرعة. لقد اتصلتُ بخط النجدة منذ بضع دقائق فقط».

يشعر أنه على أعتاب نوبة ذعر.

يردف الضابط: «لم آتِ بسبب مكالمتك للنجدة».

يقوده توم إلى غرفة المعيشة، ويتهاوى على الأريكة البيضاء الكبيرة، كما لو أن ساقيه توقفتا عن العمل، متحاشيًا النظر في وجه الضابط. يريد تأخير لحظة الحقيقة لأطول وقت ممكن.

لكن ها قد حانت تلك اللحظة. بالكاد يستطيع التنفس.

يقول الضابط فليمنج: «أرْخِ رأسك لأسفل».

ثم يضع يده بلطف على كتف توم.

يُميل توم رأسه نحو ركبتيه، ويشعر وكأنه سيفقد الوعي. يخشى أن نهاية حياته وشيكة. بعدها ببرهة، يتطلع لأعلى. ليست لديه فكرة عما سيخبره، رغم علمه أنه مهما يكن ما سيسمعه، لن يبشر بخير.

الفصل الثاني

اعتاد الفتيان الثلاثة -اثنان منهم في الثالثة عشرة، وواحد في الرابعة عشرة، بدأ الشعر ينبت على شفته العليا- التصرف بجموح. يكبر الأطفال بسرعة في هذا الجانب من المدينة. لا يمكثون بالمنزل حتى ساعة متأخرة من الليل، ولا يسهرون أمام شاشات الحاسوب لإنهاء فروضهم المدرسية أو يندَسُّون تحت أغطية أسِرَّتهم، بل يخرجون من منازلهم بحثًا عن المتاعب، ويبدو أنهم أمام إحداها.

- أنتما!

يهتف أحدهم، وقد توقف فجأة عند باب المطعم المهجور، حيث يذهبون عادة لتدخين الحشيش، عندما يتوفر بين أيديهم. يقترب الآخران، ثم يتوقفان يحدِّقان إلى الظلام.

- ما هذا؟

- أعتقد أنه رجل ميت.

- لا، اللعنة، أيها الشيرلوك!

تزداد حواسهم انتباهًا، يتسمَّرون في أماكنهم، خائفين من احتمال وجود شخص آخرَ هنا. لكنهم يدركون أن لا أحد غيرهم.

يضحك أحدهم بعصبية.

يتقدمون بدافع من الفضول، ليتأملوا الجثة الهامدة على الأرضية. إنه رجل ممدد على ظهره، ويوجد أثر طلقات نارية جليَّة على وجهه وصدره. قميص الرجل مضرج بالدماء أمامهم. لكن لم يتأثر أي منهم البتة.

يقول الفتى الأكبر: «أتساءل إذا ما كان يحمل شيئًا يدل على هويته».

يرُدُّ عليه آخر: «أشُكُّ في ذلك».

لكنَّ الولد البالغ من العمر أربعة عشر عامًا، يدسُّ يده بخبرة في جيب سروال الرجل الميت، ويخرج المحفظة، ويفتشها.

يقول مبتسمًا في سماجة، رافعًا المحفظة مفتوحة ليراها الآخران: «يبدو أننا محظوظون».

إنها منتفخة بالسندات، لكنَّ الظلام يصعِّب عليهم معرفة قَدْرها. ويسحب الهاتف الخلوي من الجيب الآخر للرجل الميت.

ثم يطلب منهما، فيما يبحث حوله عساه يحصل على مسدس: «خُذا ساعة يده وأغراضه».

يفكُّ أحد الفتية الساعة، ويكافح الآخر لينتزع خاتمًا ذهبيًّا سميكًا. يخرجه أخيرًا من إصبع الجثة، ويدَعه ينزلق في جيب بنطاله الجينز. ثم يتحسس رقبة الرجل بحثًا عن قلادة حولها. لا توجد واحدة.

يأمرهما الفتى الأكبر، من الواضح أنه القائد: «خُذا حزام بنطاله، وحذاءه كذلك».

على الرغم من أنهم سرقوا أشياءَ من قبل، لكن لم يسبق لهم أن سرقوا أغراض قتيل من قبل. استحوذت عليهم حَمِيَّة الإثارة، تتسارع أنفاسهم. لقد تجاوزوا الحد هذه المرة.

عندها يقول أكبرهم: «علينا الخروج من هنا. ولا تخبرا أي أحد».

يتطلع الفتيانِ نحو أطولهم ويومئانِ له في صمت.

يستطرد أكبرهم: «لا تتفاخرا أمام أي أحد بشأن ما فعلناه. أفهمتما؟».

يومئ الاثنان مرة أخرى بحزم.

- إذا سألكما أحد، فنحن لم نأتِ إلى هنا مطلقًا. هيا لنذهب.

يتسلل الفتية خارجين من المطعم المهجور على عجل، ومعهم أغراض الرجل الميت.

***

يستطيع توم أن يستنبط من نبرة صوت الشرطي، وتعابير وجهه، أن الخبر بالغ السوء. إن الشرطة تنقل الأخبار المأسوية للناس على الدوام. وحان دوره الآن. لكنه لا يريد أن يعرف. يرغب لو يعيد هذه الليلة مرة أخرى من البداية - يخرج من سيارته، يدخل من الباب الأمامي، يجد كارين في المطبخ تحضر العشاء. يريد أن يحيطها بذراعيه ويستنشق عطرها ويحتضنها بقوة. يريد أن تعود كل الأمور إلى النسق الذي يعهده. لو لم يتأخر في العودة للمنزل، لما اختلف شيء. ربما هذا خطؤه.

يقول له الضابط فليمنج بنبرة عميقة، وبعينين متعاطفتين: «أخشى أن حادثًا قد وقع».

لقد صحَّ استنباطه. يشعر بالخدر بأطرافه.

يسأله الضابط: «هل تقود زوجتك سيارة هوندا سيفيك حمراء؟».

لا يجيبه توم. لا يصدِّق ما يحدث.

يقرأ الضابط رقم لوحة الترخيص.

- أجل، إنها سيارتها.

يجيب توم بصوت غريب، كما لو أنه قادم من مكان بعيد. ينظر إلى ضابط الشرطة. يبدو الوقت وكأنما يمرُّ ببطء شديد. سيخبره بالأمر في أي لحظة. سيخبره أن كارين ماتت.

يقول الضابط فليمنج بلطف: «لقد أصيبتْ. ليس لدي علم بمدى سوء الإصابة. إنها في المشفى».

يغطي توم وجهه بيديه. لم تَمُتْ! أصيبتْ فقط، ومع هذا تغمره موجة من أمل طفيف، فلربما ليست إصابتها بالغة السوء. ربما ستتحسن سريعًا. يرفع يديه عن وجهه، يأخذ نفسًا عميقًا مرتجفًا، ويسأل: «ما الذي حصل لها بحق الجحيم؟».

يرُدُّ الضابط فليمنج بهدوء: «لقد شملت الحادثة سيارة واحدة، اصطدمت مقدمتها بعمود كهرباء».

يسأله: «ماذا؟ كيف يُعقل لسيارة أن تصطدم بعمود دون سبب؟ إن كارين سائقة ماهرة. لم تتعرض لحادث سير قط. لا بد أن شخصًا آخر تسبب بذلك».

يلاحظ توم التعبير المتحفظ على وجه الضابط. ما الذي يأبى قوله؟

يقول فليمنج: «لم تتوفر أدلة للتحقق من هوية السائق».

- لقد تركت حقيبتها هنا، وهاتفها أيضًا.

يفرك توم يديه على وجنتيه، في محاولة للتماسك.

يميل فليمنج رأسه إلى الجانب.

- هل تجري الأمور على ما يرام بينك وبين زوجتك، يا سيد كروب؟

ينظر توم إليه في ارتباك.

- أجل، بالطبع.

- لم تتجادلا، أو أن الأمور بينكما خرجت عن السيطرة؟

- لا! لم أكن حتى بالمنزل.

يجلس الضابط على مقعد وثير في مواجهته، وينحني إلى الأمام.

- حسنٌ، الملابسات لدينا أن هناك احتمالًا ضئيلًا أن السائقة لهذه السيارة، أي المرأة الذي تعرضت للحادثة، قد لا تكون زوجتك.

يقول توم مذهولًا: «ماذا؟ لماذا؟ ما الذي تقصده؟».

- لأنها لم تحمل ما يُعرِّف هويتها، لسنا متأكدين حاليًّا، إذا ما كانت زوجتك هي نفسها السائقة، وأن هذه سيارتها.

يبادله توم التحديق، عاجزًا عن النطق.

يوجِّه إليه فليمنج نظرات ذات مغزى، مستطردًا: «لقد وقعت الحادثة جنوبي المدينة، عند تقاطع «بروسبكت وديفيس درايف»».

يعترض توم: «مستحيل».

هذه إحدى أسوأ المناطق بالمدينة، التي يستحيل أن تذهب كارين إليها في وضح النهار، حتى تُضبط بمفردها هناك بعد حلول الظلام.

- هل لديك خلفية عن السبب الذي يضطر زوجتك، كارين، إلى أن تقود السيارة بطريقة متهورة -في سرعة محمومة وكسرٍ للإشارات الحمراء- في ذلك الجانب من المدينة؟

يتطلع إلى الضابط في عدم تصديق.

- ماذا؟ ماذا تقول؟ لا يمكن أن تذهب كارين إلى ذلك الجانب من المدينة، كما لم تتعدَّ الحد الأقصى للسرعة قط، لم تكسر إشارة حمراءَ قط.

يُرجع ظهره للوراء على الأريكة، وهو يشعر بفيض من الاسترخاء يسري داخله. يقول على وجه اليقين: «إنها ليست زوجتي».

إنه يعرف زوجته تمام المعرفة، وهي لن تُقدم على فعل شيء كهذا أبدًا. يبتسم بالكاد.

- إنك تقصد شخصًا آخر. لا بد أن امرأة ما سرقت سيارتها. الشكر للرب!

يتمعن في وجه الضابط، الذي ما يزال يرقُبه في اهتمام شديد. عندها يدرك الأمر ويتملكه الذعر ثانية على الفور.

- إذن أين زوجتي؟

الفصل الثالث

يقول الضابط فليمنج: «أريدك أن تأتِيَ معي إلى المشفى».

يشرد توم غير قادر على استيعاب ما يحدث، فيما يتطلع لأعلى نحو الضابط.

- أعتذرُ منك، ماذا قلت؟

- أريدك أن تأتي معي إلى المشفى في الحال. نحتاج إلى إثبات هوية الضحية في أسرع وقت. نحتاج إلى معرفة ما إذا كانت تلك المرأة التي بالمشفى زوجتك، وإذا ثبُت خلاف ذلك، سنحتاج إلى العثور عليها.

ثم يضيف: «لقد أخبرتني أنك أجريت مكالمة بخط 911. إذن، فهي ليست بالمنزل، وتعرَّضت سيارتها لحادثة».

يومئ توم على الفور، مستوعبًا الأمر.

- هذا صحيح.

يختطف محفظته ومفاتيحه، ويداه ترتجفان، بينما يتبع الضابط خارجًا إلى حيث أوقف المَركَبة المطلية بالأسود والأبيض في الطريق، ويجلس في المقعد الخلفي. يتساءل إذا ما يراقبه أحد من الجيران. يخطر على باله كيف قد يبدو، وهو يركب سيارة شرطة.

لدى وصولهما إلى مشفى الرَّحمة، يدخلان من بوابة الطوارئ، إلى حيث منطقة انتظار مزدحمة وصاخبة. يسير توم متخللًا الزحام بعصبية يمينًا ويسارًا، على أرضية رخامية مصقولة ملساء، فيما يبحث فليمنج عن أحد ليخبِرَهما بمكان ضحية حادث السير. ينتظره توم، ويتضاعف قلقه. جميع

مقاعد الانتظار مشغولة تقريبًا، وهناك مرضى على نقالات يصطفون بالبهو. يتحرك ضباط الشرطة وطاقم الإسعاف ذهابًا وإيابًا. ينهمك طاقم المشفى بالعمل خلف ستائر بلاستيكية سميكة شفافة. تتدلى شاشات تلفزيونية كبيرة الحجم من السقف، تعرض سلسلة من مقاطع الفيديو، حول الصحة العامة.

لا يعرف توم ماذا عليه أن يتمنى. لا يريد أن يكتشف أن المرأة المصابة هي كارين. ربما قد تأذّت بشدة. لا يطيق التفكير في هذا الاحتمال. على الرغم من أن عدم معرفة مكانها، هو أكثر ما يخشاه... *ماذا حدث الليلة* بحق الجحيم؟ أين هي؟

أخيرًا، يشير إليه فليمنج عبر البهو المزدحم. يهرع توم تجاهه. هناك ممرضة يبدو عليها الإرهاق واقفة إلى جواره. تقول بلطف، ناظرة إلى توم، ثم إلى فليمنج: «إنني آسفة. يجرون لها فحصًا بالرنين المغناطيسي بهذه اللحظة. ستضطران إلى الانتظار. لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا».

يُصِرُّ الضابط: «نحتاج إلى التعرف على هوية هذه المرأة».

تجيب الممرضة بحزم: «لن أقوم بمقاطعة فحص الرنين المغناطيسي».

ثم تلقي نظرة متعاطفة تجاه توم، فتقول: «هناك اقتراح، لدي الملابس والأغراض الشخصية التي ارتدتها عندما أُحضرت إلى المشفى. أستطيع أن أدعك تراها إذا شئت».

يعلِّق فليمنج ناظرًا إليه: «قد يساعدنا هذا».

يومئ توم.

- اتبعاني.

تقودهما عبر ممر طويل نحو غرفة مقفلة، تفتحها بمفتاح خاص. تنقب في خزائن محشوة بأغراض عدة، حتى تسحب حقيبة بلاستيكية شفافة عليها بطاقة، تضعها فوق طاولة معدنية. فيما تتعلق عينا توم بمحتوياتها. بداخلها بلوزة منقوشة يتعرَّفُها على الفور. تجتاحه موجة من الدوار. رأى كارين ترتديها هذا الصباح عندما غادر للعمل.

- أحتاج إلى الجلوس.

ثم يبتلع ريقه.

يسحب الضابط فليمنج كرسيًّا، ويتهاوى عليه توم محدقًا إلى هذه الحقيبة الشفافة التي تحتوي على أغراض زوجته. ترتدي الممرضة قفازًا طبيًّا، وتشرع في إخراج المحتويات برفق على الطاولة - البلوزة المنقوشة، البنطال الجينز، حذاء الركض. توجد دماء متناثرة على البلوزة والبنطال. يشعر توم برغبة في التقيؤ، لكن يبتلع ريقه سريعًا. تلطخ الدماء حمالة صدر زوجته والسروال الداخلي. وهناك حقيبة صغيرة منفصلة مغلقة بسحاب منزلق، بها خاتم الزواج وخاتم الخطوبة، وعقد ذهبي مرصع بماسة وحيدة، أهداه لها في الذكرى الأولى لزواجهما.

يتطلع لأعلى غير مصدق نحو الضابط الواقف بجانبه، ويقول في وَهَن: «هذه أغراضها».

***

بعد وقت قصير، يعود الضابط فليمنج إلى مركز الشرطة، ويلتقي بالضابط كيرتون في قاعة الطعام. يحملانِ قدحي القهوة، ويبحثانِ عن مكانٍ للجلوس.

يقول كيرتون: «إذن فالسيارة لم تُسرق. قادت هذه المرأة سيارتها بنفسها بتلك السرعة. ما هذا الهراء؟».

- لا يبدو الأمر منطقيًّا.

- لا بد أنها كانت في منتهى الانتشاء.

يرتشف فليمنج رشفة من قهوته، ويهزُّ رأسه.

- إن الزوج في حالة صدمة. حالما عرف بموقع الحادثة وكيف وقعت، لم يعتقد أنها زوجته. كاد يقنعني أن شخصًا آخرَ فعلها بالتأكيد. لقد بدا مذهولًا تمامًا عندما تعرَّفَ ملابسها.

يقول كيرتون: «هناك الكثير من ربات البيوت مثلها ممن لديهن عادة تدخين المخدرات سرًّا، دون معرفة أزواجهن. ربما لهذا السبب ذهبت إلى ذلك الطرف من المدينة، انتشَت ومن ثَمَّ فقدت زمام نفسها في أثناء القيادة».

- محتمل.

يُمسِك فليمنج عن الكلام هنيهة، ليأخذ رشفة أخرى، ويكمل: «لا يمكنك معرفة ما الذي يجري في حياة الناس».

ما زال يشعر بالسوء حيال الزوج الذي يبدو كمَن تلقى ضربة قوية في معدته. لقد شهد الكثير خلال سنوات عمله في الشرطة، ويعلم أن أقل الأشخاص توقعًا، يخفون مشكلات خطيرة خاصة بتعاطي المخدرات، ويتسترون وراء مظاهر زائفة لحماية عاداتهم. لدى أناس كثيرين أسرار بغيضة.

يهزُّ فليمنج كتفيه. يرتشف الرشفة الأخيرة، وينهي قهوته.

- عندما نتمكن من مقابلتها، ربما تطلعنا على ما كانت تفعله بحق الجحيم. إنني متأكد أن زوجها يريد أن يعرف أيضًا.

***

لم يزل توم بصالة انتظار الطوارئ، يذرع مكانه جيْئةً وذهابًا في اضطراب منتظرًا. يحاول أن يتذكر أي أمر مختلف أو غير اعتيادي طرأ على زوجته خلال الأيام القليلة الماضية. لا يمكنه التفكيرُ في شيء، غير انشغاله بالعمل طوال أيام. أتراه غفل عن أمر ما؟

ماذا كانت تفعل في ذلك الجانب من المدينة؟ وعلى استعجال؟ إن ما أخبره به الشرطي عما فعلَته الليلة، لهُو أمرٌ مخالف لطبيعتها على نحو لا يستطيع الاقتناع به. وكذلك... إنها بالداخل مع المعالِجين. بمجرد أن يتمكن من الحديث معها، سيستفهم منها، بعدما يخبرها كم يحبها.

لا يسعه التوقف عن التفكير في أنه لو عاد للمنزل في وقت مبكر، مثلما وجَب أن يفعل، بدلًا من أن...

- توم!

يستدير عند سماع اسمه يُنادى. لقد اتصل بشقيقه، دان، عندما وصل إلى المشفى، وها هو يتقدم باتجاهه، ووجهه الصبياني يشوبه القلق. لم يشعر توم بالامتنان عند رؤية أحد طوال حياته من قبل.

يهتف توم بارتياح: «دان».

يتعانق الأَخَوان هنيهة ثم يجلسان على كرسيَّيْن متقابلين من البلاستيك الصلب بعيدًا عن الزحام. يوليه توم كامل انتباهه. إنه لغريب عليه أن يلجأ إلى أخيه الأصغر من أجل الحصول على دعمه. عادة ما تجري الأمور على عكس ذلك.

يُنادى عليه بصوت عالٍ عبر ردهة الانتظار: «توم كروب».

ينهض من فوره، ويسرع الخطى نحو الرجل ذي المعطف الأبيض، يتبعه دان.

يقول توم متلهفًا: «إنه أنا».

- أنا الطبيب فولتون، المعالج المسؤول عن زوجتك.

يتحدث إليه الطبيب بنبرة واقعية أكثر منها ودودة.

- لقد عانت صدمةً برأسها جراء الحادثة. أجرينا لها فحصًا بالرنين المغناطيسي، لديها ارتجاج خطير، لكن لحسن الحظ، لا يوجد نزيف بالمخ. إنها محظوظة للغاية، إذ إن إصاباتها الأخرى طفيفة نسبيًّا، أنف مكسور، وكدمات وجروح. لكنها ستتحسن.

يهتف توم، متنهدًا بارتياح: «شكرًا للرب».

تغرورق عيناه بالدموع ناظرًا إلى أخيه. يدرك لحظتها لأي مدى كتم انفعاله.

يومئ له الطبيب.

- لقد أنقذ حياتها حزام الأمان والوسادة الهوائية. ستتألم لفترة من الوقت، وستعاني صداعًا شديدًا، رغم هذا ستتحسن مع مرور الوقت. عليها ألا ترهق نفسها. ستوضح لك الممرضة كيفية التعامل مع حالة الارتجاج.

يومئ له توم بدوره سائلًا: «متى يمكنني رؤيتُها؟».

يجيبه: «يمكنك أن تراها الآن، فقط أنت، في الوقت الحالي، لكن لمدة قصيرة. لقد نقلناها إلى الطابق الرابع».

يقول دان: «سأنتظر هنا».

مجرد التفكير في رؤية كارين، يُشعِر توم بوخز من الذعر مجددًا.

الفصل الرابع

لا يمكنها الحراك. تتأرجح بين الوعي وعدمه. كلما تسترد وعيها يتفاقم الألم. تتأوه.

تحاول جاهدة، -يبدو أن ذلك يتطلب منها طاقة هائلة-، تضغط عينيها تفتحهما في رَجْفَة. هناك أنابيب متصلة بذراعها. ظهرها مرفوع لأعلى قليلًا، والسرير مزود بقضبان معدنية على كِلا الجانبين. الأغطية ناصعة البياض. تدرك على الفور أنها في سرير مشفى ما، فيبلغ بها الجزع مبلغه. تدير رأسها ببطء ويضربها الألم بحدة. تدخل امرأة مجال رؤيتها الضبابية، من البديهي أنها ممرضة، وتحوم في جانب لا تراه بوضوح.

تحاول التركيز، لكنها تجد نفسها غير قادرة على ذلك. تحاول النطق، لكن لا تتحرك شفتاها. تشعر أن كل ما تريد فعله ثقيلٌ كالرصاص، كما لو أن هناك حِملًا ثقيلًا يثبط حركتها. تجفل. إن الممرضة تصبح اثنتين. لا بل واحدة فقط، تراها بصورة مزدوجة.

تقول الممرضة بنبرة خافتة: «لقد تعرضتِ لحادث سير. إن زوجكِ بالخارج. سأدعه يدخل. بالتأكيد سيسعد للغاية برؤيتك».

تغادر الممرضة الغرفة.

توم، تفكر فيه بامتنان. تلوك لسانها بطريقة بلهاء داخل فمها. إنها شديدة العطش. تحتاج إلى بعض الماء. تشعر أن لسانها متورمٌ. تتساءل كم من الوقت مضى عليها هنا، ولكم من الوقت عليها أن تمكث عاجزةً عن الحركة هكذا. يؤلمها كل جزء بجسدها، لكن أسوأ الآلام برأسها.

تعود الممرضة إلى الغرفة، وتسلّمها زوجها، كمن يقدم لها هدية. تصبح رؤيتها أقل ضبابية رويدًا رويدًا. يمكنها أن ترى القلق والإنهاك باديًا على وجهه، غير الحليق، كما لو أنه ظل مستيقظًا طوال الليل. أما عيناه فتشعراها بالأمان. تريد الابتسام بوجهه، لكنها لا تقدر على الإطلاق.

يدنو منها، محدقًا في هُيام. يهمس آخذًا يدها: «كارين! الشكر للرب أنكِ بخير».

تحاول التحدث، ولا تنطق بشيء، فيما عدا أنَّة مبحوحة. مدَّت الممرضة إليها يدها، على الفور، بكوب ماء بلاستيكي به ماصَّة طبية مَثنية الطرف، حتى تتمكن من الشرب. ترتشف بشراهة. وعند انتهائها، تأخذ الممرضة الكوب بعيدًا.

تحاول التحدث مرة أخرى. يتطلب منها الكثير من الجهد، فتستسلم.

يقول زوجها: «لا عليكِ».

يمرر يده على جبهتها كما لو يزيح خصلات شعرها عنها، إنها لفتة مألوفة منه، لكنه يبعد يده سريعًا على نحو غريب.

ينظر بعمق في عينيها.

- لقد تعرضتِ لحادث سير. لكنكِ ستصيرين على ما يرام. أنا هنا بجوارِكِ. إنني أحبكِ يا كارين.

تجاهد لترفع رأسها قليلًا، وفي المقابل تُكافأ بألم حاد لاذع، ودوار وموجة من الغثيان. عندها تسمع شخصًا آخر يدخل من باب الغرفة الصغيرة، رجلًا آخر أطول وأنحف من زوجها، أشبه بجثة عَظْمية شاحبة، ويرتدي معطفًا أبيضَ وسماعة طبية حول رقبته، يقترب من سريرها وينظر إليها كما لو يَرْقُبها من جبل شاهق. يترك زوجها يدها ويتنحى جانبًا ليفسح المجال له.

ينحني الطبيب مقتربًا منها، ويسلِّط حزمة ضوئية صغيرة في عينيها، واحدة تلو الأخرى. يبدو راضيًا عما يرى، يضع المِصباح في جيبه.

يردف الطبيب: «إنكِ تعانين حالةَ ارتجاج شديد، لكن ستصبحين بخير».

تستعيد كارين صوتها أخيرًا. تتطلع إلى الرجل الحزين أشعث الشعر الواقف إلى جانب الطبيب في ردائه الأبيض، وتهمس: «توم».

***

إن قلبه مفعم بالامتنان، وهو ينظر إلى زوجته. لقد تزوجا منذ فترة تقل عن عامين. هذه هي الشفاه نفسها التي يقبِّلها صباحًا ومساءً. يألف يديها ويعرفهما كما لو أنهما يداه. وفي تلك اللحظة، يرى عينيها الزرقاوين الجميلتين محاطتين بكدمات تبدو مؤلمة للغاية.

يهمس، فيما يقترب منها منحنيًا: «كارين، ماذا حصل لكِ الليلة؟».

تنظر إليه في ذهول.

يصرُّ عليها، يجب أن يعرف. يتخذ صوته نبرة مُلِحَّة.

- لماذا تركتِ المنزل على استعجال؟ إلى أين ذهبتِ؟

تهزُّ رأسها، ثم تتوقف وتغمض عينيها للحظة. تفتحهما مجددًا، وتهمس بصوت، يكاد يُدرك: «لا أدري».

ينظر توم إليها في خوف.

- لا بد أنكِ تعرفين. لقد عرَّضتِ نفسكِ لحادث سير. كنت تقودين بسرعة واصطدمتِ بالعمود.

- لا أتذكر.

تُردد ببطء، وكأنها تستنزف كل طاقة متبقية بجسدها لتنطق. تبدو عيناها المحدِّقتان إلى عينيه مرتعبتين.

يقول لها بنبرة يائسة واهنة: «مهم أن أعرف».

يزداد اقترابًا منها، فتُرجِع رأسها للوراء، فتغوص بعمق أكثر في الوسائد.

يتدخل الطبيب، قائلًا: «سوف ندعكِ ترتاحين الآن».

يتحدث إلى الممرضة بصوت هامس، ثم يشير إلى توم ليصحَبه.

يتبعه توم إلى خارج الغرفة، ملقيًا نظرة أخيرة على زوجته الممددة على السرير. يعتقد أن إصابتها في الرأس، لها علاقة بذلك. ربما حالتها أسوأ مما توقع المعالجون.

تتصارع الأفكار بعقله، بينما يتبع الطبيب فولتون إلى الردهة. يراه هادئًا على نحو مرعب، يُدْرِك أن الليل قد انتصف. يختار الطبيب غرفة شاغرة ليتحدثا فيها، بالقرب من جناح الممرضات.

يطلب منه الطبيب: «اجلس».

ثم يجلس هو على كرسي.

يسأله توم مذعورًا: «لماذا لا تتذكر ما حدث؟».

يكرر الطبيب بحزم: «اجلس. حاول أنْ تهدأ».

يستجيب توم: «بالتأكيد».

يتخذ الكرسي الآخر الوحيد في هذه الغرفة الضيقة، فيما يتعسر عليه تهدئة نفسه.

يقول الطبيب: «لقد اعتدنا أن المرضى المصابين بارتجاج في الرأس، قد يعانون فقدانَ الذاكرة التراجعي الوجيز».

- ما الذي يعنيه هذا؟

- يعْقُب التعرض لضربة صادمة بالرأس، أو حتى لصدمة نفسية، احتمال فقد المريض ذكريات ما قبل الصدمة لفترة مؤقتة. قد تكون حالة فقدان الذاكرة طفيفة أو كارثية. بوجه عام، فإن تلقي ضربة بالرأس قد يسفر عنه نوع آخر من فقدان الذاكرة، يتعلق بالذاكرة قصيرة المدى، بعد وقوع الحادثة. من المحتمل أن تلحظ هذه الحالة خلال فترة قد تطول. في بعض الأحيان يصبح فقدان الذاكرة رجعيًّا، وأكثر تَمدُّدِية. وهذا ما نعتقد أننا في مواجهته حاليًّا.

لا يُبدي الطبيب أي تعبير مقلق. يُقنع توم نفسه بأن ذلك كافٍ ليجعله مطمئنًّا.

- هل ستسترد ذاكرتها؟

يجيبه الطبيب: «أوه، أعتقد ذلك بالطبع. كُن صبورًا».

- هل هناك ما بوسعنا فعله لمساعدتها على استعادة ذاكرتها سريعًا؟

إنه في أَمَسِّ الحاجة لمعرفة ما حدث لكارين.

- لا يوجد في الواقع. كل ما تحتاجه هو الراحة. يجب أن يُشفى دماغها، وهذه الأمور تحدث بوقتها المناسب.

يرنُّ جهاز الاستدعاء الخاص بالطبيب، فيتطلع إليه، ويستأذن بالانصراف، تاركًا توم وحده وراءه، برفقة حيرته.

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي، تجلس بريدجيت كروكشانك -صديقة كارين المفضلة، وجارتها في المنزل المقابل- في صالة الانتظار بالطابق الرابع من مشفى الرَّحمة، وعلى حجرها إبرة الحياكة، وتسحب خيطًا صوفيًّا أصفر ناعمًا من حقيبة قماشية عند قدميها. تقع الصالة، المضاءة بنور باهر آتٍ من نوافذ عريضة تطل على ساحة انتظار السيارات المزدحمة، بالقرب من صفٍّ المصاعد. إنها تحوك سترة أطفال، لكنها تجد نفسها تغفل عن بعض الغرز، فتصبُّ جام غضبها على السترة، في حين أنها تعرف الحقيقة؛ ليست السترة السبب في غضبها.

تتطلع إلى توم -وهو طويل وشديد النحول، وشعره أشعث، ويرتدي سروالًا من الجينز وقميصًا قطنيًّا- متجهًا نحو المصاعد. عندما تقع عيناه عليها، يبدو كمَن ضُبِط على حين غُرَّة. من المحتمل أنه ليس سعيدًا برؤيتها هنا. لم تندهش البتة. ربما يرغب وكارين في بعض الخصوصية. يولي بعض الناس أهمية لذلك.

رغم هذا تريد معرفة ما يجري، لذا تلفت انتباهه وتواصل النظر إليه، فيخطو على مهل إلى حيث مجْلِسها.

تُحيِّيه في قلق.

- إنني سعيدة برؤيتك، يا توم. لقد حاولتُ الاتصال بك. آسفة جدًّا بشأن...

يقاطعها توم بغتة: «حسنًا».

يجلس بجوارها، ويميل إلى الأمام، مسنِدًا مرفقيه على ركبتيه. يبدو مرهقًا للغاية، كأنه لم ينَم ليومٍ كامل. ربما لم يفعل حقًّا.

تقول: «لقد تملكني القلق».

هاتفها توم مرتين الليلة الماضية - في المرة الأولى، اتصل ليسألها إذا ما لديها فكرة عن مكان كارين، بعدها، في المرة الثانية، اتصل من المشفى ليخبرها أن كارين تعرضت لحادث سير. لكنَّه أوجز الكلام في المكالمة الأخيرة، ولم يذكر أي تفاصيل. وفي هذه اللحظة تتحرق لتعلم ما حدث. ترغب في معرفة كل شيء.

- أخبرني بما حدث.

يوجِّه بصره إلى الأمام مباشرة، متجنبًا النظر إليها.

- اصطدمتْ سيارتها بعمود كهرباء.

- ماذا؟

يومئ ببطء، كأنما يشعر بتعب لا يُحتمل.

- تقول الشرطة إنها قادت بسرعة، وإنها اخترقت إشارة حمراء، وبطريقة ما اصطدمتْ بالعمود.

تُحدِّق إليه بريدجيت للحظات. ثم تقول: «ماذا قالت عما حدث؟».

ينظر نحوها، وترى في عينيه نوعًا من الإحساس بالعجز. يجيب توم: «تقول إنها لا تتذكر شيئًا. لا الحادث، ولا أي شيء تسبب فيه. إنها لا تتذكر الليلة الماضية على الإطلاق».

- أحقًّا؟

يرد توم: «أجل. أخبرني الطبيب أنه وضع طبيعي جراء إصابتها في الرأس».

تشيح بريدجيت بنظرها بعيدًا عنه، وتوجهها نحو إبرة الحياكة.

- إذن... هل ستستعيدُ ذاكرتها؟

يتردد، كما لو يشكُّ فيما إذا يريد إخبارها بالمزيد أم لا: «هكذا يعتقدون، وهذا ما آمله أيضًا؛ لأنني أريد بشدة أن أعرف ماذا حدث. لقد غادرتْ دون حقيبتها، ونسيت أن تقفل الباب. كما لو غادرت على عُجَالة».

تُعقِّب بريدجيت: «هذا غريب».

ثم تظل صامتة للحظة، وتقول أخيرًا: «إنني على يقين بأنها ستصبح على خير ما يرام».

تحمل نبرتها مغزى غير متوائم مع قولها. لا يبدو أنه انتبه.

يتنهد بعمق ويردف: «وعليَّ أن أتعامل مع الشرطة».

تسأل بريدجيت متفاجئة وتنظر إليه مرة أخرى: «مع الشرطة؟».

تلمح تجاعيدَ على وجهه لم ترَها من قبل.

يخبرها توم: «إنهم يحققون بشأن الحادثة. على الأرجح، يريدون اتهامها بأمر ما».

تقول بريدجيت، واضعة أدوات حياكتها جانبًا: «أوه! آسفة للغاية لسماع ذلك، يا توم. هذا ما لا نأمله تمامًا، أليس كذلك؟».

- بلى.

يلين صوتها.

- إذا احتجت إلى المساعدة، فإنك تعلم أنني هنا من أجلك، من أجلكما كليكما.

يقول لها: «بالتأكيد. أشكركِ».

ثم ينهض من مكانه.

- سأذهب لأحضر كوبًا من القهوة. هل أحضر لكِ واحدًا؟

تهزُّ رأسها.

- لا، أشكرك، لا أحتاج. لكن هل بوسعك أن تُعلِم كارين أنني موجودة هنا؟

- بالطبع. إنما لا فائدة تُرجى من مكوثكِ هنا. لا أعتقد أنها مستعدة لمقابلة أي أحد اليوم. فهي تعاني ألمًا شديدًا، لذا فهم يعطونها مسكنات قوية للألم. إنها مشوشة بشدة وغير متزنة. ربما يجب عليكِ العودة إلى المنزل.

تردُّ بريدجيت، وتلتقط إبرة الحياكة ثانية: «سأنتظر قليلًا بعد، في حال وجدت نفسها مستعدة لرؤية أحد».

بمجرد أن أدار توم ظهره لها، وبينما يتجه نحو المصاعد، ترفع نظرها عن حياكتها وتراقبه. لا يمكنها تصديقُ أن كارين لا ترغب برؤيتها حتى ولو لدقيقة واحدة. لن تنتظر أكثر. حالما يختفي توم داخل المصعد وتسمع الباب المنزلق ينغلق، ستجمع أغراضها وتتجه إلى الغرفة رقم 421.

***

تُحرِّك كارين ساقيها في تململ تحت الأغطية البيضاء. تَدْعمُ ظهرها الوسائد. في هذا الصباح، تشعر بتحسن إلى حد ما، وتُفكر وتتحدث على نحو أكثر وضوحًا. تتساءل كم من الوقت ستظل هنا.

تسمع نقرة خفيفة على باب غرفتها الموارب، فتبتسم بوهن.

تقول: «بريدجيت. تفضلي بالدخول».

تسألها بريدجيت بهدوء، وهي تقترب من السرير: «هل تسمحين لي؟ لقد قال توم إنكِ ربما لا تريدين رؤيتي».

- لِمَ يقول أمرًا كهذا؟ إنني، بالطبع، سعيدة لرؤيتك. تعالي، اجلسي.

تربت على السرير بلطف.

تقول بريدجيت: «يا إلهي، ما كل هذه الزهور».

تردُّ كارين: «إن توم هو من جلبها كلها. إنه يغدقني بالزهور».

تُعقِّب بريدجيت: «هذا ما أراه».

تجلس برفق على طرف السرير، متفحصة كارين من كثب.

- تبدين بحال مزر.

تقول كارين: «أحقًّا؟ لم يسمحوا لي باستخدام مرآة. أعتقد أنني أشبه فرانكنشتين».

تتخذ من المزاح وسيلة لتحمي نفسها من الرعب الذي يعتريها منذ اللحظة التي علمت فيها أنها تعرضت لحادثة، تلك الحادثة التي لا تتذكر شيئًا عنها. إنها ممتنة لرؤية بريدجيت، أقرب صديقاتها. تساعدها رفقتها على تشتيت انتباهها وإراحتها من شعورها المتزايد بالقلق. تألف رفقتها، بينما تستغرب كل ما عداها.

لا تعرف ما الذي حدث الليلة الماضية. رغم ذلك تعلم أنه مهما حدث، فهو أمر مُفزِع وما يزال يحاصرها. تدفعها عدم المعرفة إلى الجنون. لا تدري ماذا تفعل.

- الشكر للرب أنكِ تتماثلين للشفاء، يا كارين. كم قلقتُ عليكِ.

- آسفة على ذلك.

- لا تتأسفي. لقد تعرضتِ لحادث سير. هذه ليست غلطتكِ.

تشكُّ كارين في مقدار ما تعرفه بريدجيت، وفيما قاله لها توم. من المرجح أنه لم يقل الكثير. لم يحب توم وجود بريدجيت بقربها قط؛ ليست لديها فكرة

عن السبب. إنهما لا يستلطفان بعضهما مطلقًا، مما يؤدي إلى تعقد الأحوال في بعض الأحيان.

تقول كارين مترددةً: «إن الأمر سيئ للغاية، يا بريدجيت. لا أتذكر ما حدث. يقول توم إنني قدتُ السيارة بِطَيْش وبسرعة، ولا يكفُّ عن سؤالي...».

عند هذه اللحظة، يدخل توم الغرفة، حاملًا كوبين ورقيين من القهوة. تراه كارين وهو يكتم انزعاجه لرؤية بريدجيت جالسة على السرير، لم تنخدع بتظاهره بعكس ذلك. تشعر كارين أن درجة حرارة الغرفة تنخفض بضع درجات، فيما يناولها توم أحد الكوبين.

يحيِّيها توم على نحو عابر: «مرحبًا، بريدجيت».

تردُّ بريدجيت تحيته، ملقية إليه نظرة خاطفة: «مرحبًا».

توجه انتباهها إلى كارين مجددًا، تقول ناهضة عن السرير: «أردتُ فقط أن أراكِ بعيني، وأطمئنَّ على سلامتكِ. سأذهب على الفور، لأترككما بمفردكما».

تعترض كارين قائلة: «لستِ مضطرة إلى الذهاب».

تقول بريدجيت: «إنكِ بحاجة إلى الراحة. سأعود لزيارتكِ في الغد، اتفقنا؟».

تبتسم لتوم، وتنسحب خارجة من الغرفة.

تعبس كارين في وجه توم، قائلة: «لماذا تكره بريدجيت كثيرًا، بأي حال؟».

- أنا لا أكرهها.

- أحقًّا؟ من الواضح أنكَ لم تسعد برؤيتها هنا.

يحتَجُّ توم قائلًا: «إنني أقوم بحمايتكِ فقط. تعرفين بماذا أوصى الطبيب. عليكِ أن تستريحي».

تنظر إليه من فوق كوب قهوتها، غير مصدِّقة لما يقول.

***

لاحقًا بعد ظهر ذلك اليوم، بعدما غادر توم إلى المنزل ليحظى بقسط من الراحة، يعود الطبيب فولتون لزيارتها. تتذكره كارين من الليلة السابقة.

يسألها: «كيف حالكِ اليوم؟».

يحافظ على نبرة صوته خافتة وهادئة، مما يجعلها ممتنة له. حيث يزداد صداع رأسها سوءًا على مدار اليوم.

تجيب بحذر: «لا أعلم. أخبرني أنت».

يوجِّه إليها ابتسامةَ طبيبٍ محترف.

- أعتقد أنكِ تتماثلين للشفاء. فيما عدا ما يخص الارتجاج، كل الأعراض الأخرى هينة إلى حدٍّ كبير.

يباشر الكشف الروتيني المتمثل في فحص عينيها باستخدام ضوء مصباحه الصغير، فيما يتابع حديثه بهدوء.

- الأمر المقلق الوحيد هو أنكِ لا تستطيعين تذكر الحادثة، على الرغم من أنه ليس أمرًا غير اعتيادي. إن ذاكرتكِ ستعود على الأرجح عن قريب.

تقول ببطء: «إذن، أرأيت حالة كهذه من قبل، حيث يفقد الناس ذاكرتهم؟».

- أجل، رأيت.

- وهل دومًا ما تعود؟

يجيب فيما يقيس نبض قلبها: «لا، ليس على الدوام».

- أتعود بوجه عام؟

- أجل.

تعاود سؤاله بقلق: «كم يستغرق ذلك من الوقت؟».

يجب أن تستعيد ذاكرتها في أسرع وقت. يجب أن تعرف ماذا حدث بالضبط.

- على حسب، من الممكن أن تُستردَّ الذاكرة بعد أيام، أو أسابيع. إن المدة تختلف من شخص لآخر.

يتطلع إلى لوحة متابعة الحالة، ويقول: «كيف حال أَلَمكِ؟».

- يُمكن احتماله.

يومئ، قائلًا: «ستتحسن حالة الذاكرة. سنبقيكِ تحت المراقبة ليوم آخر أو يومين. ينبغي لكِ ألا ترهقي نفسك، عندما تعودين إلى المنزل. سأكتب لكِ وصفة طبية يمكنكِ صرفُها من صيدلية المشفى قبل خروجك. ولقد أعطيتُ زوجكِ تعليمات حول كيفية التعامل مع أعراض الارتجاج في مثل حالتك».

تسأله: «هل هناك ما أستطيع القيام به لمساعدتي على استعادة ذاكرتي؟».

يبتسم مجيبًا: «لا يوجد في الواقع. عليكِ أن تصبري لبعض الوقت فقط».

ثم يخرج تاركًا إياها وحيدة مع رعبها الشديد.

فيما بعد، تأتي ممرضة أخرى، هادئة وبشوشة الوجه، تتصرف كما لو أن الأمور على ما يرام. بينما ليس هناك أمرٌ على ما يرام.

تطلب منها كارين: «هلَّا أحضرتِ لي مرآة؟».

تقول الممرضة: «بالتأكيد، دعيني أجلب لكِ واحدة».

تعود الممرضة بمرآة ذات مقبض، قائلة: «لا تنصدمي كثيرًا مما ترين. هناك بعض الجروح السطحية فقط، لكنها ستُشفى جميعها. إنها ليست سيئة كما يظهر عليها».

تأخذ منها كارين المرآة بفزع. لقد صُدمت لرؤية أنها بالكاد يمكنها تمييز نفسها -قسمات وجهها الجميلة وبشرتها اللطيفة مستترة خلف تورم مريع وكدمات سوداء قاتمة. إنما عيناها المرتبكتان المذعورتان هما أكثر ما يزعجها. تعيد المرآة للممرضة ثانية دون أن تنبس ببنت شفة.

***

في ساعة متأخرة من تلك الليلة، يعودُ مراهقان إلى المنزل سيرًا يدًا بيد، من صالة السينما. إنها مسافة طويلة للسير، إلا أنها ليلة جميلة؛ يريدان أن يظلا معًا لأطول وقت، وليس لديهما مكان يذهبان إليه. يجذبها فتاها نحو الجدار في ظلمة فناء خلفي، ويقبِّلها. إنه يكبرها سنًّا، ويتعامل معها بِرَوِيَّة -على عكس ما يفعله الأولاد الطائشون من التخبُّط والتسرع دون أن يعرفوا ما عليهم فعله. تبادله القُبُلات.

تسمع قعقعة مُدَوِّية عند حاوية القمامة فيتباعدان. يُحدِّق إليهما رجلٌ ما فيما يفرغ قمامة المطعم. يضع رفيقها ذراعه حولها على نحو دفاعي، ويضمُّها، قائلًا: «تعالي. أعرف مكانًا مناسبًا».

ينتفض جسدها من الإثارة. يمكنها الاستمرار بتقبيله على هذا النحو إلى الأبد. تريد أن تنفرد معه، إنما... تتوقف.

- إلى أين نحن ذاهبان؟

يشدُّها مقربًا إياها.

- إلى مكانٍ يمكننا فيه أن نحصل على بعض الخصوصية. إذا ارتأيتِ ذلك.

يقبِّلها مرة أخرى.

- أو أوصلكِ إلى المنزل.

في هذه اللحظة، تريد أن تتبعه إلى أي مكان. تمدُّ له يدها ويعبران الطريق، بالكاد تدرك إلى أين يتجهان. لا تعي غير ملمس يده في يدها، وما ترغبه. يصلان إلى باب ما، فيدفعه ليفتح، ثم ينحني إليها.

- هيا. لا بأس. لا يوجد أحد هنا.

ما إن يتجاوزا عتبة الباب، يضمُّها بين ذراعيه. يقبِّلها مجددًا، غير أن أمرًا ما يزعجها. رائحة ما. تبعد نفسها عنه ويبدو أنه يلاحظ الرائحة بدوره. يراه كلاهما في آنٍ واحد، ذلك الجسد الهامد على الأرض، مضرجًا بالدماء.

تصرخ، فيضع يده برفق على فمها ليخْرِسها.

- شششش، شششش، يجب أن تهدئي!

تتوقف عن الصراخ وتحملق مذعورة في الرجل الممدد على الأرض. يرفع يده عن فمها، وتهمس: «هل هو ميت؟».

- لا بد أنه كذلك.

يقترب من الرجل متطلعًا، في حين لا تجرؤ على الاقتراب أكثر، خشية أن تصاب بالغثيان.

تستدير وتخرج بسرعة من المبنى وتتوقف بالخارج. تلتقط لاهثة بعض الهواء. تجده خلفها تمامًا، وتنظر إليه في أسى.

- يتوجب علينا الاتصال بالشرطة.

إن هذا آخر ما ترغب في القيام به. لقد أخبرتْ والدتها أنها ستبيت الليلة عند صديقة لها.

يردُّ: «لا. لندع شخصًا آخر يجده ويتصل هو بالشرطة. لا يجب أن نفعل نحن».

تعرفُ مما يخاف. إنها في الخامسة عشرة من عمرها فقط. أما هو ففي الثامنة عشرة.

يلحُّ عليها، قائلًا: «اسمعي، كان الوضع ليختلف لو أن الرجل لم يزل على قيد الحياة، لكن لا يوجد ما يمكننا القيام به من أجله. هيا لنذهب. سيجده شخص آخر».

تعتقد أن هذا قرار خاطئ. رُغم هذا تشعر بالارتياح حيال ما يقول. تومئ برأسها.

لا ترغب إلا في العودة للمنزل.

الفصل السادس

تجلس بريدجيت، كما تفعل صبيحة كل يوم، على مقعدها المفضل بجوار النافذة العريضة الكبيرة في غرفة معيشتها، فيما تتطلع إلى الخارج. يقع منزل بريدجيت مقابل منزل توم وكارين مباشرة. تنتظر بجوار النافذة، في أثناء تناول قدحٍ من القهوة، مترقبةً مغادرة توم للمنزل متجهًا إلى المشفى.

يخطو زوجها بوب إلى غرفة المعيشة، ليودِّعَها في طريق خروجه من الباب ذاهبًا إلى عمله.

يقول: «سأعود متأخرًا هذه الليلة. قد لا أتمكن من العودة على العشاء. في الغالب، سأتناول وجبة بالخارج».

لا تجيب. إنها غارقة في أفكارها.

يناديها: «بريدجيت!».

تردُّ ملتفتة نحوه: «ماذا؟».

- لقد قلتُ إنني سأعود إلى المنزل في ساعة متأخرة. لدينا مراسم عزاء هذه الليلة.

تُعقِّب دون تركيز: «حسنًا».

يسألها: «ماذا ستفعلين اليوم؟».

- سأذهب إلى المشفى للاطمئنان على كارين ثانية.

ربما يتسنى لهما اليوم مزيدٌ من الوقت للتحدث معًا.

يتلكأ بوب عند عتبة الباب للحظة متشككًا، ويقول: «حسنًا تفعلين».

ثم ينصرف.

تعلم أنه قلقٌ عليها. إنه لا يهتم حقًّا بما تفعله في يومها، وعلى الرغم من أنه يريد ألا تطول فترة مكوثها في المنزل وحدها، فإن كل ما يهتم به هو التأكد من أنها تحافظ على مواعيدها. لذلك تخبره دائمًا أنها تفعل.

***

يجول بفكر فليمنج أن ملابسات هذه الحادثة من الصعب التحقيق بها؛ حيث إن السائقة التي من المفترض أنها ربة منزل محترمة، تتعرض لحادث في جانب مقفر من المدينة، بالإضافة إلى أنه لا يوجد أثر على تعاطيها للمخدرات أو الكحول مما قد يُفسر سلوكها المتهور. وفوق ذلك، يخبرهم الطبيب أنها تعاني فقدانَ الذاكرة.

يعلِّق في نفسه، *لا بد أنك تمزح!*

يقول الضابط كيرتون الواقف بجانبه: «يا للمثالية!».

فيما ينتظرون هنيهة خارج باب غرفة كارين كروب، يمدُّ فليمنج يده مستوقفًا الطبيب ويسأله بنبرة خفيضة: «هل من المحتمل أنها تدَّعي ذلك؟».

يتطلع إليه الطبيب فولتون في اندهاش، وكأن الأمر لم يخطر بباله البتة. يجيب ببطء: «لا أعتقد ذلك؛ فلديها ارتجاج خطير في المخ بالفعل».

يومئ فليمنج مستغرقًا في التفكير. يدخل الرجال الثلاثة الغرفة الخاصة الصغيرة، حيث يجلس زوج كارين على الكرسي الوحيد بها. تبدو الغرفة وقد ازدادت ضيقًا بدخولهم. تنظر إليهم كارين بحذر من بين جروح وجهها وكدماته.

يباشر فليمنج الحديث: «مرحبًا سيدة كروب. أنا الضابط فليمنج وهذا زميلي الضابط كيرتون. نأمل أنكِ بحال يسمح لكِ بالإجابة عن بعض أسئلتنا».

تستقيم في جلستها مستندة إلى الوسائد، ويلتفت توم بعصبية.

تقول: «أجل، بالطبع. لكن... لا أعرف إذا ما أخبركما الطبيب أنني لا أتذكر شيئًا عن الحادثة حتى اللحظة».

تقتضب معتذرة.

يسأل كيرتون: «هل أُعلمتِ بتفاصيل الحادثة بعد؟».

تومئ برأسها غير واثقة.

- أجل، ولكنني في الواقع لا أتذكر أيًّا مما أُخبرتُ به.

يقول فليمنج: «هذا أمر مؤسف للغاية».

يمكنه ملاحظة أن حضور شرطيين لرؤيتها يسبب لها إزعاجًا، رغم محاولاتها إخفاء ذلك.

يستطرد: «لقد وقعت الحادثة عند تقاطع شارعي بروسبكت وديفيس درايف في الطرف الجنوبي من المدينة».

يسكت هنيهة، فيما تنظر إليه بقلق دون أن تنبس ببنت شفة.

- إن منزلكما يقع في الطرف الشمالي. ما الأمر الذي من المحتمل أنه دفعكِ إلى الذهاب إلى ذلك الطرف من المدينة؟

تهزُّ رأسها، وتجفل قليلًا.

- أنا... أنا لا أعرف.

يعيد سؤالها برفق: «هل يمكنكِ التخمين؟».

عندما لم تُجبه، تابع مضيفًا: «يُعرف هذا الطرف من المدينة بانتشار تعاطي المخدرات والعصابات الإجرامية ووقوع الجرائم. إنها ليست منطقة ملائمة، قد تذهب إليها ربة منزل تعيش بضاحية راقية».

تهزُّ كتفيها بيأس، وتقول بنبرة خافتة: «إنني آسفة...».

يقترب منها زوجها ويضمُّ يدها.

يسلمها فليمنج ورقة ما.

تسأله في انفعال: «ما هذه؟».

- أخشى أنها مذكرة مُحررة بسبب القيادة المتهورة، التي تُعتبر انتهاكًا بالغ الخطورة لقواعد السلامة في ولاية نيويورك.

تعضُّ شفتها محدقةً إليه، ثم تسأل متشككة: «هل أحتاج إلى استدعاء محامٍ؟».

يجيب فليمنج: «إنه تصرف سديد إذا فعلتِه؛ فهذا الانتهاك يُعد جريمة. ففي حال أُدنتِ، سيصبح لديكِ سجل جنائي، وقد تضطرين إلى دخول السجن لمدة معينة».

يرى الصدمة بادية على وجهها، فيما يظهر أن توم يكاد يفقد الوعي.

يتبادل فليمنج نظره مع كيرتون، فيومئ الاثنان إيذانًا بالانصراف، ومن ثم، يغادران الغرفة.

***

يتبع الطبيب فولتون الشرطيَّيْن إلى الخارج. على الرغم من حياته اليومية المحمومة بحكم عمله طبيبًا بقسم الطوارئ، يتسنى له بعض الوقت للتفكير في أمر مريضتِه التي تجاوزت الإشارات الحمراء بسرعة في أردأ منطقة بالمدينة. لم تبدُ له سوى امرأة لطيفة وراقية ولبقة، ولا يمكن تَوَقُّعُ تصرفٍ كهذا منها. من الواضح أن زوجها في حيرة من أمره أيضًا.

يتأمل الضابطان المنصرفان في طريقهما إلى البهو، والتفاوت ما بين جسديهما العريضين في الزي الأسود، وبين حشد الممرضات الذي يحوم حولهما في أردية فاتحة اللون. يخطر بباله أن يستدعِيَهما، وبعد لحظة، يقرر أن يدعهما يذهبان.

عندما نُقلت كارين إلى المشفى منذ ليلتين، كانت بحال يُرثى لها، تتأرجح بين اليقظة والوعي. لم يبدُ أنها تعرف مَن هي، وحتى لم تقدر على منح المعالجين اسمًا لها. تملكتها نوبة هياج واستمرت في ترديد اسمٍ ما، يعتقد أنه اسم رجل. لا يمكنه تذكر الاسم؛ فقد تكدَّس قسم الطوارئ على نحو محموم ليلتها. ومع هذا، فهو متأكد أن الاسم ليس توم. كم يضايقه أمر نسيانه. ربما ما تزال إحدى الممرضات تتذكره.

لا يعتقد أنها تتظاهر بفقدان الذاكرة، بل يرى أنها تريد أن تعرف ما حدث تلك الليلة بقدر ما يريد زوجها.

***

عند حلول المساء، يغادر توم المشفى، ويشق طريقه إلى حيث سيارته في الطرف الأقصى من باحة الوقوف. بالكاد مرَّ يومٌ كاملٌ على الحادثة. بدت كارين مضطربة ومنزعجة خلال الفترة التي قضاها معها. لقد أثارت زيارة ضابطي الشرطة في وقت سابق من اليوم قلقهما. إنه لا يقوى على استيعاب أن ينتهي الحال بكارين حاصلةً على سجل إجرامي، مع احتمال ذهابها إلى السجن، ولو لمدة قصيرة. ظلَّ يبحث طويلًا في محرك جوجل عن حالات القيادة المتهورة في طرق ولاية نيويورك. يأخذ نفسًا عميقًا. ربما يتساهلون نظرًا إلى حالتها. يجب أن يستجمع شتات نفسه، واضعًا مذكرة الشرطة جانبًا في الوقت الحالي.

يفكر في طريق العودة للمنزل في زوجته وحياتهما معًا. لقد تمتعا بحياة سعيدة، وعلاقة مستقرة للغاية، حتى حدث ما حدث.

حالما التقيا أول مرة، انجذبا إلى بعضهما بعضًا على الفور. اشتغلت حينذاك بوظيفة مؤقتة في شركته، حيث يعمل محاسبًا. انتظر بفارغ الصبر انتهاء المدة المقررة لإتمام مهامها، حتى يتمكن من طلب الخروج معها. رغم هذا، آثر أن يتصرف بحذر؛ كي لا يُساء الظن بنياته كما حدث من قبل. ولذلك وعد نفسه بأنه سيأخذ الأمور بِرَوِيَّة حتى يتسنى له التعرف عليها. وقد بدا أن هذا ما تفضِّله أيضًا، رغم تحفُّظها من التعامل معه في البداية. اعتقد وقتها أنه ربما قد أُسيءَ فهم نياتها من قبل، هي الأخرى.

لكنها لم تشبه أيًّا من النساء الأخريات التي عرفهن. لم تتحايل عليه، أو تثير جنونه. لم يكن هناك أمرٌ بشأنها يبعث على الحذر منها. لم يبدُ عليها شيءٌ كهذا مطلقًا.

لا بد وأن لديها سببًا وجيهًا وراء تصرفها الأخير هذا. لا بد أن شخصًا ما استدرجها إلى تلك المنطقة بحجة واهية. ستستعيد ذاكرتها قريبًا، وعندها ستشرح له كل ما جرى.

يدرك كم هي مرتعبة، وهو مرتعب مثلها تمامًا.

يوقف السيارة في الممر ويسير بتثاقل صاعدًا الدرجات الأمامية. ما إن يدخل من الباب، يجول بنظره في المنزل متبرمًا. تعمُّ الفوضى كل ركن بالمنزل. في المطبخ أطباقٌ متسخة، في الحوض وأخرى على المنضدة، فلقد اضطر إلى تناول وجبات سريعة في أوقات مختلفة خلال انتقاله ذهابًا وإيابًا فيما بين المنزل والمشفى.

من الأفضل أن يباشر بالتنظيف؛ لا يرغب أن تجد كارين المنزل عند عودتها بهذه الحال الفوضوية. لن تحب أن ترى المنزل هكذا. يبدأ بغرفة المعيشة، ينظفها ويرتب قطع الأثاث بها، ويضع أكواب القهوة المتسخة بالمطبخ. يكنس السجادة الكبيرة بالمكنسة الكهربائية، ويلمِّع طاولة القهوة ذات السطح الزجاجي باستخدام منظف للزجاج ومناشف ورقية. يتجه إلى تنظيف المطبخ ثانيًا، حيث يملأ غسالة الصحون، ويمسح سطح المنضدة، تاركًا الماء الساخن ينهمر من الصنبور داخل إبريق القهوة الزجاجي ويُهيئ سائل منظف الصحون ليغسله يدويًّا، ومن ثم يبحث عن القفاز المطاطي الذي تستخدمه كارين لغسل الأطباق ولا يجده، فيضطر إلى استخدام يديه

العاريتين ويغرقهما بالماء الساخن والصابون. عندما تعود كارين إلى المنزل، لا يريدها أن تهتم بأي أمر آخر غير التعافي، وألا تزعج نفسها بأعمال المنزل.

***

تمكث كارين وحدها بالغرفة، عندما يحضر الطبيب فولتون، من أجل زيارة تفقدية سريعة للمرة الأخيرة هذه الليلة، قبل مغادرته. تأخر الوقت، في هذا الجانب الهادئ من المشفى، فيما تشعر بالنعاس. يجلس الطبيب على الكرسي بجوار سريرها ويقول مترددًا: «هناك أمرٌ لم أذكره لكِ بعد».

ترى الشك باديًا في عينيه، فترتعش أوصالها.

يستطرد: «عندما أُحضرتِ إلى المشفى، كنتِ مضطربة للغاية، وتَهْذين».

يزداد توترها، وتوليه كامل انتباهها.

- ظللتِ ترددين اسم شخص ما مرارًا وتكرارًا. هل تتذكرين هذا الاسم؟

تصمت هنيهة.

- لا.

- لم أستطع تذكر الاسم، لكن إحدى الممرضات أخبرتني أنكِ ظللتِ تذكرين مرارًا اسم شخص يُدعى «روبرت». هل يعني هذا الاسم شيئًا بالنسبة إليكِ؟

يتطلع إليها في فضول.

تتسارع دقات قلبها. تهزُّ رأسها ببطء يمينًا ويسارًا، فيما تزمُّ شفتيها، كأنما تفكر مليًّا، ثم تقول: «لا، لا أعرف أحدًا بهذا الاسم».

يقول الطبيب ناهضًا: «على أي حال، أعتقد أنه أمرٌ استحق المحاولة».

تُعقِّب كارين: «إنني على يقين أن هذا الاسم لا يعني شيئًا بالنسبة إليَّ».

تنتظر حتى يصل الطبيب إلى الباب، ثم تضيف، قبل خروجه مباشرة: «أعتقد أنه لا داعي لذكر هذا الأمر أمام زوجي».

يستدير ناظرًا إليها. تتلاقى أعينهما للحظة. ثم يومئ إيماءً خاطفًا ويخرج من الغرفة.

الفصل السابع

في صباح اليوم التالي، وبمجرد خروج توم من حجرة الاستحمام، يُقرع جرس الباب. يسرع بارتداء بنطاله الجينز وقميص قطني، وبتمشيط شعره، الذي ما يزال مبللًا. عليه أن يذهب إلى المشفى بعد قليل –متغيبًا عن العمل ليوم آخر. يسير حافي القدمين، ويشغِّل إناء تحضير القهوة.

لا يمكنه التكهن بمَن الذي يطرق باب منزله في هذا الصباح المبكر؛ فالساعة لم تتجاوز الثامنة بعد. يقترب تسحُّبًا ويختلس النظر من نافذة الباب، ليجد الضابط فليمنج واقفًا في شرفة المنزل.

ينزعج من فوره لدى مرأى فليمنج بالخارج. إن لديه بالفعل من المشكلات ما فيه الكفاية، ولا يعرف أكثر مما عرفه بالأمس. ليس باستطاعته مساعدة الشرطة. لماذا بحق الجحيم لا ينصرف فليمنج عنهما ويتركهما وشأنهما إلى أن تستعيد كارين ذاكرتها؟

يفتح الباب. لا يمكن لأحدٍ أن يترك شرطيًّا في زيه الرسمي منتظرًا عند عتبة بابه.

يقول فليمنج: «صباح الخير».

يحدِّق إليه في شكٍّ مما يجب عليه فعله. يتذكر أنه لم يتلقَّ من فليمنج غير معاملة لطيفة منذ زيارته الأولى لمنزله، ليبلغه بأمر حادث كارين الرهيب.

يسأله فليمنج: «هل تأذن لي بالدخول؟».

يتصرف بتهذيب واحترام كما فعل تلك الليلة تمامًا. تبدو عليه سيماء الهدوء والارتياح. فلا يمثل وجوده أي تهديد، بل يشعره أنه يريد مدَّ يد المساعدة له.

يومئ توم وهو يفتح له الباب. تفوح بالمنزل رائحة تخمير القهوة. يعتقد أنه من الأفضل أن يقدم له قدحًا.

يسأله: «أتريد كوبًا من القهوة؟».

يجيب فليمنج: «أشكرك، يبدو هذا رائعًا».

يتوجه توم إلى المطبخ الرحب في الجزء الخلفي من المنزل، تتبعه أقدام الشرطي عبر الأرضية الخشبية. يشعر بنظرات فليمنج ترقبه فيما يصبُّ كوبًا لكلٍّ منها. يستدير واضعًا الكوبين على طاولة المطبخ، ثم يجلب الحليب والسكر.

يجلس الاثنان إلى الطاولة.

يسأل توم: «كيف بوسعي مساعدتك؟».

يشعر بالحرج، لعدم استطاعته السيطرة على تهدُّج صوته.

يصبُّ فليمنج الحليب لنفسه، ويضيف السكر، ويقلِّب قهوته مستغرقًا في التفكير. يُذَكِّر توم بما حدث، قائلًا: «لقد كنتَ حاضرًا عندما تحدثنا بشأن الحادثة مع زوجتك بالأمس».

- هذا صحيح.

- وتفهم السبب الذي اضطرنا إلى توجيه المخالفة لها.

يردُّ توم بنبرة حادة: «أجل».

ثم يزفر ببطء ويستطرد بنبرة صادقة: «يريحني فقط أنه لم يتأذَّ أحد آخر».

يسود الصمت بينهما هنيهة طويلة ثقيلة، يتساءل خلالها توم عن مدى سوء الوضع الذي لا يعلمه بعد. ربما تسببت كارين في موت أحدهم. ما مدى فظاعة الأمر الذي ينتظره، أمرٌ من النوع الذي لا عهد له به على الإطلاق. يقول في نفسه ساخرًا، يا لهما من محظوظَين.

تتملك توم رغبة في التحدث. لا يعرف ما الذي يدفعه إلى قول هذا لضابط شرطة -لشخص غريب كليًّا-، لكن لا يقدر على منع نفسه.

- إنها زوجتي، وأنا أحبها.

يوجِّه إليه الشرطي نظرة تعاطف.

يضيف توم بلا اكتراث: «إنما لديَّ أسئلة مثل التي لديك تمامًا. ما الذي كانت تفعله بتلك المنطقة ودفعها لتقود بهذا الجنون؟ هذه ليست زوجتي التي أعهدها. إن زوجتي لا تُقبِل على فعل شيء من هذا القبيل مطلقًا».

ثم، يدفع توم كرسيه للخلف وينهض. يأخذ كوبه ليعيد ملأه، فيما يجاهد ليتمالك أعصابه.

يقول فليمنج، ناظرًا إليه من كثب: «لهذا السبب جئتُ إلى منزلك. أردتُ معرفة إذا ما جال بخاطرك شيء، أو تذكرت أمرًا قد يلقي بعض الضوء على ظروف وقوع الحادثة. لكن يبدو لي أنك لا تعرف شيئًا».

- هذا صحيح.

يحدِّق توم نحو الأرض بانزعاج.

يصمت الضابط هنيهة قبل أن يطرح سؤاله التالي.

يسأل بهدوء: «كيف تصف حياتك الزوجية؟».

يقول توم رافعًا نظره سريعًا: «حياتي الزوجية؟».

يسأله فليمنج للمرة الثانية عن زواجهما.

- لماذا تسأل؟

- لقد أجريتَ مكالمة برقم النجدة في تلك الليلة، لتبلغ عن اختفائها.

- لأنني لم أعرف مكانها.

يقول فليمنج بتعبير جامد: «يظهر أن زوجتك كانت تحاول الهرب من شيء ما، ولذا من واجبي أن أتساءل، هل كانت تهرب منك؟».

يهزُّ توم رأسه.

- ماذا؟ بالطبع لا! كيف تجرؤ على توجيه مثل هذا السؤال؟ إنني أحبها!

يستطرد مرتبكًا: «لم تمر فترة طويلة على زواجنا، والذكرى السنوية الثانية لنا قريبة. إننا كنا سعداء معًا، وقد فكرنا في الإنجاب».

عندها يدرك أنه تحدَّث بصيغة الماضي.

يُعقِّب فليمنج، رافعًا كفيه لتهدئته: «وَجب عليَّ أن أسأل فقط».

يقول: «بالطبع!».

يرغب أن يغادر فليمنج منزله.

- وماذا عن حياة زوجتك قبل أن تلتقي بك؟ هل سبق لها الزواج من قبل؟

- لا.

يضع توم كوبه على المنضدة خلفه، عاقدًا ذراعيه.

- هل تعرضتْ لمعضلات قانونية في الماضي؟

يجيبه بازدراء: «لا، بالطبع لا».

رغم انزعاجه، بدأ يتضح له أن التساؤل عن ظروف الحادثة، لا تُعد أسئلة سخيفة.

- وماذا عنك؟

- لا، لم أتورط في مشكلة مع القانون كذلك. إنني على يقين بقدرتك على التحقق بنفسك. أعمل محاسبًا قانونيًّا، وهي مسؤولة حسابات. وما نشغله تُعدُّ وظائف عادية.

يتردد فليمنج، كأنه لا يجب عليه التفوه بأمر ما: «أتساءل...».

- عن ماذا؟

يكمل بحذر: «أتساءل عما إذا واجهت خطرًا ما».

يسأل توم مذهولًا: «ماذا؟».

- كما قلتُ لك سابقًا. إنها كانت تقود السيارة كما لو أنها خائفة، وتحاول الهرب من شيء ما. لا يُعقل لشخص هادئ ومستقر أن يقود بهذه الطريقة.

لا يعرف توم بما يجيبه. يواصل التحديق إلى الضابط، ويعضُّ شفته السفلى.

يميل فليمنج رأسه إلى الجانب، قائلًا: «هل تحتاج إلى مساعدتي لإلقاء نظرة بأرجاء المنزل؟».

ينظر إليه توم مضطربًا.

- وما الحاجة إلى ذلك؟

- للعثور على أي شيء قد يلقي بعض الضوء على...

يجمد توم مكانه. لا يعرف بما يجيب. قد تقول نسخته القديمة، قبل حدوث كل هذا، *بالتأكيد، دعنا نلقي نظرة*. أما نسخته بعد الحادثة، فتجهل ماذا ألمَّ بزوجته، ودفعها إلى الخروج بسرعة من المنزل وتحطم سيارتها. ماذا لو أنها تخفي شيئًا ما بالمنزل، ولا يجب أن تجده الشرطة؟

يراقبه فليمنج من كثب، في انتظار إجابة منه.

***

تتناول بريدجيت قهوتها الصباحية، وأشعة الشمس تتدفق متخللة النافذة لتلقي بضوء مائل على السجَّاد. لقد غادر بوب للعمل، متملصًا في هدوء، بعدما قبَّلها قبلة خاطفة على وجنتها. لا تجري الأمور بينها وبين بوب على ما يرام منذ فترة.

يظل بعيدًا ومشغولًا بعمله في غالب الأحيان، بصفته صاحب دار كروكشانك لإقامة الجنائز. أما عندما يعود للمنزل -وقتما يعتقد أنها غير منتبهة- يظل يراقبها كأنه قلق عليها ومما تفكر فيه، ومما قد تفعله. لكنه لا يهتم بحالها حقيقة، هكذا تخبرُ بريدجيت نفسها على الدوام. لقد توقف عن الاهتمام بها منذ فترة طويلة، بل أصبح يهتم بأفعالها ومدى تأثيرها عليه فقط.

لم يتحدثا بذلك الشأن مجددًا، لكنها تعرف أن عدم قدرتهما -أو فشلهما- في إنجاب طفل، قد أدى إلى تغير حياتهما كلها. لقد صارت حالتها مزاجية وكئيبة بسبب العقم، وابتعد عنها بوب للسبب نفسه. تعلم أن شخصيتها تغيرت، بعدما كانت مرحة، حدَّ التهور أحيانًا. اعتقدت أنها تستطيع فعل أي شيء. أما حاليًّا، تشعر أنها أكبر سنًّا، وأكثر خنوعًا، وأقل جاذبية، رغم أنها لا تزال في الثانية والثلاثين من عمرها.

لقد رأت ضابط شرطة في زي رسمي يوقف سيارة الدورية منذ بضع دقائق، عقب مغادرة بوب المنزل. تتساءل ما الذي يفعله شرطي في منزل آل كروب. لم يخرج توم من المنزل بعد. لم تزل سيارته في الممر.

تغوص بعمق في أفكارها مرارًا هذه الأيام. تعلم جيدًا أن لا فائدة ستعود عليها، إنما ليس لديها اهتمام بالبحث عن وظيفة جديدة، ولا بتخفيض سقف *توقعاتها*، كما يحثها بوب أن تفعل. هناك متسع من الوقت أمامها للتفكير في العديد من الأمور. تتذكر عندما انتقلت كارين إلى هذه الضاحية. عندما

ابتاع توم المنزل، ظل عازبًا لفترة، حتى أمسى الرجل الأعزب الوحيد بضاحية تعيش بها عائلات عدة. كم تشعر بالمرارة؛ فقد اختارت هي وبوب هذه الضاحية دون غيرها كموقع مثالي لتربية أطفالٍ لن يحظيا بهم إلى الأبد. ثم بدأ توم بمواعدة كارين. وما إن تزوجا، صارت كارين في أقصر وقت سيدة ذلك المنزل، تعيد طلاءه وتزينه وتهتم بحديقته. راقبت بريدجيت التحول الذي حدث بالمنزل؛ فلدى كارين عين ترى الجمال من دون شك.

حرصت منذ وصول كارين -وحتى قبل زواجهما- على الترحيب بها، ومعاملتها معاملة حسنة قدر المستطاع. ورغم أن كارين تحفظت معها في البداية، سرعان ما قبلت صداقتها، كأنها بأمسِّ الحاجة إلى رفقة سيدة مثلها. هكذا افترضت بريدجيت، خاصة بعدما انتقلت كارين مؤخرًا إلى هذه المدينة، التي لا تعرف فيها أحدًا. لقد قضتا الكثير من الوقت معًا، حتى بدا أن كارين تعتبرها صديقة مميزة لها، حتى لو لم تشاركها بأريحية أي أسرار.

عرفت أن كارين اشتغلت بدوام مؤقت في الشركة التي يعمل بها توم، وأنها تبحث عن عمل دائم. وقد حصلت لها بريدجيت على وظيفة مسؤولة حسابات في دار جنائز كروكشانك. إن بريدجيت نفسها هي، أيضًا، مَن تضمن بقاء وظيفة كارين شاغرة لأطول فترة ممكنة، على قدر حاجتها للراحة، وفي هذه الأثناء تعمل محلها موظفة أخرى، بصفة مؤقتة.

بذلك، يستحيل أن يتهمها أحد بأنها ليست صديقة وفيَّة.

الفصل الثامن

يُوصِل توم كارين من المشفى إلى المنزل عند حلول الغسق. لقد مرت ثلاثة أيام منذ تعرضها للحادثة. يقود على مهل وبحذر متفاديًا أي حفرٍ بالطريق أو وقفات مفاجئة، بينما تستمر كارين بالنظر خارج النافذة. يغمرها شعور بالامتنان، فتتأمل جانب وجه توم في أثناء انهماكه بالقيادة. يمكنها أن تلمح توترًا باديًا على فكه المتشنج، على الرغم من محاولته التظاهر بأن كل الأمور تسير على خير ما يرام.

يصلان أخيرًا إلى طريق دوجوود درايف، وينعطف توم عند الممر الخاص بالمنزل رقم 24. كم يُعدُّ الخروج من المشفى والعودة إلى المنزل مرة أخرى شعورًا رائعًا. إنها تحب هذه الأشجار التي يتسنى لها الوقت لتنمو. لا توجد مروج خضراء كهذه في الأحياء الحديثة المزدحمة، قليلة التكلفة، ذات المنازل المتراصة المتلاصقة، والرقع العشبية الهزيلة. كم تحب هذه المساحة الخضراء الرحبة، وكم هي فخورة بحديقتها التي تنفلج بها في هذه الآونة، زهور نبتة الأرطنسية الوردية الكبيرة.

يمكث الاثنان مكانهما في صمت، يصغيان إلى دقات تبريد المحرك. يضع توم يده فوق يدها للحظة، ومن ثم تنسل ببطءٍ خارجة من السيارة.

ما إن يدخلا المنزل، تستدير كارين لتغلق الباب خلفها، فيما يلقي توم مفاتيحه على الطاولة الصغيرة بجوار الباب، فتفزع من فورها؛ يشعرها صوت القعقعة المرتفع للمفاتيح بشرخ مؤلم في صدغها ويداهمها إحساس مفاجئ بالدوار. تغمض عينيها لثانية، مترنحة، وبيدها تستند إلى الحائط.

يقول توم بأسف شديد: «سامحيني! هل أنتِ بخير؟ ما كان يجب أن أفعل ذلك».

تقول: «إنني بخير، أشعر ببعضِ الدوار فقط».

تزعجها الضوضاء الحادة، والأضواء الساطعة، والحركات المفاجئة. يحتاج دماغها إلى وقت كافٍ للتعافي. بعد لحظات، تخطو نحو غرفة المعيشة، ممتنة لهذه الدرجات الرمادية والبيضاء الفاتحة المريحة، ولهذا التنسيق المتناغم، حيث تقبع أريكة بيضاء مختارة بعناية في مواجهة مدفأة رخامية حديثة الطراز، ذات ملمس خارجي أملس مصقول. وتوجد أمام الأريكة طاولة قهوة مربعة كبيرة، ذات سطح زجاجي، تظهر من ورائه بعض الأنتيكات -إحدى قطع مجموعة «إيل ديكور» و«آرت أند أنتيكس»- مرصوصة على رف داخلي. أما فوق المدفأة، فتوجد مرآة ضخمة، وعلى سطحها، صور مؤطَّرة لهما، هي وتوم. وهناك مقاعد وثيرة رمادية تواجه الأريكة، متماشية مع درجتها البيضاء، عليها وسائد منتفخة فاتحة اللون، وردية وخضراء. إن الغرفة بأكملها لطيفة ونظيفة وجيدة التهوية ومألوفة تمامًا لها. كما لو لم يحدث شيء البتة خلال الأيام القليلة الماضية. تسير متمهلة نحو النافذة العريضة الكبيرة، في الطرف المقابل للغرفة، وتتطلع إلى الخارج، باتجاه المنازل على الجهة الأخرى من الطريق، التي تبدو حميمية على نحو مثالي.

ثم، تلتفت بعيدًا وتتبع توم إلى المطبخ.

يقول لها مبتسمًا: «لقد نظفتُ كل شيء».

يبرق المطبخ كله: الحوض، وصنابير المياه، وسطح المنضدة، وأدوات الطبخ المصنوعة من الستانلس ستيل، حتى الأرضية الخشبية الداكنة تشع لمعانًا.

تبادله الابتسام ممتنة، وتقول: «لقد قمت بعمل مذهل».

تنظر إلى الفناء الخلفي من وراء الباب الزجاجي المنزلق، وعندها، تشعر بالعطش، فتتحرك باتجاه الخزانة وتمدُّ يدها لتحضر كأس ماء لنفسها. ثم تستدير ناحية الصنبور، ناظرة إلى الأسفل نحو الحوض، فتتمسك بحافة المنضدة بسرعة لتسند نفسها.

تردف فجأة: «أعتقد أنني أحتاج إلى الاستلقاء في الحال».

يقول توم: «لكِ ذلك».

ثم يحمل عنها الكأس، ويملؤها بالماء من الصنبور.

تتبعه إلى غرفة النوم، في الطابق العلوي، وهي مشرقة وجيدة التهوية كذلك، وبها نوافذ متعددة تطل على فناء المنزل الخلفي. هناك رواية على المنضدة عند جانبها من السرير، والعديد من الكتب موضوعة على الأرضية بجوار السرير. لقد استعارتها من المكتبة في الآونة الأخيرة؛ أرادت أن تطالع الكتابات الجديدة لكيت أتكينسون على وجه الخصوص. لكن لا يسعها القراءة لبضعة أيام حتى تتحسن حالة ارتجاج دماغها، فهذه هي أوامر الطبيب. يرقبها توم بعينيه.

تنظر إلى خزانة ملابسها، التي يعلوها وعاء مسطح ذو قاعدة عاكسة، يحمل زجاجات العطور، وبجانبه صندوق مجوهراتها، التي تتكون من قطع أساسية، ترتديها الآن مجددًا، وهي خاتم خطوبة ماسي، يتماشى مع خاتم الزواج، وقلادة أهداها لها توم في الذكرى الأولى لزواجهما.

تتأمل نفسها في المرآة المألوفة المعلقة فوق خزانة ملابسها، وترى وجهها المكدوم والجروح لم تزل ظاهرة. تتذكر خوفها المتزايد في الآونة الأخيرة. فطيلة هذه المدة، كلما تعود للمنزل، تجد بعض الأشياء في غير محلها، بالإضافة إلى إشارات خفية تدل أن شخصًا ما عبث بأشيائها. أرعبها هذا الأمر كثيرًا. أما توم فلا يعرف شيئًا بخصوص هذا.

لقد أخفت أمورًا عدة عن الرجل الذي تحب. لذا أصابها قلق رهيب، من احتمال أن يخبر الطبيب فولتون زوجها أو الشرطة عمَّا هذيتْ به في غرفة الطوارئ. لو أنها تتذكر ماذا حدث تلك الليلة! تشعر وكأنما صارت عمياء، تحاول تجنب مخاطر شتى تعجز عن رؤيتها.

في لحظة، ينال منها إجهاد شديد. يقول توم برفق: «لِمَ لا ترتاحين ريثما أعدُّ العشاء؟».

تومئ برأسها. لا ترغب أن تشارك في إعداد العشاء. لا ترغب في فعل أي شيء سوى أن تنكمش على نفسها تحت الأغطية وتختبئ عن العالم.

يقول بِرَوية: «ألحَّ عليَّ أصدقاؤكِ في طلب موعد مناسب لزيارتكِ».

- لستُ مستعدة لاستقبال أي أحد بعد، باستثناء بريدجيت.

إنها ممتنة لوجود بريدجيت إلى جوارها، وفيما عداها لا تريد رؤية أي شخص آخر؛ لا تريد الإجابة عن أسئلة أحد.

- قلتُ لهم ذلك، ومع هذا يصرون على المجيء مهما حدث.

- ليس بعد.

يومئ توم.

- إنني واثق من أنهم سيتفهمون الوضع. يمكنهم إرجاء زيارتهم لما بعد. من المفترض أنكِ بحاجة إلى الراحة، على أي حال.

ينظر إليها بقلق.

- كيف تشعرين؟

تريد لو تخبره، أنها مرتعبة. لكن بدلًا من ذلك، تردُّ بابتسامة واهنة: «تسعدني عودتي إلى المنزل».

***

يُسخِّن توم المشواة، ويُتبِّل شريحة لحم، ويسرع بتقطيع السلطة وخبز الثوم قطعًا صغيرة في وعاء معًا. إنه لمن دواعي سروره أن تعود كارين إلى المنزل.

رغم هذا ما تزال هناك مشكلة قائمة لا يمكن تجاهلها، تتعلق بالحادثة، والأسباب التي أدَّت إليها.

يريد أن يثق بزوجته.

يتذكر حينما أراد الضابط فليمنج أن يفتش المنزل هذا الصباح، وكيف بُهت عند اقتراح الشرطي لهذا الأمر. بادئ ذي بدء، جال بخاطره، عمَّ يبحث *الشرطي*؟ ثم، *ماذا لو وجد دليلًا ما؟ دليلًا قد يدينها بشيء؟* لذا أبْلغ الشرطي رفضه.

بعدها، راقبه من وراء الستائر، وقد استغرق وقتًا طويلًا، مدققًا النظر إلى المنزل، قبل أن يعود لسيارة الدورية وينطلق بها بعيدًا. عندها، ذهب توم لفعل أمرين: بحث أولًا عبر الإنترنت عن محامٍ جنائيٍّ بالمنطقة، وحدد موعدًا معه، ثم فتَّش المنزل تفتيشًا دقيقًا.

انقضى معظم اليوم في هذا التفتيش – فيما عدا وقت مستقطع لزيارة كارين في المشفى. استغرق منه المطبخ وقتًا مطولًا. فتَّش وعاء الحبوب وأكياس الطحين والأرز والسكر، وكل شيء لم يُغلف. أفرغ الخزانة والأدراج من كل محتوياتها، وبحث خلفهم. تحسس جوانب الأسطح غير المرئية عن أي شيء من المحتمل أنه قد ثُبِّت بها. تفحَّص الرفوف العلوية للخزائن، وتحت السجاد والمفارش، وداخل حقائب السفر والأحذية الطويلة والعادية، التي لا تُرتدَى إلا لِمامًا. نزل إلى القبو، وتنفَّس هواءً عطِنًا، وانتظر حتى تتكيف

عيناه الإضاءة الخافتة. بالكاد وجد شيئًا بالأسفل –المغسلة وبعض الصناديق المهملة وحسب. لا يلجآن إلى استخدام القبو إلا للتخزين في الغالب. فتَّش القبو كله؛ حتى إنه بحث خلف غرفة التدفئة. في النهاية، ذهب ليفتش المرأب. في أثناء تنقيب المنزل، اعتراه شعور غريب باستنكار نفسه وما يفعله. *ما الذي يفعله بحق الجحيم؟ ما الذي يبحث عنه؟* لم يجد شيئًا، لا شيء على الإطلاق. شعر بالغباء والإحباط والخجل من نفسه.. ومن ثم، بالارتياح.

بمجرد أن انتهى، أخذ يرتب كل شيء في مكانه مرة أخرى، كما كان بالضبط، حتى لا تعلم كارين بما فعل. وبعد ذلك، خرج ليصحبها من المشفى.

عند نضوج شريحة اللحم، يحملها إلى الداخل، ثم يصعد الدرج ليخبر كارين أن العشاء جاهز.

يجلسان إلى طاولة المطبخ ليتناولا الطعام. يقدم توم لها نبيذًا أحمر، فتهزُّ رأسها بلطف.

يقول: «أوه، صحيح. لقد نسيتُ أنه لا يمكنكِ شرب الكحول، ما دمتِ تتعاطين مسكنات للألم».

يضع النبيذ جانبًا، ويجلب مياه فوارة بدلًا منه.

يتأمل زوجته عبر الطاولة، وشعرها البني ذا القصَّة القصيرة والخصلات المتدرجة المنسابة على جبهتها، والابتسامة الجانبية الشاحبة الحزينة على محيَّاها. لولا هذه الكدمات، لصدَّق أن لا شيء قد تغير على الإطلاق.

كأن الحال عاد كما السابق، إنما في الواقع لم يعد أي شيء كسابق عهده.

***

تستيقظ كارين في الصباح الباكر، قبل شروق الشمس. تنهض بهدوء وتسحب رداءها. تغلق الباب وراءها وتنزل الدرج متجهة إلى المطبخ.

تعلم أن النوم لن يأتيها بعد أن جفاها. تضع إناء القهوة وتُشغِّل الماكينة، وبينما تنتظر، تتطلع إلى الخارج، عاقدة ذراعيها، تستأنس بهذا الصوت المألوف لتحضير القهوة ورائحة التخمير.

مع بزوغ الفجر، يتصاعد ضوء ضبابي في الحديقة الخلفية. يتعلق بصرها بما ترى خارج الباب الزجاجي المنزلق مَلِيًّا، في محاولة يائسة لتتذكر. تشعر أن حياتها تتوقف على تذكر ما حدث ليلة الحادثة.

الفصل التاسع

يدخل توم المطبخ بهدوء، ويجد كارين عند الطاولة وأمامها كوب من القهوة، فيقول: «صباح الخير».

يبدو أن قهوتها قد بردت منذ مدة. يتساءل متى استيقظت.

ترفع عينيها ناظرة إليه.

- صباح الخير.

يبدو مظهرها الفوضوي في ردائها جذابًا. يكتنفه شعور بالامتنان لوجودها إلى جواره، بل لوجودها في حياته نفسها؛ لقد خَشِيَ أن يفقدها في ليلة الحادثة تلك. ومع هذا، يشعر أن حياتهما هشة من ناحية أخرى، كما لو أنهما يسيران على زجاج مكسور.

- هل نمتِ جيدًا؟

تعترف: «ليس بالقدر الكافي. أتريد قدحًا من القهوة؟».

- من فضلكِ.

تنهض وتقبِّله من فمه، كما اعتادت أن تفعل بالضبط. ثم تبتعد عنه ورأسه يدور. تصبُّ له كوبًا من القهوة وتباشر في تحضير الفطور.

يخبرها بنبرة حازمة: «لا تفعلي شيئًا، اجلسي. دعيني أهتم بذلك».

يحمص الخبز ويكسر البيض في المقلاة. يتابع حديثه معتذرًا: «يجب أن أعاود الالتزام بالذهاب إلى العمل قريبًا. أتمنى لو بإمكاني البقاء معكِ في المنزل، لكن لدينا أعمال متأخرة حقًّا في الوقت الحالي...».

تطمئنه بابتسامة قائلة: «لا داعي لذلك، لا بأس. أنا بخير حقًا. لا حاجة بك للعناية بي طوال الوقت. أعِدكَ بألا أرهق نفسي بأعمال المنزل».

هنالك ما يريد أن يخبرها به أيضًا، ولا يوجد سبيل لتجنبه. يصمت للحظة رافعًا عينيه عن المقلاة.

- لدي أمر آخر يجب أن أخبركِ به.

- ما هو؟

- لقد حددتُ موعدًا مع محامٍ.

يلمح وميضًا مباغتًا من الخوف بعينيها. تعضُّ شفتها السفلى في توجُّس.

- متى الموعد؟

- إنه هذا الصباح في الساعة العاشرة.

تلتفت بعينيها جانبًا.

- أوه. إنه موعد قريب للغاية!

- إننا نواجه تهمة خطيرة يا كارين.

تردُّ عليه بحدَّة: «أعلم ذلك، لا داعي لتذكيري».

يتوتر كلاهما بغتة. يتمنى توم لو لم يضطرا إلى استدعاء محامٍ، لو لم تكن هناك حادثة قط، لو لم تخرج متعجلة من المنزل في تلك الليلة، تغمره للحظة موجة من الغضب تجاهها، لكن ما حدث قد حدث، وانتهى الأمر. أما الآن، فعليهما أن يبذلا أقصى ما بوسعهما لمجابهة هذا الموقف. ينتبه أنه يجزُّ على فكه، فيحاول الارتخاء، ويكتم غضبه في قلبه.

***

يقع مكتب المحامي في بناية إدارية شاهقة، قريبة من منطقة سكنهما. ظلَّت كارين صامتة طوال المسافة القصيرة بالسيارة، ولم يتفوَّه توم بكلمة كذلك.

لا يوجد مكان لم تطله الشمس بموقف السيارات، في هذا الطقس الحار. ومع تقدمهما إلى داخل البناية، تلِفهما برودة مكيف الهواء، مما يبعث على الارتياح. يستخدمان المصعد لينقلهما إلى الطابق السادس.

لدى وصولهما، يجدان قاعة الانتظار خاوية. يختلس توم النظر إلى كارين بطرف عينه. لم تنطق بكلمة، ولم تمدَّ يدها نحو إحدى المجلات الموضوعة على منضدة قصيرة. تلزم مقعدها بصمت في انتظار المقابلة، ولم يستغرق انتظارهما طويلًا.

تقول موظفة الاستقبال: «السيد والسيدة كروب، تفضلا بالدخول الآن».

تقودهما نحو باب المكتب، وتفتحه لهما، ثم تغلقه خلفها.

يشبه المكتب بالداخل أي مكتب محامٍ آخر -لا يختلف عن مكتب الوكالة العقارية حيث ابتاع توم هذا المنزل بطريق دوجوود درايف قبل أن يتعرف كارين. يوجد مكتب ضخم عليه ملفات عِدَّة مُتَرَاصَّة بعناية على سطحه. وفيما وراء المكتب، يجلس المحامي جاك كالفن -شعره أسود مجعَّد ضارب إلى البياض، لذا يعتقد توم أنه في منتصف الأربعين- وينهض ليصافحهما، ثم يشير بيده ليتفضلا بالجلوس.

يسأل المحامي: «كيف يمكنني مساعدتكما؟».

ينظر إليهما في اهتمام بعينين حادتين يطل منهما دهاء شديد. يتراءى لتوم ما قد يجول في باله، *ما الذي جاء بهذين الزوجين اللطيفين إلى مكتبي هنا؟*

لم تزل كارين صامتة، ربما وجودهما في مكتب محامٍ جنائيٍّ يبعث في قلبها الرهبة. لذلك يباشر بالتحدث قائلًا: «لقد اتصلتُ بمكتبك بالأمس، بشأن مخالفة مرورية حُررت ضد زوجتي في أعقاب حادث سير».

يقول الرجل بنبرة لطيفة، بالكاد: «أَطلِعْني على المزيد؛ تأتيني الكثير من قضايا المخالفات المرورية. لديَّ دراية بالتعامل مع هذه القضايا، وخاصة فيما يتعلق بمخالفات القيادة في حالة سُكر. هل نحن بصدد مخالفة كتلك؟».

تلمع عيناه، فيما يولي كارين نظرة سريعة متفحصة.

يعقِّب توم: «لا».

ويشرح ظروف الحادثة.

- لا دخل للقيادة تحت تأثير الكحول بهذه المخالفة على الإطلاق. لكنها مع الأسف، تخطَّت السرعة المقررة قانونًا، و...

يقاطعه المحامي.

- عذرًا على مقاطعتك. من الأفضل أن تدعها تخبرني بما حدث، بنفسها.

يلقي توم نظرة إلى كارين، التي يبدو عليها التوتر، فيما يراقبها المحامي من كثب مترقبًا. ولمَّا لم يقل كلاهما شيئًا للحظات، يجول ببصره بينهما سائلًا: «هل ثمَّة مشكلة؟».

تتحدث كارين أخيرًا، وتجيب: «أجل، فأنا لا أتذكر الحادثة. لا أتذكر أي شيء عنها».

تُقطِّب جبينها معتذرة.

يسألها كالفن: «أحقًّا لا تتذكرين؟».

تقول: «لا يمكنني تذكر تلك الليلة بأكملها. كأنها مُحيت من ذاكرتي».

يقول توم: «هذا ما حدث بالضبط. لقد أُصيب دماغها بارتجاج شديد، ولم تخرج من المشفى إلا الأمس».

يتطلع إليهما المحامي وكأنه مندهش مما يسمع.

- هل فقدان الذاكرة حقيقي؟ أم أن هذه مجرد حيلة للدفاع؟ رغم أنكِ لستِ بحاجة إلى ادِّعاء ذلك. إنني محاميكِ. ويمكنكِ أن تتركي لي مسؤولية الدفاع عنكِ.

يردُّ عنها توم في نبرة حازمة: «لم نحاول ادعاء شيء؛ إنها تعاني حالةَ فقدان للذاكرة بالفعل. ويؤكد الأطباء أن هذه الحالة مؤقتة، وستسترد ذاكرتها قريبًا».

ينظر إلى كارين، وقد شحب وجهها. تصاحبها نظرة الألم هذه، منذ وقوع الحادثة؛ وتشير إلى بداية نوبة جديدة من الصداع.

يقول المحامي، ناظرًا إلى كارين في فضول: «فهمت».

يعطيه توم المذكرة التي تسلَّماها من الشرطة. يقرؤها كالفن سريعًا ثم يرفع عينيه.

يقول ناظرًا إلى كارين ثانية: «إن ذلك الطرف من المدينة غير صالح لتذهب إليه امرأة مثلك».

لم تزل بمقعدها جالسة باعتدال، وبهدوء تام. لذا يلتفت المحامي إلى توم:

- ما الذي جعلها تذهب إلى هناك؟

يجيبه توم: «لا أدري».

يكرر كالفن وراءه: «لا تدري».

ويحدِّق إليهما كما لو أنه لا يعرف ما يقول. يخيِّم على المكتب صمت طويل، ثم يردف أخيرًا: «إن تهمة القيادة المتهورة مسألة جدية. لا يصحُّ الاستهانة بخطورتها».

يمعن التفكير للحظات، ثم يستطرد: «استمعا لهذا الاقتراح. أحتاج أولًا إلى عمل توكيل اليوم. ومن ثم، سأسعى لإرجاء ميعاد المثول أمام المحكمة، ريثما تتذكر ماذا كانت تفعل في ذلك المكان، ولماذا قادت سيارتها بتهور هكذا. فمن المحتمل أنه لديها سبب وجيه بالفعل، أو سبب يخفف عقوبتها على الأقل. وإذا لم يتوفر لديها سبب مُقنع، فإننا نحتاج إلى معرفة ذلك، على أي حال».

ينظر توم إلى زوجته، فيجدها تحدِّق إلى الأسفل هذه المرة. فيما يمدُّ يده ليخرج دفتر شيكاته.

يقول كالفن موجهًا حديثه إلى كارين: «إذا تذكرتِ أي شيء، اكتبيه رجاءً، حتى يظل حاضرًا بذهنك عندما نلتقي المرة القادمة».

ثم يضيف: «واتصلي بي إذا تذكرتِ شيئًا».

تومئ كارين.

- سأفعل.

- أو.. إذا رغبتِ في مقابلتي دون حضور زوجكِ.

توجِّه إليه نظرة حادة، وهي تهزُّ رأسها قائلة: «لن أرغب بذلك بالطبع. ليس لديَّ ما أخفيه عن زوجي».

يرقبها توم بعينيه. *هل تعني هذا حقًّا؟*

بينما يوقِّعان التوكيل الرسمي، وقبل أن يَهُمَّا بالمغادرة، يستوقفها كالفن سائلًا: «ألديكِ سجل جنائي؟».

تستدير فيما تجيبه، ناظرة في عينيه مباشرة: «لا».

يبادلها كالفن نظرة محدِّقة، تبعث به شعورًا بالقلق، فيدرك أن المحامي لا يصدِّقها، على الإطلاق.

في طريق العودة إلى المنزل، يزداد الهواء كثافة، ممتزجًا بتوتر مشحون وأسئلة بلا إجابة بعد. يحبُّ القيادة وكارين إلى جانبه. لقد أمضيا أسعد

المنضدة. إن لديها هَوَسًا بالنظافة بعض الشيء، حتى إنها ألقت نظرة أخيرة بنفسها على المطبخ قبل أن تلحق بتوم عند الباب الأمامي، وينطلقا إلى حيث مكتب المحامي. أرادت أن تتأكد أن الباب الزجاجي المنزلق بالمطبخ مغلق بإحكام. دومًا ما تتحقق من غلق الأبواب؛ ولهذا انزعجت للغاية عندما أخبرها توم أنها في ليلة الحادثة، لم تقفل الباب خلفها، ولم تطفئ الأنوار، ولا حتى أخذت معها حقيبة يدها. لو أنها فقط تتذكر ما حدث ليلتها!

تحمل الكأس بتردد، وتنظر بداخلها، تقرِّبها من أنفها لتشمَّها. إنها فارغة، ولكنها متأكدة أنها مُلئت بالماء في وقت سابق. كما لو أن شخصًا ما دخل إلى هنا وصبَّ لنفسه بعض الماء من الصنبور، قبل أن يتجه إلى الخارج مجددًا في هذا القيظ.

تضربها ومضة ألم أخرى، وتشعر بالدوار بغتةً، فتحاول التمسك بحافة المنضدة، وتفلت الكأس من يدها، لتتهشم على الأرضية في صوت مدوٍّ.

تحدِّق إلى الزجاج المكسور عند قدميها، فيما تلتقط أنفاسها بصعوبة وترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها. عندها تستدير مهرولة نحو غرفة المعيشة، وتمسك سماعة الهاتف، وتضرب رقم الاتصال السريع الخاص بهاتف بريدجيت.

تقول بمجرد أن تجيب: «بريدجيت! هلَّا تأتين إلى هنا؟ عجِّلي!».

لم تحاول أن تداري شعورها بالذعر ورجفة الخوف بصوتها؛ لا تريد سوى بريدجيت إلى جوارها في الحال. لا تريد أن تبقى وحيدة في المنزل.

تقول بريدجيت: «بالطبع، سآتي إليكِ على الفور».

تنتظر كارين بفارغ الصبر بالخارج عند الشرفة الأمامية. بعد لحظات، ترى بريدجيت وهي تهرول خارجة من باب منزلها وتعبر الطريق. شكرًا للرب على وجود بريدجيت وقتما تحتاج إليها.

تسألها: «يا إلهي، ماذا هنالك يا كارين؟ كأنكِ رأيتِ شبحًا».

تقول لها كارين: «دخل أحدهم إلى المنزل».

يظهر الاندهاش على وجه بريدجيت.

- ماذا؟ ماذا تقصدين؟

تحثُّها كارين على الدخول.

ذكرياته معًا، في هذه السيارة، طوال رحلاتهما إلى الريف لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بمفردهما؛ يتذكر الحقائب المكدَّسة بالمقعد الخلفي، ورأسها يميل إلى الوراء ضاحكةً، ...

يا لها من راحة أن يرنَّ هاتفه الخلوي بهذه اللحظة. يتلقى المكالمة، ثم يلتفت إليها معتذرًا.

- يجب أن أذهب إلى العمل لبعض الوقت.

- لا بأس.

- أأنتِ بخير؟

- أشعر بالصداع.

تغمض عينيها وتريح رأسها على ظهر مقعدها.

عند وصولهما إلى المنزل. ينحني توم إليها ويقبِّلها قبل أن تخرج من السيارة.

- لا ترهقي نفسك، وخذي قسطًا من النوم. سأحاول العودة إلى المنزل في وقت مبكر.

تُلوِّح له وهي تحجب عينيها عن أشعة الشمس، فيما يقود للوراء خارجًا من الممر. يلوِّح لها بدوره، وينطلق مبتعدًا. يعتريه قلق مما يخبئ لهما المستقبل، متسائلًا عما إذا لدى زوجته أسرار لم تطلِعه عليها بعد.

الفصل العاشر

بمجرد رحيل توم، تلتفت كارين صوب المنزل وتخطو إلى الداخل. لقد أثارت مقابلة المحامي أعصابها؛ لا يَخفَى عليها اعتقاده بأنها تكذب. تضغط أصابعها على عينيها المرهقتين. تشق طريقها نحو المطبخ وتفتح مجمِّد الثلاجة وتختطف الكمادَة الثلجية، التي أُعطيت إياها عند خروجها من المشفى، لكي تستخدمها بين الحين والحين في تخفيف تورم وجهها. أما الآن، فتضعها على جبهتها. تُشعرها هذه البرودة بالراحة. تجلس إلى طاولة المطبخ مغمضة العينين، وبيدها الكمَّادَة، تحرِّكها ببطء على رأسها، في محاولة لتخفيف هذا الألم النابض.

يا له من يوم شديد الحرارة، تحسُّ بالعرق يتصبب داخل بلوزتها، حتى مع وجود مكيف الهواء. ربما يجب عليها أن تقلل درجة حرارته. تخِفُّ شدة الألم برأسها قليلًا، فتفتح عينيها. تحدِّق إلى منضدة المطبخ، التي غيرتها بواحدة جديدة عندما انتقلت إلى المنزل. ما تزال تحبُّ النظر إليها -إلى سطحها الأسود الأملس اللامع والمرقَّط بلون فضي. أما في هذه اللحظة، فكل ما تراه أمام ناظريها هي تلك الكأس الزجاجية بجوار الحوض.

تحملق في الكأس، ثم تجول بنظرها في المطبخ، لكن لا شيء في غير مكانه.

لم تكن هذه الكأس على المنضدة بجوار الحوض، عندما غادرا في الصباح لمقابلة المحامي. إنها واثقة من ذلك؛ فقبل ذهابهما، حرص كلاهما -وبخاصة توم- على ترتيب المطبخ، ووضعا أطباق الفطور المتسخة في غسالة الصحون ونظَّفا المنضدة والطاولة. فهي تكره أن تُترك الأطباق على

- دخل شخص ما إلى هنا، بينما كنت وتوم بالخارج هذا الصباح. لقد عدتُ توًّا، وعندما ذهبت إلى المطبخ...

تعجز عن المتابعة.

تستفهم بريدجيت قائلة: «هل رأيتِ أحدًا؟ هل وجدتِ شخصًا ما في المطبخ؟».

تهزُّ كارين رأسها: «لا».

صارت أهدأ قليلًا الآن، مطمئنة إلى وجود بريدجيت بقربها. كم هي محظوظة أن تجد صديقة وفيَّة تسكن في المنزل المقابل لها. مهما تكن المعضلة التي تواجهها، تعرف أن بريدجيت ستترك كل شيء وتهرع لتمد لها يد المساعدة. تتمنى لو تخبرها لماذا ترتعب حتى هذا الحد. لكن لا يمكنها البوح بالحقيقة لأقرب صديقاتها، أو حتى لزوجها.

تراقب بريدجيت المتوجهة نحو المطبخ، حتى تتوقف عند عتبته، وتجول ببصرها في أرجائه بصمت. وبعد هنيهة، تعود بهدوء إلى جانب كارين.

- ماذا حدث بالضبط، يا كارين؟

- عندما وصلتُ إلى المنزل، ذهبتُ إلى المطبخ. ووجدتُ هناك كأس ماء فارغة على المنضدة. لم يكن هناك شيء عليها عندما غادرنا في الصباح. لا بد أن شخصًا ما، غيرنا، تركها هناك.

تسأل بريدجيت: «هل أنتِ واثقة؟».

- أجل، إنني واثقة تمام الثقة! هل تعتقدين أنني قد أنزعج لهذه الدرجة لو لم أكن واثقة؟

توجِّه إليها بريدجيت نظرة قلقة. بعدها تنظر إلى المطبخ، ثم إلى كارين ثانية.

- كيف تهشَّمت الكأس؟

- حملتها لألقي نظرة عليها، عندها أصبتُ بالدوار.. وسقطت من يدي.

تنظر بريدجيت إليها في اضطراب.

- ربما ينبغي لنا أن نتَّصل بتوم.

***

يقود توم عائدًا إلى المنزل بأقصى سرعة ممكنة، فيما تتصارع الأفكار بذهنه. لدى وصوله، يخرج من سيارته على عجل، ويقفز الدرجات الأمامية. يندفع إلى غرفة المعيشة ويرى كارين مستلقية على الأريكة، وفوق جبهتها كمَّادَة ثلجية، بينما تقف بريدجيت بالقرب منها.

- عزيزتي كارين، هل أنتِ على ما يرام؟ ماذا حدث؟

تجاهد للجلوس معتدلة، ثم تعطي الكمادَة إلى بريدجيت، التي تأخذها منها وتعيدها إلى مجمِّد الثلاجة تلقائيًّا.

تجيبه: «لا أعرف. عندما عدتُ إلى المنزل، وجدتُ كأسًا على المنضدة. إنني متأكدة أننا لم نترك شيئًا هناك قبل مغادرتنا هذا الصباح. اعتقدتُ أن أحدهم دخل إلى المنزل في غيابنا».

يتجه توم نحو المطبخ، ويتوقف عند الباب لدى رؤية الزجاج المكسور. تلتقي عيناه بعيني بريدجيت، وهي تغلق باب الثلاجة، ويمشي بحذر متفاديًا شظايا الزجاج المتلألئة.

تتقدم كارين وتقف بجانبه قائلة: «أنا من أوقع الكأس».

ينظر توم إليها بقلق، ويقول: «هل أنتِ واثقة من أنها لم تكن على المنضدة قبلًا؟ ربما نحن من تركناها».

يحاول أن يتذكر ما إذا أعدَّ لنفسه كأسًا من الماء في الصباح، ومن ثم تركها على المنضدة، ولا يستطيع تذكر شيء. لديه الكثير من الأمور التي تشغل باله، لذا تسقط بالعادة تفاصيل مثل هذه من ذهنه.

تهزُّ رأسها قائلة: «لا أعرف. لكنني تأكدتُ من ذلك بالفعل. ألقيتُ نظرة أخيرة على المطبخ قبل مغادرتنا، للتأكدِ من أن الباب الخلفي مغلق. كما أعتقد أننا وضعنا كل شيء في...».

- تعالي، اجلسي.

يعيدها توم إلى الأريكة مجددًا، بينما تباشر بريدجيت لَمْلمة الزجاج المكسور. يتركها جالسة ويذهب ليلقي نظرة في أرجاء المنزل. لا شيء مفقود. لا شيء في غير محله، على قدر ما يتراءى له.

عند عودته إلى غرفة المعيشة، يجد بريدجيت جالسة على المقعد الوثير في مقابل الأريكة حيث تستلقي كارين. ترتدي ثيابًا تناسب الجو الحار

بنطالًا قطنيًّا خفيفًا وفوقه قميص دون أكمام، وشعرها البني الطويل متهدلٌ على كتفيها. وبينما يراقبها، ترفع شعرها وتربطه لأعلى.

يلتفت إلى كارين مردفًا بلطف: «لا أعتقد أن أحدهم دخل إلى المنزل».

تتطلع إليه كارين ثم تنظر بعيدًا.

- هل تعتقد أنني أتخيل هذا؟

يقول لها بهدوء: «لا أعتقد أنكِ تخيلتِ أي شيء. بل أرى أنكِ لا تتذكرين بوضوح ما إذا تركنا الكأس هناك أم لا. لقد احتاج كلانا إلى شرب الكثير من الماء في هذا الجو الحار؛ فربما ترك أحدنا الكأس على المنضدة. ربما أنا من فعل ذلك.. لا أتذكر بالضبط».

يذكِّرها بنبرة ودودة: «ما زلتِ في مرحلة التعافي، يا كارين. تعرفين ما قاله الطبيب أنكِ قد تواجهين خللًا بسيطًا في الذاكرة قصيرة المدى لبعض الوقت. من المحتمل أن الكأس قد تُركت هنا من قبل، ولا تتذكرين».

تُعقِّب دون تصديق: «محتمل».

يلتفت نحو بريدجيت قائلًا: «سأتولى الاعتناء بها. أشكركِ على سرعة استجابتكِ للمساعدة».

تردُّ: «هذا واجبي».

تقول كارين في امتنان، وبريدجيت تنهض عن المقعد: «لا أعلم ماذا كنت لأفعل من دونكِ يا بريدجيت».

يرقبها توم وهي تعانق زوجته برفق؛ بينما تعانقها كارين بحرارة.

ثم يقول: «وأشكركِ على إزالة الزجاج المكسور».

- لا بأس.

تبتسم لكارين.

- أراكِ في وقت لاحق.

تعبر بريدجيت الطريق عائدة إلى منزلها، بينما يقف وزوجته عند الباب لتوديعها. من مكان وقوفه خلف كارين، متراجعًا قليلًا عنها، يتأمل بريدجيت، وفي نفس الوقت، يتأمل زوجته.

الفصل الحادي عشر

يتوقف المحقق رازباك هنيهةً متأملًا المنطقة من حوله. هناك ساحة عامة متهالكة على الطرف الآخر من الطريق، لم تبق بها محال تعمل، غير بقالة، ومغسلة ملابس، ومتجر بيع بضائع متنوعة بسعر موحد. يبدو الحي بأكمله مُكئِب للغاية، حتى في نهار يوم صيفي مشمس كهذا اليوم. يلتفت لمواجهة مسرح الجريمة في مطعم خَرِب، تتوارى نوافذه وأبوابه خلف ألواح خشبية، لكن ربما انتزع أحدهم بعض الألواح التي تغطي النافذة الأمامية ليختلس النظر، أو ربما سقطت من تلقاء نفسها مع مرور الزمن. يلتف رازباك حول ذلك البناء الخَرِب وصولًا إلى جهته الخلفية. يومئ إلى بعض الاختصاصيين الجنائيين، ثم، يتخطى الشريط الأصفر لمسرح الجريمة.

يدخل المطعم من الباب الخلفي العَفِن، العاري من أي ألواح لتغطيته كما الباب الأمامي للمطعم –وحتى لو تم تغطيته في الماضي، فلا أثر للوح بالجوار. يمكن لأي أحد أن يدخل ويخرج منه. تصدِمه الرائحة بمجرد دخوله، فيحاول أن يتجاهلها.

لا توجد سوى منضدة طعام طويلة قديمة الطراز على يساره، ولا طاولات ولا مقاعد أخرى، جُرِّد المكان من محتوياته –حتى المصابيح العلوية مفقودة. لكن هناك أريكة قديمة بجانب الجدار، وحولها بعض علب الجِعَة الفارغة على الأرضية. يتسلل ضوء شمس ضئيل من بين الألواح المفقودة على النوافذ، أما معظم الإضاءة فمصدرها المصابيح التي وزَّعها الفريق الجنائي في الأرجاء. البلاط المصنوع من المُشَمَّع متسخ ومتشقق، والجدران مُسودَّة وملطخة بدخان السجائر، وعلى الأرضية يتمدد رجلٌ ميت.

إن الرائحة لا تُطاق. هذه نتيجة طبيعية، عندما لا تُكتشف جثة أحدهم إلا بعد عدة أيام، وخاصة، في هذا الطقس الحار. وتلك الرائحة المنبعثة من الجثة نتنة للغاية.

يسْكُن رازباك مكانه في منتصف المطعم عَطن الرائحة، مرتديًا بِذلة أنيقة باهظة، مفكرًا أنه سيضطر إلى إرسالها إلى مغسلة التنظيف الجاف، فيخرج زوجين من القفازات الواقية من جيبه.

يقول ضابط في زيه الرسمي: «لقد أبلغ شخص ما عن الجثة، ولم يخبرنا باسمه».

يومئ له المحقق بتثاقل، ثم يتقدم نحو الفوضى الدموية التي تلطِّخ الأرضية. يتمهل واقفًا لعدة دقائق مدققًا النظر إلى الجثة. إنه رجل داكن الشعر، ربما في منتصف الثلاثين أو آخرها، وثيابه باهظة، مكونة من بنطال أسود، وفوقه قميص رسمي، صار مكسوًّا بدماء داكنة متجلطة، ومغطًّى بالذباب. تلقَّت الضحية طلقتين بالوجه، وأخرى بالصدر، وقد اختفى حذاؤه، ولم تبق سوى جوارب أنيقة تغطي قدميه، كما اختفى حزام بنطاله.

يسأل رازباك أحد الاختصاصيين على الناحية الأخرى من الجثة، بينما يتأمل ذلك الجسد الهامد مفكرًا: «هل عُثر على سلاح الجريمة؟».

- لا، ليس بعد.

ينحني رازباك مقتربًا من الجثة بِرَويَّة، كاتمًا أنفاسه. يلاحظ الظلال القاتمة حول الإصبع، مما يدل أنه انتُزِع منه خاتم ما مؤخرًا، وكذلك العلامة الباهتة حول المعصم، تشير أنه ارتدى ساعة يد. لقد تعرَّض للسرقة، لكنه يعتقد أنه لم يُقتل من أجل سرقته. ما الذي أتى بهذا الرجل إلى هنا؟ إنه لا ينتمي إلى هذا المكان، ولا إلى هذا الحي. وكأنه جاء لتُسفك دماؤه، رغم إصابته برصاصة في وجهه وليس في مؤخرة الرأس. تشير جثة الرجل أنه ميت منذ نحو يومين أو ربما أكثر؛ حيث انتفخ وجهه وتشوهت معالمه.

- هل توصلنا إلى معرفة هويته؟

- لا، لم نجد معه بطاقة هوية، بل لا يحمل أي شيء في الواقع عدا ملابسه.

يسأل رغم توقعه الإجابة: «هل هناك شهود؟».

- لا أحد، حتى اللحظة.

يقول متنهدًا بعمق: «حسنًا».

ستُرفع الجثة عما قليل، وتُرسل إلى الطبيب الشرعي لتشريحها، ورفع البصمات عنها، للبحث عن أي تطابق لها في الملفات الجنائية. وإذا لم يُتعرَّف عليه من خلال البصمات، سيتعين البحث عن تطابق له في قائمة الأشخاص المفقودين، وهي مهمة شاقة، لكن معظم عمل الشرطة شاق بطبيعة الحال. وفي الغالب، العمل الشاق وحده هو الذي يؤتي ثماره.

سيستمر البحث عن سلاح الجريمة، إنما، بالنظر إلى الطلقات، من المحتمل أن السلاح المستخدم هو مسدس عيار ثمانية وثلاثين، وتخلَّص منه مُطلق الرصاص بعيدًا عن مسرح الجريمة، أو التقطه شخص آخر ويتكتَّم على الأمر. لا يستغرب رازباك أن يُسرق حزام البنطال والحذاء، وكذا المحفظة وخاتم الضحية، والهاتف الخلوي -بلا شك- في حي مُقفِر كهذا.

بعد الانتهاء من فحص الجثة، وإتمام المسح الموسَّع لرفع البصمات، لم يعثروا -خلاف الجثة نفسها- إلا على زوجي قفاز مطاطي وردي اللون وعليه زهور مطبوعة، مُلقى في موقف سيارات صغير عند المنعطف، في محيط مسرح الجريمة. لا يظن رازباك أن لهذا الأمر أي علاقة بضحية المطعم، ومع هذا، وضعهما في حقيبة حفظ الأدلة، على أي حال. وما يدريه لعل لهما علاقة ما.

تفرق بعدها الجميع -رازباك، وبصحبته محقق آخر يُدعى جينينجز، واثنان من ضباط الشرطة- وقضوا الليل في تفقد المنطقة بيتًا بيتًا للبحث عن شهود.

لا غرابة أنهم عادوا خالي الوفاض.

***

يتوقع الطبيب بيريرا، الطبيب الشرعي، حضور المحققين في صباح اليوم التالي.

يقول، مبديًا السرور لرؤيتهما: «مرحبًا أيها المحققان».

يعرف رازباك أن الطبيب بيريرا يسعد عندما تأتيه زيارة من المحققين الجنائيين، مما يجعله متعجبًا أنه حتى بعد مرور ما يقرب من عشرين عامًا، لم تنجح طبيعة عمله الموحشة، بوصفه طبيبًا شرعيًّا، بالتأثير على روحه المعنوية المرتفعة على الإطلاق. كما لو أنه من المستحيل أن تُزعج آثار

الطعن والغرق والطلق الناري وحوادث السير، هذا الطبيب الاجتماعي بطبعه والمتفائل على الدوام.

يحمل بين يديه وعاءً به حلوى نعناع في ورق مفضض، تساعد على احتمال الرائحة. يمدُّ كلا المحققين يده ويأخذ واحدة، وتصدر خشخشة عن أغلفة الحلوى في أثناء فضِّها. يبسط الطبيب بيريرا يده ليأخذ منهما الأغلفة ويلقيها في سلة المهملات.

يسأل رازباك، بينما يتحلقون حول طاولة فولاذية طويلة، ناظرين إلى الجثة الممددة فوقها: «ماذا لديك لتخبرنا به؟».

يمتن رازباك إلى أن جينينجز دومًا ما يتمتع بأعصاب من حديد، مثله تمامًا، كما يبدو عليه الحماس والفضول وعدم الانزعاج من المجزرة التي تجري على طاولة التشريح، حتى إن حلوى النعناع تبرز عند وجنته دون أن تُمتص بعد.

يخبرهما الطبيب بنبرة مرحة: «إنه ذكر قوقازي، في أواخر الثلاثين من عمره، جسده سليم، وبصحة جيدة. اخترقت الطلقة الأولى صدره، والثانية وجنته، أما الطلقة الثالثة، فاخترقت دماغه مباشرة، وهي ما أردَته قتيلًا. جاءت ميتته سريعة إلى حد ما، وقد أُطلق عليه النار من مسافة قريبة -على بُعد يتراوح بين ستة إلى ثمانية أقدام- باستخدام مسدس عيار ثمانية وثلاثين».

يومئ رازباك، ثم يسأل: «متى مات تحديدًا؟».

يلتف نحوه الطبيب.

- أعرف كم تهتمون بالحصول على توقيت محددٍ لساعة الوفاة، يا رفاق، لذا أبذل قصارى جهدي، حقًّا، ولكن عندما ترسلون إليَّ جثة لم تُكتشف لبضعة أيام، تعرفون كيف يؤثر ذلك في قدرتي على تحديد وقت الوفاة بدقة.

يعلم المحقق رازباك أن الطبيب بيريرا يعمل بمثالية شديدة، ونتائج أبحاثه في منتهى الدقة دائمًا.

يقول له برحابة صدر: «أُقدِّر جهدك. إنني أفضِّل معرفة تخمينك للوقت على تخمين أي طبيب آخر».

يبتسم الطبيب.

- لقد أجريتُ تشريحًا للجثة ليلة الأمس. ومن خلال ملاحظة حالة التحلل واليرقات التي وُجدت داخلها -مع الوضع في الاعتبار، الطقس الذي اشتدت حرارته هذه الأيام- أُقدِّر أنه مات منذ نحو أربعة أيام، وقد تزيد هذه الفترة أو تقل يومًا واحدًا».

يحتسب رازباك الفترة المقدرة.

- إذن، فنحن نتحدث عن أربعة أيام منذ ليلة أمس، مما يعني أنه ربما مات ليلة اليوم الثالث عشر من شهر أغسطس.

يومئ الطبيب.

- لكن مع الأخذ بالحسبان، أنه ربما قُتل في يوم أسبق، مساء الثاني عشر من أغسطس، أو في يوم متأخر، مساء الرابع عشر من أغسطس، أي في وقت يتراوح بين هذين اليومين.

يتطلع رازباك إلى الجثة الممددة على الطاولة الفولاذية، وكأنها قد تخبرهم بما حدث.

***

بمجرد عودتهما إلى مكتب الشرطة، يختار رازباك إحدى غرف الاجتماعات الكبرى، الخاصة بمركز القيادة، ويوجِّه تعليماته إلى الفريق الخاص الذي كوَّنه. يُعدُّ هو وجينينجز المحققين الرئيسيين لهذه الجريمة، بالإضافة إلى بعض ضباط الشرطة من قسم الدورية، الذي انتقاهم للمساعدة في التحقيق.

يقول رازباك: «ما زلنا نجهل هوية هذا الرجل. ولم نجد تطابقًا لبصماته في أي ملف للمفقودين أو في أي ملف آخر في قواعد البيانات. لنبدأ بتعميم الخبر ونشر وصف الجثة وصور لها في الهيئات القضائية المنوطة ووسائل الإعلام، ولنرى إذا ما سنتوصل إلى معرفة هويته؛ هناك احتمال أن يتعرَّفَه أحد ما».

يقرر رازباك أن يفحص جميع سجلات الشرطة خلال الثماني والأربعين ساعة الماضية، وهي الفترة ما بين مساء يومي الثاني عشر والرابع عشر من أغسطس. يبحث عن أي حدث خارج عن المألوف. لا يجد الكثير؛ لم يظهر أمامه أمر غريب بعد، فيما عدا مخالفات صغيرة لحيازة المخدرات، وحادثتي سير. تبدو إحداها حادثة مرور بسيطة واعتيادية في منتصف الظهيرة، أما

الأخرى، فحادثة لسيارة هوندا سيفيك في أثناء القيادة بسرعة -في منطقة مجاورة لمسرح الجريمة- واصطدمت السيارة بعمود كهرباء في قرابة الساعة 8:45 من مساء اليوم الثالث عشر من أغسطس.

وسرعان ما تسري قشعريرة في مؤخرة رقبته.

الفصل الثاني عشر

يحتسي فليمنج كوب القهوة، ويقول لرازباك: «كيف يمكننا مساعدتك؟ لا يأتي محقق جنائي إلى مكتبنا بالطرف القصي من المركز كل يوم».

يضع رازباك صور ضحية جريمة القتل على المكتب.

يميل كلٌّ من فليمنج وكيرتون إلى الأمام ليُمعنا النظر. يهزُّ كيرتون رأسه، فيما يتأمل فليمنج الصور مليًّا، وبعناية شديدة، دون قول شيء.

يقول رازباك: «لم يُعثر على الجثة لعدة أيام، حتى اليوم السابع عشر من الشهر. لم يُبلِّغ أحدهم عنها حتى ذلك الحين. أعتقد أن أول من اكتشف الأمر هم السكان بتلك المنطقة».

يردف كيرتون: «لا يمكنني التعرف عليه».

يتطلع فليمنج إلى رازباك.

- ولا أنا، لم أرَه من قبل كذلك. ما علاقة هذه الجثة بِقسمنا؟

- لقد قُتل في مطعم مهجور، يقع في شارع هوفمان، في اليوم الثالث عشر من أغسطس، أو في اليوم السابق أو التالي له على أقصى تقدير، ووفق ما علمتُ، فقد وقعت حادثة في محيط تلك المنطقة في مساء اليوم الثالث عشر.

يتبادل الشرطيان نظرة خاطفة فيما بينهما، ثم يعتدل كيرتون في جلسته، ويومئ.

- هذا صحيح.

يقول لهما رازباك: «أطلِعني على تفاصيل
- قادت السائقة بسرعة، متجاوزة الإشارات الحمراء، وانحرفت لتتفادى سيارة أخرى، لكن فقدت سيطرتها على المقود واصطدمت بعمود كهرباء.

- وهل نجتْ؟

يجيبه فليمنج، وهو ينحني مقتربًا من وراء مكتبه: «أجل، لقد نجتْ، لكن يبدو أنها تعاني فقدانَ الذاكرة».

يُعقِّب رازباك: «أنت تمزح، صحيح؟».

يقول فليمنج: «لا، لستُ أمزح مطلقًا. لكن هذا ما يُصدِّقه الجميع، حتى الطبيب وزوجها».

- فيما عداك.

- لستُ متأكدًا، حيث اتصل الزوج برقم النجدة للإبلاغ عن فقدان الزوجة في الليلة ذاتها. لقد غادرت المنزل على عجل دون حقيبتها وهاتفها، كما نسيتْ أن تقفل باب المنزل.

يلتفت رازباك تجاه الضابط كيرتون، الذي يهزُّ رأسه، ويقول: «أعتقد أنها تكذب».

يسأل رازباك: «ماذا لدينا من معلومات عن هذه المرأة؟».

يردُّ فليمنج: «اسمها كارين كروب، وهي ربة منزل عادية -إذا ما تجاهلنَ موقع الحادثة، وسبب ذهابها إلى هناك».

- ربة منزل!

- أجل. في أوائل الثلاثين، وتعمل مسؤولة حسابات، وزوجها يعمل محاسبًا. لا أطفال لهما، وتسكن في منزل جميل في ضاحية على أطراف المدينة، على مقربة من هنري بارك.

يخطر ببال رازباك، فجأة، القفاز المطاطي الوردي الذي وجده في محيط مسرح الجريمة ووضعه بحقيبة الأدلة. لقد دُهس زوجا القفاز بعجلات سيارة ما، وتركت الإطارات آثارًا عليها.

يسرع بسؤالهما: «ماذا حدث للسيارة؟».

يخبره كيرتون: «لقد جمعنا أجزاء سيارتها الهوندا سيفيك».

بطلب منهما: «أحتاج إلى فحص إطارات تلك السيارة».

يبثُّ فيه ما يجد بعض الإثارة، ويفكر أن مجرد اكتشاف علاقة بين تلك السيارة، وربة المنزل، وذلك القتيل، أمرٌ مثير للاهتمام.

يردف فليمنج: «أعتقد إذن أنك ستتولى أمر استكمال التحقيق بهذه الحادثة، أيها المحقق».

***

يغادر توم المنزل متوترًا، وكَدِرًا في صباح اليوم التالي. ارتدى بنطاله الجينز ذاهبًا إلى المكتب لمتابعة سير العمل لبضع ساعات في عطلة نهاية الأسبوع. لقد تغيَّب عن مصاحبة كارين خلال عدة زيارات إلى المشفى. بدت متعبة هذا الصباح، حيث وجدها مستيقظة بالفعل مجددًا، حين نهض عن السرير، عندما قبَّلها كان وجهها شاحبًا، رغم أن تورم وجهها والكدمات بدأت تختفي. لم تعد تشبه كارين التي يعرفها.

إنها امرأة أخرى مختلفة منذ عودتها إلى المنزل. اعتاد أن يجدها ودودة وغير معقَّدة، أما في هذه الآونة، فهي شاردة بأفكارها، وهادئة تمامًا. في بعض الأحيان، إذا اقترب منها، تجفل؛ لم يصدر عنها ذلك من قبل. تبدو له عصبية ومضطربة، ويعتقد أن موقف كأس الماء تلك مزعج للغاية. إنه متأكد أن لا أحد دخل المنزل في غيابهما، فلماذا هي شديدة الاقتناع بعكس ذلك؟ إنها تسبب لنفسها حالة من الذعر العارم حيال ذلك الأمر.

إنه يعاني الاضطراب أيضًا. هل حقًّا لا تتذكر تلك الليلة؟ *أم أنها لا تريد إخباره وحسب؟*

يتغلغل الارتياب بالأعماق، وبدأت الشكوك تساوره حول أمور، استطاع تجاهلها في السابق.

شكوكٌ تخصُّ ماضيها. عندما انتقلت إلى المنزل، لم تحضر معها سوى القليل من أغراضها. ولمَّا سألها وقتها، عما إذا لديها أغراض أخرى تحتفظ بها في مكان ما، نظرت بعينيه مباشرة، وقالت: «لا، جلبتُ ما يكفي. فأنا لا أتعلق بالأشياء القديمة. لا أحب الفوضى».

لقد تساءل مرة أو مرتين، لِمَ لا توجد لديها صداقات أو علاقات قديمة! عندما سألها عن عائلتها، قالت أن لا عائلة لها، وفهم ما قصدتْ. فقد مات

والداه أيضًا، ولم يبق له أحد غير شقيقه. إنما هي، ليس لديها أحد على الإطلاق. لديه أصدقاء من أيام الدراسة بالكلية، بينما لم يعرِف صديقًا لديها. وحين ألحَّ عليها السؤال، أخبرته أنها لا تجيد تكوين صداقات مع الآخرين. لقد عاملته كما لو أنه يهتم بأمور لا قيمة لها.

يحبُّها وتحبُّه؛ إنهما زوجان مثاليان. إذا ما أرادت ألا تخبره شيئًا عن حياتها قبل أن يلتقيا، فقد قَبِل ذلك. لم يَرتَب بأمرها قط؛ اعتبر أن حياتها مسألة شخصية، غير قابلة للمشاركة.

أما في الوقت الحالي، فلا يظن أنه راضٍ عما تريد. لقد صار مدركًا أنه يجهل الكثير من الأمور التي تخص زوجته.

***

يصل المحققان، رازباك وجينينجز إلى المعمل الجنائي، حيث يوجد زوجا القفاز الوردي، وما يزال المختصون يعملون على تحليله، على الرغم من أن اليوم هو الأحد.

يقدِّم رازباك كوبًا من القهوة المركزة سريعة التحضير، زكية الرائحة، إلى ستان برايس، الذي أبدى موافقته على الحضور هذا الصباح لمساعدتهما على فحص الأدلة. جلب له رازباك القهوة من «ستاربكس»، فهو يعرف أن ستان عادةً ما ينشغل لدرجة لا يُتاح له وقت كافٍ للخروج.

يقول ستان، ووجهه يشرق فيما يتناول كوب القهوة: «أشكرك، بالعادة، أقطع شوطًا طويلًا لأحصل على قهوة جيدة».

لديهم ماكينة صغيرة متهالكة لصنع القهوة في الطابق السفلي، حيث يوجد معمل الطب الشرعي، لكن قهوتها مشهورة بمدى رداءة جودتها. ربما يرجع السبب إلى عدم تنظيفها، لكن مَنْ هنا لديه الاستعداد للتأكد من صحة هذه النظرية، ويفحصها من كثب. يسجِّل رازباك بذهنه أنهم بحاجة إلى شراء ماكينة جديدة من أجل قسم التحليل الجنائي، بمناسبة عيد الميلاد القادم.

يسأل رازباك: «ماذا وجدتْ؟».

يرتشف ستان قهوته بامتنان.

- بخصوص هذا القفاز، تمكنتُ من رفع بصمة واضحة لإطار سيارة عن أحد زوجي القفاز. وتتطابق آثار الإطارات عليه مع طراز الإطارات

الخاص بالسيارة المَعنية. إنها من النوع نفسه، لكن لم نتأكد إذا ما تتطابق كليًّا مع الإطارات التي جلبتها لنا بعد. لا يسعنا التأكد ما إذا كان أحد إطارات تلك السيارة، دهس هذا القفاز، إنما يُحتمل أنه حدث.

يعتقد رازباك أن هذه معلومة جيدة، ويسأل: «ما هي فرص التعرف على الحمض النووي على السطح الداخلي للقفاز؟».

- يمكننا التعرف عليه، لكن هذا سيستغرق وقتًا أطول؛ لدينا قائمة انتظار طويلة بالفعل.

- هل يمكنك الإسراع في إتمام ذلك من أجلي؟

- وهل يمكنك أن تحضر لي قهوة ممتازة كهذه على الدوام؟

- دون شك.

***

تلملم كارين حقيبتها ومفاتيحها وهاتفها، وتستعد لمغادرة المنزل. عليها الذهاب إلى المتجر عند المنعطف.

ما إن تفتح الباب، تجد رجلًا غريبًا واقفًا في الشرفة الأمامية.

تنذهل حتى الصراخ، لكنَّ هذا الرجل الواقف عند عتبة منزلها، لا يبدو عليه، على نحو لا تتوقعه، أنه يشكل تهديدًا. يرتدي بِذلة أنيقة، شعره أشقر وعيناه زرقاوان حادتا الذكاء. عندها لاحظت رجلًا آخر، يقترب من الباب صاعدًا الدرجات. تنظر إليه في فزع، ثم تتطلع إلى الرجل الواقف أمامها مباشرة.

يقول الرجل: «هل أنتِ كارين كروب؟».

تجيب بارتياب: «أجل. ومن أنت؟».

- أنا المحقق رازباك.

ثم يلقي نظرة على الرجل الآخر، وهو يقف بجواره على الشرفة.

- وهذا المحقق جينينجز.

الفصل الثالث عشر

تحدِّق كارين إلى وجه المحقق، وقلبها ينبض بسرعة محمومة. لم تتوقع أن تأتيها زيارة كهذه.

يسأل رازباك، مشهرًا شارة الشرطة الخاصة به أمام ناظريها: «هل يمكننا التحدث معكِ لبضع دقائق؟».

يمكنها أن تشعر بدقات قلبها تنبض عند صدغها. لا تريد التحدث إليهما، كما أن لديها محاميًا الآن. لماذا لم يعطها أي نصيحة لما يجب عليها قوله إذا ما جاء رجال من الشرطة لاستجوابها مجددًا؟ ولماذا لم تسأله النصيحة؟

تمكنت من القول: «إنني في طريقي للخروج في الحال».

يصرُّ رازباك، من دون أن يتحرك قيد أنملة: «لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا».

تتردد غير واثقة مما يجب عليها فعله. إذا أجبرتهما على المغادرة دون التحدث إليهما، قد تثير استنفارهما. لذا تحسم أمرها وتسمح لهما بالدخول. ستخبرهما أنها لا تتذكر شيئًا. هذه هي الحقيقة على أي حال. لا تعرف شيئًا عن تلك الليلة لتخبرهما عنها.

تقول وهي تفتح الباب وتفسح لهما المجال: «حسنًا، أعتقد أن بضع دقائق إضافية مدة معقولة».

وبمجرد دخولهما تغلق الباب.

تقودهما إلى غرفة المعيشة، وتجلس على الأريكة، فيما يجلسان على المقعدين الوثيرين في مقابلها. تجاهد نفسها ضد رغبة تملكتها لانتشال

إحدى وسائد الأريكة وضمّها إلى صدرها. لكن بدلًا من ذلك، تضع ساقًا فوق الأخرى بتعمدٍ، وتسند ظهرها إلى زاوية الأريكة، حتى تحاول ألا تبدِيَ أي انزعاج من وجود محقّقَين في غرفة معيشتها.

تسرع بالقول، وكأن عينَي المحقق اللتين تلمعان ذكاءً لا تثير أعصابها: «إنني على يقين تام أنكما تعرفان بالفعل من ضباط الشرطة، الذين يحققون في الحادث، أنني لا أتذكر أي شيء حوله».

تعتقد أن تسرعها على هذا النحو قد يبدو سخيفًا، فتتورد وجنتاها بحمرة خفيفة.

يقول المحقق: «أجل، علمنا بالأمر».

تراه يتحدث بارتياح لكن بحذر. تشعر كأنما يستحيل عليها أن تخفي سرًّا أمام هذا الرجل. أصبحت فجأة مضطربة بشدة.

- في الواقع، لسنا هنا من أجل الحادثة، على وجه الخصوص.

عندها، تحسُّ كما لو تهرب الدماء من وجهها دفعة واحدة، وأن بإمكانهما ملاحظة شحوبها السخيف المفاجئ.

تنطق أخيرًا: «أحقًّا؟».

- بلى، فنحن نحقق في واقعة أخرى، واقعة لا تبعد كثيرًا عن المنطقة التي تعرضتِ فيه لحادث السير، بل وفي غضون الوقت نفسه تقريبًا، كما نعتقد.

لم تنبس كارين ببنت شفة.

- لقد قُتِل رجل.

قُتِل. تحاول الحفاظ على وجهها جامدًا، لكن تظن أنها لم تفلح، على نحو مثير للشفقة.

تسأله: «ما علاقتي بهذه الواقعة؟».

يجيب: «هذا ما نحاول اكتشافه».

تحتجُّ قائلة: «لا أتذكر أي شيء عن تلك الليلة. أخشى أنكما على الأرجح تضيعان وقتكما سُدًى».

يسألها المحقق: «لا شيء على الإطلاق؟».

من الواضح أنه لا يصدِّقها. تنظر بعيني المحقق الآخر، فتجد أنه لا يصدِّقها كذلك، فتهزُّ رأسها.

يتابع رازباك: «ربما بإمكاننا مساعدتكِ على التذكُّر».

تحدِّق إليه مرتعبة. كم تمتن لعدم وجود توم بهذه اللحظة، لكن فجأة تمنى لو كان هنا معها.

- نعتقد أنكِ كنتِ في مسرح الجريمة.

- ماذا؟

تشعر كأنما ستفقد الوعي.

يخبرها المحقق الآخر: «لقد عثرنا على قفاز مطاطي في مكان الواقعة».

يداهمها الدوار وقلبها تتسارع دقاته، وتشعر بعينيها تجفلان تكرارًا وبسرعة.

يسأل رازباك: «هل من المحتمل أنكِ فقدتِ زوجي قفاز مطاطي وردي، من النوع الذي يُستخدم في غسل الأطباق؟».

ترفع رأسها وتشدُّ قامتها، قائلة بنبرة حاسمة: «لا، لم أفقد شيئًا».

رغم علمِها أن قفاز غسل الأطباق لديها مفقود، وأنها ظلَّت تبحث عنه بالأمس. لا تعرف أين اختفى، حتى إنها سألت توم، ولم تجده يعرف أيضًا. ورغم هذا، تتصرف بجسارة مفاجئة كمَنْ تملَّكت منه غريزة البقاء عند محاصرته في زاوية.

تسأل ببرود: «لماذا تعتقد أن القفاز ملك لي؟».

يردُّ المحقق: «الأمر بغاية الوضوح. فقد عُثر على القفاز بالقرب من مسرح الجريمة، في باحة مجاورة لانتظار السيارات».

تقول: «ما زلتُ لا أرى أيًّا مما يربطني بهذه الواقعة. لم أمتلك أي قفازات وردية قط».

يقول المحقق: «لقد دهستْ إحدى السيارات زوجي القفاز، في ذلك الموقف. ولدينا دليل أن آثار الإطارات -وهي أقرب ما تكون إلى بصمات الأصابع- التي تركت علامات على القفاز، هي من ذات نوع إطارات سيارتك. ومن ثم غادرتِ بسرعة، وتعرضتِ لحادثة في التوقيت المقدَّر لوقوع الجريمة».

يصمت هنيهةً، منحنيًا إلى الأمام قليلًا.

- أعتقد أنكِ في موقف حَرِج.

***

بينما ينعطف توم عند الممر الداخلي، يستغرب من السيارة المتوقفة أمام منزله. لا أحد يعرفه يملك سيارة سيدان حديثة ذات لون فاتح. يترجل من سيارته، ويتطلع بقلق إلى السيارة الأخرى في الطريق. من الذي حضر لزيارة زوجته؟ يمقت ذلك الارتياب الذي يخالجه، ويهرع نحو المنزل متوجسًا.

يفتح الباب بسرعة وعلى الفور تقع عيناه على رجلين في بِذلتين أنيقتين، جالسين في غرفة المعيشة.

تهتف كارين، وهي تدير رأسها باتجاهه في ذهول: «توم!».

تنظر إليه في تعبير محيِّر، في مزيج من الارتياح والفزع. لا يستطيع التكهن بما إذا تسعدها رؤيته أم ترعبها. ربما يخالجها القليل من هذا وذاك.

يوجِّه سؤالًا إلى الجميع: «ماذا يجري هنا؟».

يلتزم الرجلان الصمت، يراقبان من مكانهما، وكأنهما ينتظران سماع كيف ستجيب زوجته. يزداد قلقه، ويتساءل إذا ما كانا مندوبين من شركة التأمين، وقد جاءا بخصوص حادث السيارة. لا يمكنه تحمل المزيد من الأخبار السيئة.

تخبره وفي عينيها نظرة متوجسة: «هذان الرجلان محققان بالشرطة. لقد جاءا بشأن.. تلك الليلة».

يقف الرجلان معًا في اتساق، ويقول أطولهما، مشهرًا شارته: «أنا المحقق رازباك، وهذا زميلي المحقق جينينجز».

يقول توم بفظاظة، فيما يتقدم نحو الغرفة: «هل يتعين علينا التحدث إليكما في الحال؟».

يريد استعادة نسق حياته القديمة.

- ألا يمكن إرجاء هذا الأمر؟ لقد أخبرنا محامينا أنه سيسعى لتأجيل الإجراءات ريثما تستعيد ذاكرتها.

يقول المحقق رازباك: «أخشى أننا لسنا هنا بسبب تلك الحادثة».

يباغت توم ضعفٌ في ساقيه، وينبض قلبه بعنف. يحتاج إلى الجلوس، فينهار جالسًا بجانب كارين على الأريكة. يدرك أن هذا ما كان يتوقعه. يرى في صميم قلبه أن لهذه القصة بقية لم تُكتشف بعد، وكأنه فتح الباب الخطأ

في مكان ما، وانتهى به الأمر في حياة أخرى، لا معنى لها، يعيش بها أناس مزيفون.

يتطلع إلى المحققين بحذر، ثم ينقل بصره إلى كارين، ناظرًا بعصبية، لكنها لا تلتفت إليه.

عندما لم يتفوه أحدهم بكلمة هنيهةً، يباشر المحقق رازباك بالقول: «كنا بصدد إخبار زوجتك أننا نحقق في جريمة قتل وقعت على مقربة من الموقع الذي تعرضت فيه لحادث السير».

جريمة قتل!

تلتفت إليه كارين بحدة مفاجئة، قائلة: «يريدان معرفة إذا ما فقدنا أي قفازات مطاطية، لكنني أخبرتهما أننا لم نفقد شيئًا».

ينظر توم إليها، وقلبه يتخبط في صدره. يهزُّ رأسه ببطء، وكأن الزمن نفسه قد تباطأت وتيرته.

يقول: «قفازات مطاطية؟ لا، لم نفقد أي شيء كهذا».

يشعر بدوار، وبمرارة في حلقه. يلتفت نحو المحقق.

- لماذا تسأل؟

يعرف أن تمثيله رديء، ويبدو أن باستطاعة هذا المحقق ذي العينين الحادتين أن يكشف كذبه. لا بد وأنه يعرف.

يجيبه موضحًا: «لقد عثرنا على زوجي قفاز مطاطي، من النوع المستخدم في غسل الأطباق، في محيط مسرح الجريمة. كما للقفاز طرف مزخرف عند المرفقين».

بالكاد يستوعب توم كما لو يسمعه من ركن بعيد. يشعر بنفسه شاردًا. يعبس وجهه. يبدو أن كل ما حوله يجري في حركة بطيئة.

يردف توم: «لم نمتلك أي قفازات مطاطية وردية اللون قط».

يرقب كارين تبعد نظرها عنه، وتعود لتنتبه للمحقق.

يا إلهي، لقد كذب أمام هذين المحققين. ماذا يجري له بحق الجحيم؟

يقول رازباك: «حقيقةً، لا يهم كيف وصل القفاز إلى هناك، أو من صاحبه. إنما ما يهمنا هو أنه توجد آثار إطار سيارة عليه، وعلى مسافة قريبة من مسرح الجريمة، تتعرض زوجتك لحادث سير، وتتطابق إطارات سيارتها

مع الآثار التي وجدناها. مع الوضع في الاعتبار أن الجريمة وقعت قبل وقت قصير من وقوع الحادثة».

يلتفت نحو كارين مستطردًا: «كما كنتِ تقودين بسرعة كبيرة، فيما علمنا».

ثم يميل إلى الأمام، ويضيف: «تبدين مرتاحة البال لمسألة فقدان الذاكرة».

تردُّ كارين، فيما يحدِّق إليها توم مصدومًا: «لا يحق لك إهانتي أيها المحقق».

لم يكن ليصدِّق مطلقًا أنها قادرة على التحدث بهذه الجرأة. كما لو أنه ينظر إلى امرأة غريبة عنه.

يسأل المحقق: «ألا تريدين معرفة من الذي قُتِل؟».

إنه يتلاعب بأعصابهما.

يضيف ممعنًا النظر إلى كارين: «أم عساكِ تعرفين بالفعل؟».

تقول كارين: «لا فكرة لديَّ عما تتحدث عنه، ولا حتى لدى زوجي. فلماذا لا تكف عن التلاعب بنا وتخبرنا مباشرة؟».

ينظر إليها رازباك دون أن يرف له جفن، ويقول: «أُطلقت ثلاث رصاصات على رجل، طلقتين في الوجه وطلقة في الصدر، عن مسافةٍ قريبة، في مطعم مهجور بشارع هوفمان. ونعلم أن سيارتكِ وُجدتْ في محيط مسرح جريمة القتل. في واقع الأمر، كنا نأمل أن تطلعينا على بعض التفاصيل».

يبلغ الإعياء منه مبلغه. لا يستطيع تصديق أن هذه المحادثة تجري بغرفة المعيشة بمنزله، ويجلس في البقعة نفسها التي جلس فيها، حين جاءه الشرطي منذ بضعة أيام، ليبلغه بأمر الحادثة. لم يصدِّق وقتها وفقًا لظروفها، أن السائق زوجته، لكن كانت هي. إذن، ماذا عليه أن يصدِّق هذه المرة؟

تسأل كارين: «مَن كان؟ هذا الرجل الذي قُتل؟».

يراها شاحبة الوجه، بينما نبرة صوتها متزنة. إنها تتمالك أعصابها ببراعة، كما لو أمامه امرأة غريبة عنه، أو ممثلة تتقمص دور زوجته.

يعترف المحقق: «لا نعرف بعد».

ثم يُخرِج مُغلفًا ويقول: «هل تمانعان إذا أريتكما هذه الصورة؟».

وكأنه يطلب منهما حقيقةً.

ما زال يلازمه الإحساس أن كل ما حوله يسير ببطء شديد. يضع المحقق صورة على طاولة القهوة ويديرها إزاءه وكارين ليلقيا نظرة عليها بزاوية معتدلة. إنه وجه مشوه لرجل، به ثقبان لطلقتي رصاص في جبهته ووجنته، وعيناه مفتوحتان كمَنْ باغته أمر ما. يرتدُّ توم إلى الوراء غريزيًّا، ويضع المحقق صورة ثانية بجانب الأولى. يظهر فيها الجسد المنتفخ للقتيل وصدره المضرج بالدماء. إن هذه الصور مربكة ومثيرة للاشمئزاز. لم يقدر على منع نفسه من إلقاء نظرة خاطفة على زوجته -تبدو كما لو توقفت عن التنفس- ثم، أبعد ناظريه عنها سريعًا. لا يمكنه تحمل النظر إلى زوجته.

يسألها رازباك بنبرة تحمل بعض الوقاحة: «هل نجحتْ هذه الصورة في إنعاش ذاكرتك؟ هل تعرفتِهِ؟».

تستمر بالتحديق إلى الصورتين، كأنها تدرس تفاصيلها، ثم تهزُّ رأسها ببطء.

- لا، أبدًا.

يتابع المحقق استجوابها، وكأنه لا يصدِّقها، على ما يعتقد: «بم تفسرين وجود سيارتكِ في محيط مسرح الجريمة؟».

أخيرًا، تسللت نبرة يائسة في صوت كارين، وهي تقول: «ربما استولى شخص ما على سيارتي، وأرغمني على الذهاب إلى ذلك المكان، لأساعده على الهرب، أو... ربما استطعتُ أن أهرب منه ولهذا السبب اضطُرِرت إلى القيادة بهذه السرعة».

يومئ المحقق رازباك وكأنه يقدِّر مجهوداتها الإبداعية.

فيما يفكر توم يائسًا، *ألا تُعد هذه احتمالات معقولة؟*

بغلظةٍ تسأل كارين المحقق: «ما الأدلة الأخرى التي لديك؟».

يردُّ عليها: «هذا ليس الوقت المناسب للإفصاح عنها».

يجمع الصور ويتبادل نظرة خاطفة مع زميله، وينهضان معًا، فيقف الزوجان، ثم يخرج رازباك بطاقة عمله من جيب بِذلته ويعطيها لكارين. تأخذها منه، وتتطلع إليها، ثم تضعها على طاولة القهوة.

يقول المحقق: «أشكركِ على منحنا جزءًا من وقتك».

وعلى الفور يغادر الرجلان، وتغلق كارين الباب خلفهما. يجمد توم مكانه عند الأريكة، مبهوتًا، وما إن تعود كارين إلى غرفة المعيشة، تلتقي أعينهما.

الفصل الرابع عشر

يتفكر رازباك في المقابلة التي أجراها، وهو جالس في المقعد المجاور للمحقق جينينجز في السيارة، التي يقودها الأخير في طريق العودة إلى المركز. تحاول كارين كروب أن تخفي أمرًا ما. بدت من الخارج متماسكة الأعصاب تماسكًا مثيرًا للإعجاب، لكن فيما وراء ذلك، كانت مذعورة.

يعتقد أنها ذهبت إلى مكان مجاور لمسرح الجريمة، قرابة الوقت المقدر لوقوعها -على الرغم من أن هذه الفرضية غير مؤكدة في هذه المرحلة؛ في ظل الوقت المقدر لموت الضحية غير المحدد. مع ذلك، يرى أن توقيت الحادثتين متقارب إلى حد كبير. ما الذي جاء بها إلى تلك المنطقة؟

يرى كذلك أن الزوج لا يجيد الكذب، متذكرًا ارتباكه في أثناء المقابلة. لذا فهو متأكد أن لديهما زوجي قفاز مطاطي وردي مفقودان.

لا بد وأن أحدهم قد شَهِد خروج كارين كروب من المنزل تلك الليلة. كما يجب التأكد مما إذا ذهبت ليلتها بمفردها أم لا. يعتزم رازباك العودة إلى منطقة هنري بارك في وقت لاحق هذا المساء، للتحدث إلى الجيران، والحصول على سجل مكالمات الزوج والزوجة. ربما تلقتْ مكالمة خاصة من شخص ما؛ عليهما البحث في أمر كارين كروب مليًّا.

يميل إلى الوراء مستندًا إلى ظهر مقعده، يغمره الامتنان. لقد اتخذت القضية منعطفًا مثيرًا للاهتمام. كم يحبُّ العمل على هذا النوع من القضايا.

***

يوجِّه توم مرتعبًا نظرة عتاب إلى زوجته. لقد كذب على المحققين من أجلها، من أجل المرأة التي يحب. ما الذي فعلتْه؟ ينفطر قلبه ألمًا.

تهتف: «توم...».

ثم تسكت كما لو تعجز عن التفكير فيما عليها قوله، كما لو يصعب عليها أن تفسِّر له.

يتساءل عما إذا كانت تعجز عن التفسير حقًّا، أم أنها تتظاهر بذلك وحسب. لقد صدَّقها منذ بداية ما حدث، وصدَّق أنها لا تتذكر شيئًا. أما الآن، فلا يعرف بما يصدِّق. إنه متأكد أن هناك أمرًا ما تخفيه.

يسألها توم بنبرة حادة، رغم خيبة الأمل التي تنهش داخله: «ما الذي يجري بحق الجحيم، يا كارين؟».

تردُّ في انفعال، وعيناها تذرفان الدَّمع: «لا أعرف».

تبدو دموعها مُقنعة للغاية. يريد أن يقتنع بما تقول، لكن ليس بوسعه تصديقها.

يقول: «أعتقد أنكِ تعرفين الكثير على عكس ما تتفوهين به».

تقف أمامه في اعتداد وبلا حراك، كما لو تحرِّضه على البوح بما يفكر. لكنه لا يستطيع؛ لا يستطيع أن يتهمها.. بارتكاب جريمة قتل. *يا إلهي، ما الذي فعلتْه؟*

يتابع: «لقد كذبتِ على المحققين بشأن القفاز».

بحدَّةٍ تقول: «مثلما فعلت».

يصدمه ما يسمع، كمَن تلقَّى صفعة على الوجه. لا يعلم كيف يردُّ عليها. فيثور غضبًا قائلًا: «لقد فعلتُ ذلك لحمايتكِ! لا علم لي بما عليَّ فعله سوى هذا! لا أستوعب أيًّا مما يحدث بحق الجحيم!».

- بالضبط!

تلتفت إليه، وتتقدم بضع خطوات قليلة، دون أن تبعد عينيها عن عينيه، حتى تقف على بعد ذراعٍ منه.

تقول في نبرة أقل تصادمية: «هذا ما أقصده. أنا أيضًا لا أعرف ما الذي يحدث. لقد كذبتُ بشأن القفاز لأنه ليس بيدي ما أفعله غير ذلك، مثلما فعلتَ بالضبط».

يحدِّق إليها توم مصدومًا. ثم يردف أخيرًا: «سواء تذكرين ما حدث أو لا تذكرين، فمن المرجح، أن هذا القفاز ملكِك، وكلانا يعرف ذلك. ووُجد في مسرح جريمة قتل. ما سبب ذهابكِ إلى مسرح جريمة، يا كارين؟».

لم تجبه، فتابع، في هلع مما يجري لهما: «لدى الشرطة دليل بالفعل! دليلٌ على أنكِ كنتِ في مسرح تلك الجريمة البشعة!».

لا يستوعب أنه يوجِّه كلامًا كهذا إلى كارين، المرأة التي يحب. يمرر يدًا مرتجفة في شعره.

- يبدو أن هذا المحقق يعتقد أنكِ فعلتِها حقًّا، أنكِ قتلتِ هذا الرجل. هل فعلتِ ذلك؟ هل أنتِ من أطلق النار عليه؟

تصيح في استماتة.

- لا أعلم! هذا أقصى ما أستطيع قوله الآن، يا توم. إنني آسفة. أعرف أن هذا ليس كافيًا. لا أعلم ماذا حدث. يجب أن تصدقني.

يتطلع إليها ثانية، لا يعرف بما يصدِّق، وهو يرى الحياة التي يعرفها تنفلت من بين يديه.

تنظر إليه، وتتلاقى أعينهما.

- هل تعتقد حقًّا أنني قادرة على قتل أحد؟ هل تعتقد حقًّا أنني قادرة على ارتكاب جريمة قتل؟

لا، لا يستطيع أن يتصور أنها تقتل أحدًا. هذه فكرة.. سخيفة، ومريعة، إنما ما يزال...

يردف في اضطراب: «إن هذا المحقق جاء بحثًا عنكِ، يا كارين. لقد رأيتِ بنفسكِ كيف يبدو. بالتأكيد سينقب وينقب وراءك، ولن يهدأ له بال حتى يعرف حقيقة ما حدث. لن يعير حينها أمر فقدانكِ للذاكرة اهتمامًا، فلن تضطري إلى تذكُّر شيء؛ ستكتشف الشرطة ما حدث ويخبروننا به!».

يكاد يصرخ مع آخر جملة. يحاول أن يؤلمها كما يتألم؛ إنه خائف، وغاضب وفاقد للثقة بها.

يرى وجهها شاحبًا أضعاف ما بدتْ عليه عندما جاء المحققان.

- إذا لم تصدقني يا توم...

تصمت بغتةً، وتتعلَّق جملتها في الهواء، كما لو تنتظر أن يحتجَّ ويقول إنه يصدِّقها.

لكنَّ الصمت طال، ولم ينطق بكلمة.

عندها تقول: «لِمَ لا تصدقني؟».

يردُّ بجفاء: «يا له من سؤال».

تعترض عابسة: «إنه سؤال في محله. ما الذي فعلته يومًا قد يجعلك تصدِّق أنه من الممكن أن أقتل شخصًا ببرودة أعصاب؟».

تقترب منه، فيما يرقبها صامتًا.

- أنت تعرفُني جيدًا! كيف تظنُّ أن لدي المقدرة على القتل؟ أنا لا أعرف أي شيء عما حدث تلك الليلة، أكثر مما تعرفه أنت.

ترفع وجهها لأعلى، مقتربة من وجهه، حتى إنه بات يشم عطرًا خفيفًا يفوح من بشرتها.

تستطرد في إصرار: «أليس المتهم بريئًا حتى تثبت إدانته؟».

تتلاحق أنفاسها، ووجهها أمام وجهه.

تكاد تصرخ، مضيفة: «لا علم لك بما حدث. إذن، فلماذا يصعب عليك أن تصدِّق براءتي من كل هذا؟ أخبرني، هل هذا أمر مستبعد أو مجنون، من الصعب تصديقه، بينما يمكنك أن تصدِّق أنني تسببت في مقتل أحدهم؟».

ينظر إليها، وقلبه منقبض. لقد عرفها وأحبها طوال وقت مضى، لم يساوره أدنى شك بها أو بأي مما يخصها. لكن انتهى كل شيء منذ تلك الليلة. ماذا حدث حقًّا؟ أليست مدينة له مقابل ثقته الكاملة بها؟

يهزُّ رأسه، قائلًا بنبرة خافتة: «لقد جاءت الشرطة حتى باب منزلنا، لاتهامكِ.. وكذبتِ عليهما.. لا أعرف ماذا أقول، يا كارين».

يسكت قليلًا، ثم يكمل: «أحبكِ. لكنني خائف».

تقول: «أعلم، وأنا خائفة مثلك».

يصمت كلاهما هنيهة، ثم تردف كارين: «ربما حان وقت مقابلة جاك كالفن مجددًا».

***

في المساء، تجلس كارين بهدوء في غرفة المعيشة، وعلى حجرها مجلة لا تقرؤها. عند حلول ليلة الغد، سيكون قد مضى أسبوع كامل على وقوع الحادثة. أسبوع، لم تتذكر فيه شيئًا بعد.

وقت ظهيرة اليوم كان مروعًا. اشتبهت الشرطة –متمثلة في هذا المحقق المتبلِّد– أنها ارتكبت جريمة قتل. حتى توم، يبدو مصدقًا لما قال.

إنها خائفة من الشرطة، خائفة مما قد يكتشفونه، ماذا لو أخبرهم الطبيب نولتون بما علم.

تنتبه أنها تجزُّ على أسنانها، فتحاول الاسترخاء. يؤلمها فكُّها.

لا يمكنها أن تبعد تلك الصور البشعة عن مخيلتها. تفكر في توم وهو جالس منعزل بنفسه في مكتبه بالطابق العلوي، لينهي بعض الأعمال التي جلبها إلى المنزل. لعله يتظاهر بانشغاله، مثلما تفعل؟ بينما يجلس إلى مكتبه محدقًا إلى الحائط، غير قادر على إخراج صورة القتيل من رأسه؟ جائز. لقد بدا عليه الإعياء عندما وقعت عيناه على الصورتين، ومن بعدها، لم يقدر حتى على النظر إليها.

تتطلع من خلال النافذة الأمامية وتحملق. ترى رجلين في بذلتين أنيقتين عند باب المنزل المقابل. رغم الظلام الذي أوشك أن يُرخي سُدُوله، تتعرف المحققين، وقد عادا مرة أخرى. تتقدم من النافذة، فيما يجتاحها رعب شديد، وتظل ملتصقة بالحائط، حتى تصل إلى النافذة، وتقف خلف الستائر، مختلسة النظر إلى الخارج.

لا بد أنهما يجريان مقابلات مع الجيران.

الفصل الخامس عشر

تتطلع بريدجيت إلى الطريق، والليل ينسدل. تقضي معظم وقتها في الحياكة هنا، بينما تراقب ما يجري خارج نافذتها.

إنها حائِكة ماهرة ومبدعة؛ لديها عدة تقنيات منشورة على صفحتها؛ وهي تفتخر بمدونتها عن الحياكة، التي تعرض من خلالها بعض إنتاجها، كما لديها الكثير من المتابعين. توجد عبارة مكتوبة في شريط العنوان أعلى مدونتها، *الحياكة لا تقتصر على السيدات العجائز!* وهناك صورة لبريدجيت بالمدونة أيضًا. تشعر بالرضا إزاء صورتها، التي التُقِطت على يد مصور محترف. تظهر بجاذبية أخَّاذة بهذه الصورة؛ كم تبدو حسنة المظهر في الصور.

حاولت، ذات مرة، أن تُعلِّم كارين طرائق الحياكة، لكن ترى بريدجيت عدم اهتمام لدى كارين بتعلُّم أي شيء، ولا تطيق الصبر عليه. لقد تبادلتا المزاح بهذا الشأن، واتفقتا على أن الحياكة لا تتوافق مع طبيعة كارين. على أي حال، يبدو أنها ترتاح وتستمتع بصحبة بريدجيت، على الرغم من اهتماماتهما المختلفة. من المؤسف أن كارين لم تُجِد الحياكة؛ فمشاركة الحياكة مع أحد طريقة رائعة لجعله يتحدث، وكارين لا تفتح قلبها لأحدٍ بسهولة.

ذهبت بريدجيت، في وقت سابق من اليوم، إلى متجر الخيوط المفضل لديها، «اِعقِدي خيطًا واجدُلي آخر». في زيارتها السابقة، كادت تنفد لدى صاحبة المتجر خيوط شِيبُوي الأرجوانية الرائعة، التي اشترتها بريدجيت في المرة السابقة. وما إن دخلت من الباب ووقع نظرها على شِلَّات الخيوط الملونة، المصفوفة على أرْفف، أوشكت أن تلمس السقف، تحسنت حالتها

المزاجية. ألوان متعددة وملامس متعددة – قد تعني لها احتمالات من السرور لا نهاية لها! تجولت بأرجاء المتجر ممتنة لهذا الشعور، وهي تجمع خيوطًا مختلفة الأوزان والألوان، مِلء ذراعيها. تحبُّ أن تحتوي الخيوط بين ذراعيها بشدة.

وبينما تتحسس برفق شِلة برتقالية جميلة من صوف الميرينو، اقتربت منها امرأة بالكاد تعرفتها.

قالت المرأة: «بريدجيت؟ كم أنا سعيدة برؤيتك! أردتُ أن أخبركِ كم أعجبني منشورك الأخير على مدونتكِ، حول إصلاح أخطاء الحياكة».

أوشكت أن تحمر خجلًا.

- فاتتني غرزة، وحيلة إبرة الحياكة التي أشرتِ إليها أصلحتها على الفور كالسحر.

ابتسمت لها بريدجيت، قائلة: «إنني سعيدة للغاية أنكِ وجدتِ تلك الحيلة مفيدة».

إنه لمن دواعي سرورها أن تشارك خبراتها وتنال التقدير. هذا ما يجعل جهودها في كتابة محتوى المدونة تستحق العناء.

استقبلتها كذلك ساندرا، مسؤولة المدفوعات النقدية بالمتجر، بحفاوة بالغة.

- بريدجيت! تندر زيارتكِ لنا هذه الأيام. يجب أن تنضمي مجددًا إلى حلقة الحائكات لدينا.

تلتفت بعينيها غريزيًّا نحو الكراسي المنظمة في حلقة دائرية عند الباب الأمامي للمتجر. ليست مستعدة للعودة بعد؛ لا تحتمل المواجهة. تنهمك العديد من النساء هنا بسعادة في حياكة ملابس للأطفال – منهن ثلاث نساء حوامل على الأقل. ولا يكففن عن التحدث عن حملهن. لم تثق أنها قادرة على حماية نفسها من تفاقم الألم وخيبة الأمل؛ لم تثق أنها قادرة على منع نفسها من التفوه بكلمة غير سارة. لن تقدر إحداهن على فهمها. من الأفضل الابتعاد عن تلك الحلقة. لكنها كذبتْ عندما قالت: «في وقت قريب، إنني منشغلة بالعمل هذه الأيام».

لم تخبر إحداهن بالحلقة أنها تركت وظيفتها من أجل علاجات العقم. لا ترغب في مشاركتهن مشكلتها في الإنجاب. ليست بحاجة إلى شفقتهن عليها.

حملت الحقيبة المنتفخة بشِلّات خيوط غالية الثمن، وغادرت المتجر على عجل، متعكرة المزاج.

ترى من النافذة رجلين، كُلًّا منهما يرتدي بِذلة أنيقة، في الطريق، يطرقان أبواب المنازل. ويصلان عند منزل جارتها، مما يجعلها التالية.

فور سماعها لجرس الباب، تترك إبر الحياكة جانبًا وتذهب لفتح الباب. إنها بالمنزل وحدها؛ ما يزال بوب مشغولًا بالعمل، كما هو الحال في أغلب الأحيان. يقف الرجلان عند عتبة منزلها، يخرج أطولهما –الوسيم ذو العينين الزرقاوين الجذابتين– شارة عمله.

يقول: «أنا المحقق رازباك، وهذا المحقق جينينجز».

تتوتر بريدجيت قائلة: «ماذا تريدان؟».

- إننا نجري تحقيقًا شرطيًّا. هل رأيتِ جارتكِ كارين كروب تغادر منزلها مساء يوم الثالث عشر من أغسطس؟ في الليلة التي تعرضت فيها لحادث سيارة؟

تقول رغم أنها سمعته جيدًا: «معذرة؟».

- هل رأيتِ كارين كروب تغادر منزلها مساء الثالث عشر من أغسطس؟ لقد تعرضتْ لحادثة في تلك الليلة.

تجيب: «أجل، أعرف بأمر الحادثة. إنها صديقة لي».

يصرُّ المحقق في سؤالها: «هل رأيتها تغادر المنزل في تلك الليلة؟».

تهزُّ رأسها، مجيبة: «لا».

- هل أنتِ واثقة؟ إنكِ تسكنين في المنزل المقابل لها. أمتأكدة من أنكِ لم تريها مغادرة؟

- لا، لم أرَها. ظللتُ بالخارج حتى وقتٍ متأخر من الليل. لماذا تسأل؟ هذا سؤال غريب نوعًا ما.

تنقل بصرها بين المحققين.

- نتساءل عما إذا غادرت وحدها.

تقول بريدجيت بنبرة مهذبة: «مع الأسف، ليس لدي أي فكرة».

يستفسر المحقق: «ربما كان زوجكِ بالمنزل ورآها ذلك المساء؟ هل هو موجود؟».

- لا، ليس موجودًا. إنه يعود إلى المنزل متأخرًا في غالب الأحيان. ولا أعتقد أنه كان موجودًا تلك الليلة كذلك.

يعطيها المحقق بطاقته، قائلًا: «إذا علمتِ من زوجكِ أنه كان بالمنزل تلك الليلة ورأى أمرًا غريبًا، هل تسمحين أن تطلبي منه الاتصال بنا؟».

تراقب المحققين وهما يخرجان من الممشى ويتابعان السير صوب المنزل التالي.

***

جفا النوم كليهما، رغم تظاهرهما أمام بعضهما بعضًا بعكس ذلك. ينام توم على جنبه ووجهه مقابل الحائط ومعدته متقلصة مضطربة. يعيد بذهنه مشهد المحققين في غرفة المعيشة بعد ظهر أمس، مرارًا وتكرارًا. يتذكر السلاسة التي كذبت بها زوجته عليهما بشأن القفاز. أما أسلوبه في الكذب، فجاء رديئًا، وظهر ذلك أمامهم جميعًا.

يشعر بكارين تتململ في قلق على الجانب الآخر من السرير، ثم تنهض، أخيرًا، بهدوء وتتسلل خارجة من الغرفة. لقد بات معتادًا على عادة استيقاظها في منتصف الليل. إنما الليلة، فخروجها يبعث على الارتياح. ينتظر حتى يسمع باب غرفة النوم وهي توصده برفق خلفها، ليستلقِيَ على ظهره، وعيناه مفتوحتان على اتساعهما.

رأى توم محققي الشرطة، يروحان ويجيئان بين المنازل، في وقت سابق من مساء أمس، من خلال نافذة المكتب في الطابق العلوي. لا بد وأن كارين لاحظت ذلك مثله، ومع ذلك، لم يشارك أحدهما الآخر ما رأى.

يعتريه الغثيان عند التفكير بأن الشرطة تحقق في أمرها، يكره نفسه بسبب الشكوك التي تنتابه بشأنها. أصبح يراقبها ليل نهار، متسائلًا عما فعلتْه.

ورغم ذلك، لا يسعه إلا القلق بشأنها.

ما الذي ستكتشفه الشرطة؟

الفصل السادس عشر

طلبت كارين من توم أن يوصلها في طريقه إلى العمل، إلى مكتب جاك كالفن في صباح اليوم التالي. لحسن حظها، وجدت لدى المحامي موعدًا مناسبًا. لكن توم لديه اجتماع مهم لا يمكنه التغيب عنه، ولذا لن يتمكن من مرافقتها -على حد قوله. تتساءل إذا ما يعجِزه التعامل مع أي مما يحدث، أم أنه لا رغبة له، أم لعله يعتقد أنها ستتحدث بِحُرية أكبر مع المحامي في عدم حضوره، رغم أنها لن تخبر كالفن بأمور مغايرة عما أخبرته لزوجها؛ فهي لا تريد سوى أن تعرف ماذا ينبغي لها فعله.

يدنو منها توم ويقبِّل وجنتها، قبل أن تخرج من السيارة، دون أن ينظر إلى عينيها. تخبره أنها ستطلب سيارة أجرة عند العودة إلى المنزل، وتنتظر في موقف السيارات هنيهة، تراقب زوجها مبتعدًا بسيارته. بعدها تستدير متجهة نحو البناية. وما إن تدخل، تساورها لحظة تردد أمام المصعد، ثم تضغط الزر. وتطرح خوفها جانبًا، عند وصولها إلى مكتب المحامي، وتفتح الباب، وتدخل.

عليها أن تنتظر مدة أطول هذه المرة، مما يزيد من حدة توترها حتى تكاد تستنفد طاقتها. ولدى دخولها، بعد حين، لمقابلة جاك كالفن، ينتابها تشنج بكتفيها وعنقها.

يستقبلها المحامي في سرور: «لقد عدتِ مبكرًا على غير المتوقع! هل هذا يعني أنكِ تذكرتِ شيئًا ما؟».

يبتسم لها، فتجلس دون أن تبادله الابتسام.

يستطرد بنبرة أكثر جدية: «كيف يمكنني مساعدتك؟».

تخبره كارين: «ما زلتُ لا أتذكر تلك الليلة».

تتخيل ما قد يجول بخاطره. ربما يعتقد أنها جاءت لتخبره أمرًا لم تستطع أن تخبره به أمام زوجها -عن علاقة شائنة ما تربطها بذلك الطرف المشبوه من المدينة. يجب أن تُخيِّب توقعاته.

تقول: «لدى توم اجتماع هذا الصباح لا يمكنه تفويته».

يهزُّ رأسه في تهذيب، ثم تسأله كارين متطلعة إلى عينيه مباشرة: «أليس كل ما أخبرك به يجب أن يبقى بين المحامي ومُوَكِّله».

- بلى.

تبتلع ريقها، وتقول: «لقد جاء محققان من الشرطة إلى منزلي بالأمس».

- فهمت.

- اعتقدتُ أنها زيارة تتعلق بحادث السير.

- ألم تكن تتعلق بها؟

- لا.

تصمت هنيهة.

- إنهما يحققان في جريمة قتل.

يرتفع حاجبا المحامي، وتزداد عيناه حدَّة. يخرج من درج مكتبه دفترًا جديدًا مسطرًا، صفحاته صفراء، ويلتقط قلمًا يبدو ثمينًا من على مكتبه، ثم يقول بهدوء: «من الأفضل أن تطلعيني على تفاصيل تلك الزيارة».

- لقد كانت مُريعة.

تنقطع أنفاسها عند الكلمة الأخيرة، وتشعر بالغثيان متذكرةً صور الجثة. تشعر بيديها ترتجفان في حجرها، فتضمهما.

- لقد جعلانا نطَّلع على صور لرجل ميت.

توجز له التفاصيل بعُجالة، قائلة: «لم أستطع التعرف على جثة الرجل».

ترقُب المحامي من كثب، متأملةً أن يكون لديه مخرج ينقذها.

يقول كالفن: «لقد قدتِ السيارة بسرعة، وتخطيت عدة إشارات حمراء، في منطقة قريبة من موقع الجريمة، وفي حدود الوقت نفسه تقريبًا. لذلك أتفهم سبب رغبتهما في التحدث إليكِ».

ينحني إلى الأمام، ويُسمع صرير مقعده.

- ولكن هل هناك دليل آخر يربطكِ بتلك الجريمة؟ لأنه إذا لم يكن هنالك دليل آخر، فلا داعي للقلق بهذا الشأن. فعندئذ لا يُعد سوى اشتباه، لا علاقة له بكِ، أليس كذلك؟

تعي أنها تبتلع ريقها أمامه مجددًا، فتنظر إليه باعتداد، وتخبره ببقية التفاصيل.

- لقد عثرت الشرطة على زوجي قفاز.

يحدِّق إليها بعينيه الحادتين، مترقبًا.

- وماذا بعد؟

تأخذ نفسًا عميقًا وتتابع: «لقد عثرت الشرطة على زوجي قفاز مطاطي في موقف للسيارات قريب من موقع الجريمة».

تتردد قبل أن تضيف: «وأنا واثقة أن هذا القفاز ملك لي».

يظل المحامي محدقًا إليها، فيما تتوقف للحظة.

- لدينا قفاز مطاطي مفقود بالفعل. ولا أعرف أين اختفى. إن تصميمه مميز جدًّا، لونه وردي، وعليه زهور مطبوعة عند نهايته.

يسألها: «هل أخبرتهما أنكِ أضعتِ قفازًا؟».

تدرك من خلال نبرة صوته إلى أي مدى يعتقد أنها تتمتع بغباء غير معقول، فترد في استهجان حاد: «لستُ بهذا الغباء».

يعلق بارتياح واضح: «هذا أمر جيد».

تخبره، ورباطة جأشها الزائفة تتلاشى: «كذب توم من أجلي، وأخبرهما أننا لم نفقد أي قفاز مطاطي. ولم تنطلِ عليهما الكذبة».

يحتد المحامي: «لقد أهمل قاعدة أساسية؛ لا يجب الكذب على الشرطة أبدًا. بل وجب ألا يقل أي شيء، وكان من الأفضل أن تتصلا بي».

تستطرد: «لقد قالا لنا إنهما ليسا بحاجة إلى إثبات ملكيتها للقفاز من عدمه؛ لأنني، على حد قولهما، دهسته بسيارتي في ساحة الانتظار بمحيط مسرح الجريمة -لديهم آثار الإطارات على القفاز- وبذلك لديهما دليل على وجود علاقة بيني -أو بين سيارتي على أقل احتمال- وتلك الجريمة».

يتطلع إليها كالفن وعلى وجهه جدية مهيبة: «من هو المحقق المسؤول عن هذه الجريمة، مَن الذي ينقب بأمرك؟».

تخبره كارين: «اسمه المحقق رازباك».

يردد، فيما تراه متفكرًا: «رازباك».

تقول بنبرة خافتة: «لا أعرف ماذا أفعل. لقد تجوَّل المحققان بالضاحية التي أعيش بها الليلة الماضية، وتحدثا إلى الجيران».

ينحني المحامي إلى الأمام في اهتمام مدققًا النظر إلى عينيها.

- لا تفعلي شيئًا. ولا تتحدثي مع الشرطة. إذا أراد أن يتحدث إليكِ أحد منهم، عليكِ الاتصال بي.

يخرج بطاقة أخرى من بطاقاته، ويقلبها على ظهرها، ويكتب عليها رقم هاتفه.

- اتصلي بي على هذا الرقم، إذا لم تتمكني من الوصول إليَّ من خلال أرقام العمل. ستجدينني أجيبكِ على هذا الرقم على الفور.

ممتنةً تتناول منه البطاقة، ثم تسأله في توجس: «هل تعتقد أن لديهم أدلة أخرى ضدِّي؟».

- لا أعتقد وفقًا لما أخبرتِني به. حيث تصادف وجودكِ في موقف للسيارات قرب المكان الذي ارتُكِبت فيه جريمة قتل، ربما في قرابة وقت وقوعها. خرجتِ بالسيارة مسرعة، وتعرضتِ لحادثة. مما يعني أنه من المحتمل أنكِ شهدتِ حدثًا ما. هذا كل ما في الأمر. لكن السؤال هو، ما الأمور الأخرى التي سيكتشفونها؟

تردُّ بعصبية: «لا أعرف، ولم أتذكر شيئًا عن تلك الليلة بعد».

يستغرق كالفن بضع لحظات مدونًا بعض الملاحظات، ثم ينظر إليها ويقول: «لا أحبذ طلب هذا منكِ في الحال، لكنني أحتاج إلى زيادة أتعاب المحاماة، تحسُّبًا».

تحسُّبًا. تعتقد كارين أنه يقصد تحسُّبًا لإدانتها بجريمة القتل تلك. تنقب في حقيبتها بارتباك بحثًا عن دفتر شيكاتها.

يقول كالفن بهدوء: «يجب عليَّ أن أسألكِ، فيما قد تحتاجين أخذ قفاز مطاطي معكِ؟».

تتجنب عينيه المحدقتين عن عمدٍ، منشغلة بالبحث في حقيبتها عن دفتر الشيكات، وتجيبه: «ليست لديَّ أي فكرة».

الفصل السابع عشر

يجري رازباك بحثًا شاملًا عن خلفية كارين كروب. بغض النظر عن الحادثة الأخيرة لتجاوز السرعة القصوى، فهي مواطنة مثالية. لا توجد مخالفة مرورية واحدة مسجلة على رخصة قيادتها، ولا حتى حُرِّرَت لها مخالفة وقوف في الممنوع، وخبرتها الوظيفية بسيطة ومحدودة؛ شغلت عملًا مؤقتًا، ثم، عملت لمدة عامين في دار جنائز كروكشانك كمسؤولة حسابات بدوام جزئي. كما أن ضرائبها تُسدد بانتظام، وليس لها سجل جنائي. لا يُذكر غير أنها ربة منزل تسكن في ضاحية راقية وهادئة، شمالي ولاية نيويورك.

لذا، يتعمق أكثر في بحثه، فيعرف أن اسمها قبل الزواج هو كارين فيرفيلد، ويعرف تاريخ ومحل الميلاد في مدينة ميلواكي، ولاية ويسكونسن. ومن ثم، يباشر في عملية البحث عن معلومات أساسية.

لكنه لا يجد سوى القليل عن كارين فيرفيلد من ويسكونسن، لا يُذكر في السجلات ما إذا تخرجت أو درست بإحدى الجامعات، ولا حتى عن التحاقها بمدرسة ابتدائية أو ثانوية بتلك المدينة. جُل ما لديها هو شهادة ميلاد ورقم ضمان اجتماعي، ورخصة قيادة مسجلة في ولاية نيويورك. وخلاف ذلك، لم يجد شيئًا عن كارين فيرفيلد، في تاريخ الميلاد المذكور لديه، قبل العامين الماضيين. كما لو أنها نشأت وترعرعت حتى أصبحت امرأة ناضجة، في الثلاثين من عمرها، ولم تُعرف إلا عند انتقالها إلى نيويورك.

يرجع إلى الوراء مستندًا إلى ظهر مقعده. لقد شهد حالات عديدة كهذه من قبل. إنها ليست حالة نادرة مثلما قد يعتقد الشخص العادي. هناك حالات اختفاء لأناس عِدَّة طوال الوقت، يبدؤون حياة جديدة في مدن أخرى،

ويتخفون وراء هويات مزيفة. من الواضح أن كارين فيرفيلد شخصية خيالية، مجرد نقطة انتقال لبدء حياة جديدة. لذا، فزوجة توم كروب ليست كما تدعي أن تكون.

إذن من هي؟

سيسعى لاكتشاف ذلك؛ إنها مسألة وقت فقط. يجلس إلى مكتب جينينجز ليشاركه ما وجد، فيطلق الأخير صافرة خافتة، ثم يقول، وهو يُسلِّمه نسخة مطبوعة من سجلات هاتف آل كروب: «حصلتُ على معلومة أخرى. لقد تلقَّت كارين مكالمة».

يتناول رازباك منه الورقة، ويفحص التقرير بدقة. ثم يتطلع إليه، موجزًا ملاحظاته: «تلقت مكالمة في الساعة الثامنة مساءً، في اليوم الثالث عشر من أغسطس، تحديدًا في ليلة الحادثة».

يقول جينينجز: «جاءتها المكالمة من هاتف لا يمكن تعقبه، استخدم حامله بطاقة مسبقة الدفع».

يستطرد في إحباط واضح: «لا يمكننا معرفة من اتصل بها، ولا حتى من أين».

يزمُّ رازباك شفتيه، ثم يعلِّق: «لا يستخدم أحد هاتفًا خلويًّا لا يمكن تعقبه دون سبب وجيه».

يتمتم بخفوت: «ما الذي تورطت به ربة المنزل هذه، بحق الجحيم؟».

لم يفاجئه أنها تلقَّت مكالمة قبل أن تندفع خارجة من منزلها تلك الليلة؛ بل توقعه بالفعل. حيث إنه في ليلة أمس، قابلا اثنين من الجيران رآها تغادر، الشاهدة الأولى أمٌّ لثلاثة أطفال تسكن بأحد المنازل في الصف المقابل لمنزل آل كروب، وقد شهدت زوجة توم تهرول نازلة الدرجات الأمامية وتركب سيارتها، في عجلة واضحة من أمرها، كما أشارت أن كارين خرجت بمفردها، والجارة الأخرى، التي يقع منزلها عند نهاية الطريق، تذكرت أنها رأتها، حيث طارت بسيارتها أمام منزلها، وقتما كان الأطفال يلعبون، وأكدت، هي الأخرى، أنها لم تلمح أحدًا بصحبة كارين في السيارة.

يقول رازباك، ويجتاحه شعور مألوف بالإثارة: «تتلقى مكالمة في الساعة الثامنة وسبع عشرة دقيقة، فتهرع مغادرة المنزل في منتصف إعداد العشاء، دون أن توصد الباب، أو تأخذ حقيبتها وهاتفها...».

يقول جينينجز: «لقد تلقَّت المكالمة على الخط الأرضي، وليس على هاتفها الخلوي. كما، عاد زوجها من العمل في ساعة متأخرة من تلك الليلة. من المحتمل، أن تلك المكالمة كانت تخصُّ أحد الزوجين، لذا، ربما كلاهما متورطان».

يومئ له رازباك مفكرًا.

- من الأفضل أن ندقق في خلفية توم كروب أيضًا.

***

تغادر كارين بناية مكتب المحامي وتخرج إلى الشمس الحارقة. بهذه اللحظة، تتحرك بمفردها مجددًا، دون داعٍ للتظاهر سواء أمام زوجها أو المحامي. لكن يعتريها ذعرٌ لا نهاية له. لقد دفعت للمحامي مبلغًا كبيرًا من المال، في *حال وُجهت لها تهمة ارتكاب جريمة قتل*.

إنها مرتعبة. ماذا تفعل؟ تحثها غريزتها على الهرب.

تعرف كيف تختفي.

لكن الحال مختلف هذه المرة. لا تريد أن تترك توم، إنها تحبه، رغم شعورها أنه لم يعد يحمل المشاعر نفسها تجاهها.

***

يعود توم أخيرًا إلى مكتبه، بعد انتهاء اجتماع صباحي مُطول لا يُطاق. يغلق باب غرفته، ويجلس على مقعده خلف المكتب. يجد أنه من المستحيل أن يصبَّ تركيزه على العمل؛ فهو يلقيه وراء ظهره مثل كل الأمور الأخرى. كم يمتن إلى أن لديه مكتبًا له باب يغلق عليه، على خلاف بقية المكاتب المحاطة بجدران زجاجية، وإلا لرآه الآخرون بالكاد يعمل، إذ يقضي معظم وقته يذرع الغرفة، أو يحدق من نافذة المكتب.

في لحظة، يرنُّ هاتفه الخلوي، فيختطفه، ويرى هوية المتصل. اللعنة، إنها بريدجيت. لماذا تتصل به بحق الجحيم؟

- أهلًا بريدجيت. ما الخطب؟

تسأله: «هل الوقت مناسب لمحادثتك؟».

يجول ببال توم، أن هذا يعني عدم حدوث حالة طارئة، فيسترخي قليلًا.

- مناسب إلى حد ما. ما الموضوع؟

تقول: «هناك أمر أريد أن أخبرك به».

تحذره نبرة بصوتها أن ما سيسمعه لن يعجبه، وسرعان ما تشتد أعصابه.

- ما هو؟

تقول: «أردتُ أن أخبرك بهذا قبلًا، لكن حادث كارين شتَّتَ انتباهي قليلًا عن الاهتمام بأي أمر آخر».

يتمنى لو تتحدث في الموضوع دون مقدمات.

- لقد جاءت الشرطة إلى باب منزلي الليلة الماضية، لتطرح عليَّ الأسئلة.

يشعر أن العرق يتصبب من جسمه. يغمض عينيه. لا يرغب في سماع ما ستقوله مهما يكن. يريد أن ينهِيَ المكالمة.

تتابع بريدجيت: «لم أخبر المحققين بهذا الأمر، لكن أعتقد أنك يجب أن تعرف، أنه في اليوم الذي تعرضت فيه كارين للحادث، أخذ رجل غريب يحوم حول منزلك».

يسألها بحدة: «ما قصدكِ بأنه أخذ يحوم حول المنزل؟».

- اختلس ذلك الرجل النظر من خلال نوافذ منزلك، وتسلل إلى الفناء الخلفي. حينها كنت أزيل الأعشاب الضارة من حديقتي الأمامية، وظللتُ أراقبه، حتى إنني أوشكت على الاتصال بالشرطة، قبل أن يقترب متحدثًا معي ويخبرني أنه صديق قديم.

- صديق لي؟

لا يمكنه تخيل من قد يكون.

- لا، بل صديق لكارين.

يعتريه هلع عارم، ونبضات قلبه تكاد تصم أذنيه.

- هل ذكر اسمه؟

تجيبه بريدجيت مشددة على الكلمات: «لا، جُل ما قاله إنه يعرفها من حياة أخرى».

ينذهل توم، دون قول شيء.

تتابع في نبرة قلقة: «لا أريد إثارة خوفك، يا توم. وأنت تعلم مدى قرب صداقتي بكارين. لكن ألا تعتقد أنه تعليق يحمل قدرًا من الغرابة؟».

من حياة أخرى.

يتماسك سائلًا: «كيف يبدو ذلك الرجل؟».

- إنه متوسط الطول والبنية على ما أعتقد، حسن المظهر، إلى حد ما، داكن الشعر، ويرتدي ملابس أنيقة.

داكن الشعر.

يتوقف الحديث بينهما هنيهة طويلة، فيما تتصارع الأفكار بذهنه.

تقول بريدجيت، قاطعة الصمت: «أتعلم أنني دومًا ما أستغرب أن كارين لم تشارك أحدًا ماضيها، فيما عدا القليل من الأمور معي، وربما معك كذلك».

يظل توم ساكتًا، فتضيف بنبرة حذرة: «أكره أن أفترض هذا، وخاصة في ضوء ما تمر به منذ وقوع الحادث، إلا أن...».

يسألها بحدة: «إلا ماذا؟».

- ماذا لو أن هناك أمرًا ما بماضيها تخفيه عنا؟

ما يزال يريد إنهاء المكالمة، لكنه يعجز عن الحركة.

- ما الذي تقصدينه بحق الجحيم؟

- قد يبدو كلامي غير معقول، فقد شاهدت برنامجًا تلفزيونيًّا منذ فترة قريبة، يتحدث عن أناس فَرُّوا من ماضيهم، يختفون بعدما يحصلون على هويات جديدة. لذلك ربما.. ربما لجأت كارين إلى فعل أمر كهذا.

يحتَجُّ قائلًا: «هذا سخيف».

تردُّ في تحدٍّ: «أحقًّا؟ يَظْهر أن الناس يفعلون ذلك طوال الوقت، وهناك أشخاص يقدمون هذه الخدمة لأي أحد، عبر الإنترنت، نظير أجر».

يقبض توم على الهاتف منصتًا بقلق متزايد.

- وما إن يحصلوا على هوية جديدة، يختفون عن الأنظار، وينتقلون إلى مكان آخر، ومن ثم، يبدؤون حياة جديدة، مع تغيير مظهرهم. وبذلك يصبحون مواطنين مثاليين، يتجنبون التورط مع الشرطة، ولا يريدون لفت الانتباه إليهم.

يتذكر توم في رعب عارم، كيف أن كارين تلتزم بالقانون، أو تحاول أن تفعل، حتى ليلة وقوع الحادثة. ماذا لو أن ما تقوله بريدجيت صحيحٌ، وأن زوجته تعيش بهوية مزيفة؟ ما الذي يضطرها إلى فعل أمر كهذا؟

- أعتذر يا توم. ربما ما وَجب عليَّ ذكر هذا الموضوع. هذا البرنامج التلفزيوني اللعين هو السبب! لكن هذا ما خطر ببالي، عندما جاء ذلك الرجل يسأل عنها...

أعتقد أنه لن يواجِهَ أمرًا يضاهي فظاعة ما حدث خلال الأسبوع الماضي، إنما.. مجرد التفكير بأن زوجته لها هوية أخرى؟ هذا أمر يفوق احتماله.

يقول لها فجأة: «يجب أن أغلق الخط، يا بريدجيت».

ثم يهبُّ واقفًا عن مقعده ويسرع الخطى، فيما يحاول استيعاب هذا الاحتمال الجديد الرهيب. تجوَّل رجل داكن الشعر حول منزلهم صباح ليلة الحادث، وقال إنه يعرف كارين من *حياة أخرى*. ماذا لو أن بريدجيت محقة، وكارين ليست المرأة التي تزعم أنها هي؟ لا بد ستكتشف الشرطة. يتذكر تلك الصورة الرهيبة، ومعدته تضطرب شاعرًا بالغثيان؛ إن لذلك الرجل الميت شعرًا داكنًا.

ربما قد أُصيبَ بجنون الارتياب.

وربما بات يرى الأمور على حقيقتها.

الفصل الثامن عشر

يصل توم إلى المنزل في المساء، وبداخله شحنة محتدمة من المشاعر السلبية، بين الغضب والريبة والخوف والحسرة. يعلم أنها قد تشعر أن شيئًا ما تغير به. مع هذا، لن يخبِرَها بأمر مكالمة بريدجيت.

تسأل كارين بعد تناول عشاء صامت: «ما خطبك؟».

يجيبها ببرود: «هذا سؤال سخيف، بالنظر إلى الظروف التي نمر بها. لعل السبب أنني لا أحب العيش في خوف من مجيء الشرطة حتى عتبة منزلي، من أجل اعتقال زوجتي».

لم يقصد أن يقول ما قال، لكن زلَّ لسانه. يتطلع إلى وجهها وهو يزداد شحوبًا. يريد أن يلقي عليها اللوم، يريد أن يخبرها أنها السبب وراء كل ما يحدث. لكن يكتفي بالنظر بعيدًا عنها.

تقول ببرود مماثل: «لم تسألني عن أخبار المقابلة مع المحامي هذا الصباح».

لم يَنْسَ أمر موعدها، إنما يفضل ألا يعرف.

يسألها رغمًا عنه متوجسًا: «كيف سار الموعد؟».

- اضطررتُ أن أزيد قيمة أتعابه.

يطلق توم ضحكة مريرة.

- ولِمَ أُفاجَأ؟

تسأل بحدة: «وهل كنت تفضل ألا أدفع له؟».

يتأمل توم إلى أي مدى تدهورت علاقتهما في أسبوع واحد فقط. لم يكن ليصدق قبلًا أن يحدث أمرٌ كهذا بينهما. يرغب في هذه اللحظة أن يحاصرها في زاوية ويصرخ بوجهها حتى تتوقف عن الكذب عليه وتخبره بالحقيقة. لكنه لم يفعل. وبدلًا من ذلك، تحاشى النظر إليها، مغادرًا الغرفة.

لا يستطيع منع نفسه من الشك بأمر تذكرها ما حدث تلك الليلة. لا يمكنه احتمال شعور أنه جُرح، وخُدع.

على الرغم من كل ما يجري، ما زال يحبها. لو لم يكن كذلك، لهان عليه كل شيء.

***

تجلس بريدجيت وحدها في الظلام، وإبر الحياكة ساكنة في حجرها. لم تزعج نفسها بإشعال الضوء. ما زال بوب بالخارج؛ لديه مراسم عزاء ثانية هذه الليلة. أليس هذا هو صميم عمل دور الجنائز، تبادل مجاملات التعزية. تعرف نساء أخريات، يعمل أزواجهن في مجال إدارة الأعمال، أو في وظائف مرموقة، يرافقن أزواجهن أحيانًا لحضور المناسبات، حيث يرتدين فساتين وأحذية جديدة. يذهبن إلى سهرات عشاء وحفلات ونحو ذلك، وليس إلى مراسم عزاء عائلية، حيث يوضع تابوت مفتوح في أحد الجوانب، وتعبأ القاعة بعبير الزهور المنتشرة بالأرجاء. ما الداعي لحضورها.

لقد باتت تكره الزهور، وخاصة تنسيقها، بل وترتيبات *الجنازة* نفسها. أحبت فيما مضى أن تتلقى زهورًا من زوجها في ذكرى زواجهما، وبعد بضع سنوات، طلبت من بوب ألا يجلب لها زهورًا أبدًا؛ بدأت تشك في أنه يجلب الزهور من دار الجنائز. لم تتهمه بفعل هذا، ولم تتحرَّ عن الأمر. لكن هذا التصرف ليس غريبًا عنه، فهو يبخل أحيانًا عند الإنفاق على توافه الأشياء، على الرغم من أنه لم يَضِنَّ بماله من أجل علاج العقم.

تتمنى لو يأخذها ويسافران لبضعة أيام -إلى البندقية أو باريس، أو إلى أي مكان مفعم بالحياة- بعيدًا عن إقامة الجنازات، أو أيًّا ما يبقيه مشغولًا. لكنه دومًا ما يصرُّ على الرفض بحجة أنه لا يستطيع ترك العمل لفترة طويلة. ولذا تحصل، بدلًا من ذلك، على قرطٍ مبتذلٍ كل عام، بلا مناسبة تليق بارتدائه.

وكأنهما لا يستطيعان تحمل تكاليف السفر للخارج. لقد توسَّعت دار جنائز كروكشانك، لتشمل ثلاث دورٍ أخرى للجنازات شمالي ولاية نيويورك، وانشغل بوب بالعمل أكثر من أي وقت مضى.

إنما ليس لديها ما يشغلها. كان بوسعها أن تعمل في إحدى الدور، لكن عندما اقترح عليها بوب الأمر، قالت إنها تفضل أن تقتلع عينيها ولا تعمل لديه، مما أشعره بالإهانة.

إن علاجات الإنجاب الشاقة التي تركت وظيفتها الإدارية من أجلها، لم تؤتِ ثمارها، وباستثناء مدونة الحياكة الخاصة بها، فهي متفرغة معظم الأيام. تعلق آمالها على التبني، لكنها قلقة أن يقف مجال عمل بوب عقبة أمامهما عند تقديم طلب للتبني، كما لو أنهما يعيشان في دار جنائز. بل هما زوجان عاديان، يعيشان في منزل عادي، في منطقة بعيدة عن مكان العمل تمامًا. لا يتحدثان عن أمر التبني في الغالب. يعرف أنها تكره سماع رأيه. ما يزعجها حقًا هو أنه في بداية زواجهما، كان يعمل مسؤولًا للمبيعات بشركة تأمين، وهو عمل لا غبار عليه. ولأنه يجيد إدارة الأعمال، أتته الفرصة. لا تنكر أنه عمل مربح، لكنها تتمنى لو أن بوب ناجح في مجال آخر.

تتطلع بانتباه إلى المنزل رقم 24 في الجهة المقابلة، منزل كارين وتوم. تتساءل عما يدور بذهن توم، بعد مكالمتها الهاتفية في وقت سابق من اليوم. هل يعتقد، كما تعتقد بدورها، أن كارين تخفي شيئًا عن ماضيها؟ دومًا ما تحيَّرت بأمر تكلُّف كارين الشديد في التعامل معها، مع أنها تكرر على سمع بريدجيت أنها أقرب صديقة لها. في حين، باءت كل جهود بريدجيت بالفشل في التقرب من كارين.

أما توم فتراه كل ليلة ينير مكتبه في الطابق العلوي، في واجهة المنزل. إنه يثابر على العمل بجد مثل بوب، لكنه على الأقل، يعمل بالمنزل، عندما يضطر إلى العمل ليلًا، فلا تبقى كارين وحدها في المنزل مساء كل ليلة، مثلها.

ربما يجب أن تحمل إليهما طبقًا من كعكة الشوكولاتة. لقد أعدتها بعد ظهر هذا اليوم، ولا تريد أن تتناولها بمفردها، كما لم يتأخر الوقت بعد. تحسم أمرها، وتهرول إلى الطابق العلوي لتغير ملابسها.

تمشط شعرها البني الذي يغطي كتفيها، والمفروق من المنتصف. تضع أحمر الشفاه، وتتأمل نفسها في المرآة. تتدرب على إظهار ابتسامتها الساحرة -تلك التي تجعل عينيها تضيئان. بعدها تذهب لتلتقط طبق الكعكة من المطبخ.

الفصل التاسع عشر

يقرع جرس الباب، وكارين في المطبخ. تتجمَّد مكانها. يرنُّ مرة أخرى، ولا تتحرك. يمكنها سماع خطوات توم المضطربة في الطابق العلوي. على الأرجح، يتساءل لماذا لم تفتح الباب بعد.

ما إن يقرع الجرس للمرة الثالثة، تغادر المطبخ على مضض لترى من الطارق. تلتقي عيناها بعيني توم، وهو ينزل الدرج، ثم يتوقف في منتصف الطريق نزولًا. تستطيع أن تشعر بالارتباك الذي ينبعث منه. تشعر بالارتباك بدورها، وهي تفتح الباب.

إنه المحقق رازباك وزميله، المحقق الآخر الذي لا تتذكر اسمه. يجف حلقها. تحثُّ نفسها على الهدوء، وتذكِّرها أن لديها محاميًا. تتذكر أنها وضعت بطاقته في محفظتها. يمكنها الاتصال به إذا لزم الأمر.

تتمنى لو تغلق الباب في وجه المحقق.

يسألها رازباك في أدب: «هل تأذنين لنا بالدخول، أيتها السيدة كروب؟».

تراه يلقي نظرة خاطفة على زوجها، الذي لم يزَل واقفًا مثل الحارس على الدرج.

تمعن التفكير فيما يحدث. لديها ثانية أو ثانيتان فقط لتتخذ القرار الصائب. أخبرها كالفن ألا تتحدث إلى الشرطة، لكنها تخشى لو أجبرتهما على الرحيل، أن يعودا ثانية بمذكرة توقيف. تسمع توم ينزل الدرجات المتبقية، ويقف خلفها.

يقول مخاطبًا المحقق بنبرة تحمل بعض العدوانية: «ماذا تريد؟».

يجيبه رازباك بسرور: «أفضل ألا أجيب على عتبة الباب».

تزيد كارين فتحة الباب، وتسمح للمحققين بدخول المنزل، متحاشية النظر إلى عيني توم.

ينتهي بهم الحال في غرفة المعيشة، مثل المرة السابقة.

تقول كارين: «تفضلا بالجلوس».

ثم، تسرق النظر إلى توم، ويثير جزعها ما تقرؤه على تعابير وجهه. لا يعرف كيف يواري مشاعره. بهذه اللحظة، يبدو كمَنْ يتوقع انهيار عالمه.

يسود صمت طويل ثقيل، قبل أن ينطق أحدهم بكلمة. يتلكأ رازباك في البدء، لكنها لن تسمح أن يجبرها على التحدث أولًا. ستنتظره.

وأخيرًا، ينطق رازباك، سائلًا كارين: «هل تذكرتِ أي شيء بشأن مساء يوم الحادث؟».

تجيب بلطف: «لا».

وبعد هنيهة تضيف: «هذا لا يُعد أمرًا غير اعتيادي في حالات فقدان ذاكرة مماثلة».

عندها تعتقد أنه ما كان ينبغي لها قول ذلك. بدت كأنها تذكر معلومة قرأتها في كتاب.

يقول المحقق بِكَياسة: «أتفهم ذلك. هل لي أن أسألكِ -بدافع الفضول فقط- ما هي الجهود التي تبذلينها من أجل استعادة ذاكرتك؟».

تردُّ كارين متفاجئة من السؤال: «معذرةً؟».

تتململ في جلستها.

يوضح رازباك: «أرى أنه إذا كنتِ لا تستطيعين تذكر ما حدث تلك الليلة، ألن تحاولي بذل بعض الجهد للمساعدة على التذكر».

تعقد ذراعيها قائلة: «أي جهد تقصد؟ ليس هناك قرص ما، بمجرد أن أتناوله، أستعيد ذاكرتي».

- هل تزورين اختصاصيًّا لمساعدتكِ؟

- لا.

- ولِمَ لا؟

- لأنني لا أعتقد أنه يستطيع مساعدتي أحد. ستتعافى ذاكرتي في الوقت المناسب.

- أهذا ما تعتقدين؟

- بل هذا ما أخبرنا به الطبيب.

تدرك أنها تردُّ عليه بأسلوب دفاعي، فتأخذ نفسًا عميقًا هادئًا.

الحقيقة هي أنها لم تجرؤ على زيارة اختصاصيٍّ، أو معالج بالإيحاء. إنها مخاطرة أن تسمح لشخص آخر غيرها، بمعرفة ما حدث تلك الليلة. تحتاج إلى اكتشاف الأمر بنفسها.

يغير المحقق مسار الاستجواب.

- نعلم أنكِ غادرتِ المنزل بمفردكِ ليلة الحادثة. لدينا شهود رأوكِ تغادرين.

تقول: «حسنًا».

تشعر بنظرات توم الحادة موجهة إليها.

يتابع رازباك: «وكذلك نعلم أنكِ تلقيتِ مكالمة هاتفية مساء ذلك اليوم، في الساعة الثامنة وسبع عشرة دقيقة».

تُعلق: «أفعلتُ ذلك حقًّا؟».

يقول المحقق: «بلى، فعلتِ. تلقيتِ مكالمة على هاتفكِ الأرضي. لقد فحصنا سجل مكالماتكِ».

يسأله توم: «وهل يجوز لكما فحص المكالمات؟».

يجيب رازباك: «أجل، يجوز لنا. ولولا ذلك، لما كنا فعلنا شيئًا. لقد استحضرنا مذكرة رسمية».

يحوِّل انتباهه إلى كارين ثانية.

- مَن تعتقدين أنه اتصل بكِ في ذلك الوقت؟

- ليست لديَّ أي فكرة.

يردد وراءها رازباك: «ليست لديكِ أي فكرة».

يندفع توم قائلًا دون تفكير، كأنه لم يعد يحتمل شدَّة الأعصاب هذه: «من الواضح أنك تعرف مَن اتصل بها، فلِمَ لا تتوقف عن التلاعب بأعصابنا وتخبرنا».

يتطلع رازباك إلى زوجها، ويقول: «في الواقع، لا نعرف مَن اتصل بها. لقد أُجرِيت المكالمة من هاتف خلوي مسبق الدفع. ولا يمكننا تتبع هذا النوع من المكالمات».

يميل المحقق في جلسته إلى الأمام، مواجهًا كارين، مما يشي بالخطر، كما تعتقد.

- إنما يُخيل إليَّ أنكِ تعلمين ذلك.

تشعر بعيني المحققين وعيني زوجها منصبَّة عليها عند ذكر هذه المعلومات الجديدة، وتتضاعف نبضات قلبها في الحال.

يستطرد رازباك: «إنها مكالمة غير اعتيادية، ألا تعتقدين ذلك؟».

تفكر في البطاقة التي وضعتها بمحفظتها. لقد أخطأت عندما سمحت لهما بالدخول.

- من المثير للاهتمام أن المكالمة جاءتكِ على الخط الأرضي، وليس على هاتفكِ الخاص.

تحدِّق إلى المحقق، دون أن تقول شيئًا. وما الذي قد تقوله له!

- ربما لم تكن المكالمة تخصكِ على الإطلاق.

يفاجئها هذا الافتراض.

يلتفت المحقق إلى توم، الذي يبدو متحيرًا مثلها تمامًا.

يسأله توم: «ما قصدك؟».

يردُّ رازباك: «أعني أنه ربما كانت المكالمة موجهة إليك، وتلقتها زوجتك في ذلك الحين».

يندهش توم اندهاشًا جليًّا، ويردف: «ماذا؟».

يتابع المحقق: «لقد جاءت المكالمة في تمام الساعة الثامنة وسبع عشرة دقيقة، ألا تعود إلى المنزل عادة بحلول هذا الوقت؟».

تراقب كارين رازباك من كثب، مرتاحةً لتحول الاستجواب بعيدًا عنها، لكن مَن اتصل بها مِن هذا الهاتف مسبق الدفع، لو صدق ما يقول. تفكر

لو تدعهما يضيعان وقتًا أطول بالتركيز على توم؛ لن يخرجا بأي شيء منه، بأي حال. تشعر بأعصابها تسترخي قليلًا. من الواضح أنهما لا يعرفان شيئًا آخر. يحاولان إيقاعهما في الكلام ليعرفا أكثر، لكن سيغادران قريبًا، خالي الوفاض.

يدافع توم عن نفسه، مجيبًا: «أجل، عادةً ما أعود إلى المنزل بحلول الثامنة مساءً أو قبلها. لكنني انشغلت بالعمل في الآونة الأخيرة».

ينتظر المحقق حتى ينهي توم كلامه.

- ماذا؟ أتعتقد أن شخصًا ما اتصل بي من هاتف خلوي لا يُمكن تعقبه؟

يقول رازباك: «محتمل».

يحتَجُّ توم: «هذا احتمال سخيف».

يظل المحقق صامتًا هنيهة، يرقب توم بعينيه الزرقاوين الحادتين، فيضيف توم: «أتعتقد أن شخصًا ما اتصل بي من هاتف خلوي لا يمكن تعقبه، وتلقت زوجتي المكالمة ومن ثَمَّ، تعجَّلت الخروج من المنزل؟ لماذا قد تفعل أمرًا كهذا؟».

تنقل كارين نظرها بين توم والمحقق، متفاجئة، لا تعرف إلى ما قد يقود هذا الحديث.

يسأل رازباك: «بالضبط، لماذا قد تفعل؟».

ثم ينتظر الإجابة في هدوء.

ينفد صبر توم.

- أخشى أنكما تضيعان وقتكما، أيها المحققان، ناهيكما بوقتنا. ربما عليكما المغادرة.

يسأله رازباك، كما لو يعرف الإجابة بالفعل: «هل هناك أمرٌ تخفيه، يا سيد كروب؟».

تنظر كارين إلى وجه زوجها بعينين مذعورتين.

***

تتردد بريدجيت عند عتبة باب منزلها، وبيدها طبق الكعك، فعند رؤيتها للسيارة المتوقفة أمام منزل آل كروب، تتعرفها. يبدو أن المحققين جاءا لزيارتهما مرة أخرى.

تتحرق لمعرفة ما يحدث بالداخل.

تعتزم التسلل إلى الفناء الخلفي للمنزل، وتترك الكعك عند الباب هناك. لا تريد أن تسبب إزعاجًا لأحد. إنها ليلة حارة، وكما توقعت، تجد الباب الزجاجي المنزلق مفتوحًا -حتى يعبر منه النسيم- فيما عدا، الباب الشبكي، فهو مغلق. إذا حافظت على الوقوف ساكنة في الظلام، قد تتمكن من سماع حديثهم في غرفة المعيشة، وبخاصة، إذا ما فتحت الباب بهدوء، لتضع الكعك على الأرض، أو بالداخل، على طاولة المطبخ...

الفصل العشرون

يشعر توم بحمرة تطفح على رقبته حتى وجهه. يعتريه الغضب من هذا المحقق، الذي يقتحم منزلهما، مراوغًا في توجيه اتهامات خادعة. إنه ليس مجبرًا على تحمُّل هذا الوضع.

يجيب توم: «لا، ليس لديَّ ما أخفيه، أيها المحقق».

بعد هنيهة، يقول رازباك: «كما تشاء».

- لماذا تصرُّ على طرح أمرٍ كهذا؟

ما إن يسأله توم، يندم على سؤاله في الحال.

ينظر إليه رازباك في اهتمام.

- لأننا كنا نرتب الجدول الزمني لليلة الحادثة، حيث تعرضت زوجتك لحادث سير، ليس بعيدًا عن مسرح الجريمة، قرابة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة مساءً. كما أبلغتَ النجدة تلك الليلة، أنك لدى وصولك إلى المنزل، عائدًا من العمل في قرابة التاسعة وعشرين دقيقة، لم تجد زوجتك، والأبواب غير مقفلة، والأنوار مضاءة.

يقول توم: «بالضبط».

يتوقف المحقق عن المتابعة للحظة، ثم يقول: «لقد تحدثنا إلى أمن الشركة التي تعمل بها، وقالوا إنك غادرت الساعة الثامنة وعشرين دقيقة. لا يبعد عملك عن المنزل سوى خمس عشرة دقيقة بالسيارة. إذن، إلى أين ذهبت في تلك الساعة؟ هذه الفترة الزمنية بالغة الأهمية في هذا التحقيق،

أي تلك الساعة، من الثامنة وعشرين دقيقة حتى التاسعة وعشرين دقيقة، أو نحو ذلك».

يصيب توم دوار مفاجئ، فيما تنظر إليه كارين مصدومة بحق، فيلتفت بعينيه بعيدًا. يحسُّ بالعرق يتصبب من جسده، وقميصه يبتل في الجانب الداخلي للكُمين.

يستطرد رازباك: «فيما يتعلق بهذه المسألة، وبناءً على مكالماتك المسجلة لدينا، فقد عدتَ إلى المنزل في التاسعة وعشرين دقيقة، ولم تتصل بأصدقاء زوجتك حتى (يراجع ملاحظاته) التاسعة وأربعين دقيقة، على ما أعتقد. وبعدها، أجريت مكالمة وجيزة برقم النجدة».

ينتظر المحقق تعليقًا منه، لكن توم لا ينبس بكلمة.

- أين كنت خلال تلك الساعة؟

يتلعثم توم مجيبًا: «كنتُ.. أتجول بالسيارة».

يقول رازباك، ناظرًا إليه بعينين كالفولاذ: «كنت تتجول بسيارتك لمدة خمس وأربعين دقيقة إضافية. لماذا؟».

يتمنى توم لو تطول يداه رقبة هذا المحقق. يأخذ نفسًا عميقًا محاولًا استعادة رباطة جأشه.

- احتجتُ وقتًا للتفكير، ولتصفية ذهني. لقد كان العمل شاقًّا في ذلك اليوم.

- ألم ترغب في العودة إلى منزلك حيث زوجتك؟

يتطلع توم إلى المحقق، متسائلًا عما يعرفه. وقد صار بهذه اللحظة، يمقت جرأة هذا الرجل، وكذلك، سلاسة حديثه، ورصانته، وتلميحاته الماكرة.

طفق توم يقول جزعًا: «بلى، رغبت في ذلك بالطبع. لكن.. القيادة تساعدني على تصفية ذهني. تساعدني على الاسترخاء. إن عملي ينطوي على كثير من الضغوط».

يبدو كلامه واهيًا، حتى بالنسبة إليه. يلمح حاجبَي رازباك يرتفعان. إنه تعبير مألوف لدى المحققين، للتأثير على المُستجوَبين، كم يزدريه توم لهذا السبب.

- هل توقفت في مكان ما؟ أو رآك شخص ما؟

يهزُّ توم رأسه ثم يقول مترددًا: «لقد توقفتُ لبضع دقائق كي أجلس إلى إحدى طاولات التنزه بمحاذاة النهر، من أجل أن أستنشق بعض الهواء المنعش. ولا أعتقد أن أحدًا رآني هناك».

- هل تتذكر أين توقفت بالضبط؟

يحاول توم التذكر.

- أعتقد في موقف للسيارات، عند نهاية طريق «برانزكومب».

لا يستطيع حمل نفسه على النظر نحو كارين. بينما يدوِّن رازباك، على عجل، المكان الذي ذكره توم، ثم، يوليه نظرة متفحصة أخيرة، قبل أن ينهض، واضعًا مذكِّرته جانبًا.

يفكر توم بأنهما سيغادران بالنهاية، بعدما تسببا بما يكفي من الضرر لليلة واحدة.

تصطحب كارين المحققين إلى الباب، فيما يظل جالسًا مكانه في غرفة الجلوس، محدقًا إلى الأسفل، في استعدادٍ لمواجهة زوجته.

***

تعرف كارين أن توم لا يحب القيادة، ولا تجعله مرتاحًا على الإطلاق، بل توتر أعصابه. تشعر كما لو تهتز الأرض تحت قدميها. يجب أن تستفهم منه.

- لماذا كنت تتجول بالسيارة لمدة ساعة تلك الليلة؟

يردُّ عليها السؤال بسؤال آخر.

- لماذا اصطدمت سيارتكِ في عمود كهرباء؟

تفتح فمها مذهولة.

يسرع توم بالقول: «سأخرج».

تراقبه مغادرًا، وتجفل عندما يغلق الباب وراءه بعنف.

ماذا فعل توم تلك الليلة؟ هذا المحقق ليس أحمقَ. هل يُعقل أن توم يكذب عليها؟ وأنه يخفي أمرًا عنها هي؟

مضطربةً تتجول في المطبخ لتحصل على بعض الماء المثلج وفجأة تكتشف طبقًا من كعك الشوكولاتة على الطاولة. تتوقف في منتصف المسافة. يمكنها التعرفُ على الطبق. إنه ملك لبريدجيت. لقد جاءت إلى هنا وتركت

كعكتها المميزة. لكن الطبق لم يكن موجودًا قبل وصول المحققين. لا بد أنها وضعته على طاولة المطبخ في أثناء تحدثها وتوم معهما، في غرفة المعيشة. ترتجف كارين. هل وصل إلى سمعها شيء؟

يضايقها كيف تخرج كل الأمور عن سيطرتها. تغمض عينيها، وتأخذ نفسًا عميقًا، مرغمة نفسها على الاسترخاء.

ستتصل بها في الغد وتشكرها على كعك الشوكولاتة. يمكنها الوثوق ببريدجيت. بينما تتحدث معها ستكتشف ما الذي سمعته.

تملأ كارين كوبها بالماء من الثلاجة، ثم تحمل طبق الكعك إلى غرفة المعيشة، وتجلس منتظرة عودة توم. *ما الذي يخفيه عنها؟* لطالما كان توم كتابًا مفتوحًا. لا تصدق أنه يحتفظ بأمر ما لنفسه. إلى أين ذهب خلال تلك الساعة، ولماذا لا يريد أن يخبرها؟

***

يركب توم سيارته ويقود إلى حانة بالجوار، من النوع الذي تذهب إليها الفرق المحلية لتناول الجعة بعد مباراة بيسبول ودية. يحتاج أن يُهدئ عقله. يختار زاوية شاغرة، ويطلب الجعة، ويشربها بشراهة؛ لا رغبة له في التحدث إلى أي أحد.

لقد أوقع نفسه في وضع فوضوي. وكلما يفكر في الأمر، يجده يزداد سوءًا. لم يرد أن يخبر المحققين بما فعله تلك الليلة، وخاصة أمام كارين. لأنه يعرف إلى ماذا قد يؤول الحال. أما الآن، فكل شيء قد كُشف.

كان من المفترض أن لديه موعدًا مع بريدجيت تلك الليلة، في تمام الساعة الثامنة والنصف، في مكانهما الهادئ المعهود بمحاذاة النهر، ما بين وسط المدينة والضواحي، حيث تقل الطرق ازدحامًا، وتمنح الأشجار بعض الخصوصية. اعتادا أن يتقابلا هناك، من حين إلى آخر، وقتما تورطا معًا في علاقة قصيرة طائشة، ومرتبكة.

اتصلت بمكتبه، في يوم الحادث نفسه، وطلبت منه أن يقابلها ولم تطلعه على السبب. لكنها تخلفت عن الحضور تلك الليلة. انتظرها أكثر من نصف ساعة في الظلام، ولم تظهر.

ما يزال جاهلًا السبب الذي من أجله أرادت بريدجيت مقابلته. وحين سألها في تلك المكالمة الهاتفية المقتضبة، عندما لم يجد كارين ليلة الحادثة، ماذا أرادت أن تخبره، ولماذا لم تأتِ، تجاهلتْ سؤاله قائلة أن أختها واجهت أزمة ما، وأنها ستخبره فيما بعد. لقد قلقت بشأن اختفاء كارين، على أي حال.

يعلم أنه وجب عليه إخبار كارين بعلاقته مع بريدجيت، إنما صار عليه إخبار المحققين أيضًا. لكن سيبدو أنه ذهب للقاء بريدجيت تلك الليلة، بناءً على رغبته، مبقيًا الأمر سرًّا عن كارين.

يعلم أنه يجب عليه إخبار كارين الليلة، عليه أن يخبرها بكل شيء، رغم ذلك، فهو ليس في مزاج ملائم. ربما قد يميل إلى إخبارها بالحقيقة، إذا باحت بما تخفيه أولًا.

***

عند عودته إلى المنزل، يجد زوجته تنظر إليه بحذر. إنهما يرتابان في بعضهما بعضًا بهذه اللحظة.

تسأله كارين بعد هنيهة، مشيرة إلى طبق الكعك، على طاولة القهوة: «أتريد تناول الكعك؟».

يسألها جالسًا: «من أين أتى هذا الكعك؟».

- يبدو أنه مِن صُنع بريدجيت، حتى طعمه يدل على ذلك.

- هل أتت إلى هنا؟

- لا بد وأنها فعلت.

ينظر توم إليها مستفهمًا.

- ماذا تقصدين؟

- بعدما غادرتَ، ذهبتُ إلى المطبخ، ووجدتُ الكعك على الطاولة.

يقول: «ماذا؟ متى وضعته هناك؟».

تقول: «أفترض عندما كنا نتحدث إلى المحققين هنا بالغرفة».

يقول منزعجًا: «اللعنة».

- سأتحدث معها في الغد، وأحاول أن أوضح لها.

يمسح توم وجهه بيده.

- وكيف ستوضحين لها وجود محققين في غرفة معيشتنا، يطرحان علينا أسئلة بشأن التحقيق في جريمة قتل؟

بالكاد تنظر إليه كارين الآن.

- سأقول لها الحقيقة. إن جريمة قتل ارتُكِبت في تلك الليلة، في محيط الموقع الذي تعرضت فيه للحادثة، وأن لا علاقة لي بهذه الجريمة، لكن الشرطة غُلبت على أمرها وليس لديهم أي دليل، وستتخلى عن التحقيق، ما دامت لم تجد دليلًا بعد.

يجول بباله، أنها تغافلت عن ذكر القفاز، وآثار إطارات السيارة، بالإضافة إلى المكالمة الهاتفية الغامضة. إنها تتظاهر بالتماسك؛ محتمل، أنها تبدي خلاف ما تشعر به.

يقول توم، بعد لحظات طويلة مشحونة بينهما: «ربما عليكِ زيارة طبيب متخصص».

تحتد نبرة صوتها.

- لماذا؟

- كما قال المحقق، يظهر أنكِ لا تحاولين عمل أي شيء من أجل استعادة ذاكرتك. ربما يجب عليكِ الاهتمام بذلك.

تحدِّق إليه، ولا يشيح عينيه عنها.

تقول ببرود: «وبماذا سيساعدني الطبيب؟».

يجيبها: «لا أعرف، لِمَ لا تجربين التنويم المغناطيسي».

بات يحثها، يدفعها لتفعل شيئًا. *لنكتشف معًا ما حدث في تلك الليلة. كم أتحرق لأعرف. ماذا عنكِ؟*

تضحك في تكلف.

- لن أخضع لتنويم مغناطيسي. إنه محض هراء.

- أحقًّا؟

يتحداها، فيما يرى أنه لا تعجبها هذه الطريقة.

تنهض مغادرة الغرفة، وتأخذ معها طبق الكعك، لتعيده إلى المطبخ. في حين، يمكث توم مكانه على أريكة غرفة المعيشة، وقد أنهكته وَحدة موحشة. يسمع الباب الخلفي في المطبخ يُفتح ثم يُغلق؛ لقد خرجت كارين.

الفصل الحادي والعشرون

تغلق كارين الباب خلفها وتقف لفترة وجيزة، في الفناء الخلفي. يجب أن تقاوم رغبتها في البكاء. لم يُفترض أن يحدث أي من هذا، إنها تخسر ثقة توم. تجلس علي أحد مقاعد الخيزران، متأملة أن يلحق بها، لكنه لم يفعل، مما يشعرها بالحزن والوحدة، والغضب والخوف.

بالإضافة إلى هذا الشك الرهيب، الذي يجتاحها بغتة؛ إلى أين ذهب توم خلال تلك الساعة؟ ماذا يخفي عنها؟ يا ليتها تتذكر ما حدث تلك الليلة! ما الذي فعلته يومها؟

ترغب بالهرب من المنزل المشحون بالتوتر بينها وبين توم. تنهض عن المقعد، وتتمشَّى في الباحة الخلفية، خارجةً من الممر الداخلي للمنزل. ربما حان وقت زيارة بريدجيت.

إنما لا قدرة لها على مواجهة بريدجيت بهذه اللحظة، فتُحِثُّ خطاها نحو الممشى الموازي للطريق، مبتعدة عن المنزل. إنها تحتاج إلى التفكير.

***

لقد خرجت كارين، وتوم وحده في المنزل. رأته بريدجيت عائدًا منذ دقائق معدودة. بالتأكيد حدث شيء ما بينهما.

تخطو إلى الخارج، وتعبر الطريق بسرعة؛ لا تعرف كم لديها من الوقت قبل عودة كارين. تصعد الدرجات وتقرع الباب الأمامي.

يتأخر في فتح الباب، فتقرع الجرس مرة أخرى. وأخيرًا، يفتح الباب بعصبية، فيما ترى الإرهاق والذهول باديًا عليه. ظهرت هالات داكنة على وجهه الوسيم، لم ترها من قبل؛ كما يبدو هزيلًا.

تقول: «مرحبًا».

يردُّ توم، ويده اليسرى تستند إلى إطار الباب، كما لو يستعد لإغلاقه في أي لحظة: «مرحبًا. كارين ليست في المنزل؛ لقد ذهبت إلى الخارج لبعض الوقت».

تقول بريدجيت: «أعلم. لقد رأيتها تتمشى في الطريق».

ثم تضيف بتردد: «في الواقع، أملتُ أن أراك وحدك للحظات».

تتخطاه متجهة نحو غرفة المعيشة؛ تستدير لتواجهه، قائلة: «أريد أن أسألك عن كارين. كيف حالها؟ هل هي على ما يرام؟».

يتطلع إليها توم ببرود.

- إنها تتماثل للشفاء.

- بدت مضطربة عندما جئت إلى هنا في ذلك اليوم، بشأن الكوب الزجاجي. لم تكن على طبيعتها مطلقًا.

يومئ توم.

- إن هذا مجرد... إننا نواجه العديد من الأمور هذه الأيام.

- أعرف، رأيتُ هذين المحققين وقد جاءا إلى هنا مرة أخرى منذ قليل.

تصمت هنيهةً، ولما لم يتحدث توم، تسأله: «ماذا يريدان؟».

يجيبها توم باقتضاب: «لقد أرادا معرفة ما إذا تذكرت أي شيء بشأن الحادث. في حين أنها لم تتذكر بعد، وحسب قولها لا تعرف ماذا حدث تلك الليلة».

تقول بريدجيت: «وهل تصدِّقها؟».

يردُّ توم في استياء: «بالطبع أصدِّقها».

- لكن ألا تصدِّقها الشرطة؟

- لا أعرف ما تصدِّقه الشرطة؛ ما يقولانه لا يمكن أن يُعقل.

كارين، معلَّقة بينهما. لا تستطيع مقاومة رغبتها في استكمالها.

- في يوم الحادثة، كان سبب اتصالي بك وطلب مقابلتك، هو إخبارك عن الرجل الذي تطفل حول منزلك، وترك تلميحًا يخص ماضي كارين. اعتقدتُ أنه لو حاولتُ إخبارك عبر الهاتف، فستغلق المكالمة بوجهي. وبعدها هاتفتني أختي، و...

يقول توم مقاطعًا: «لا أريد أن أتحدث عن هذا الأمر».

تمرُّ لحظة صمت ثقيلة، ثم يتابع: «يمكنكِ التواصل مع كارين في الصباح».

تومئ برأسها، قائلة: «بالطبع، سأتصل بها».

وتضيف: «تبدو منهكًا يا توم».

يقول فيما يتخلل شعره بيده: «هذا لأنني منهك بالفعل».

تقول، وهي تضع يدها على ساعده برفق: «لو أن هناك ما يمكنني المساعدة به، أخبرني على الفور».

بردٌ في عناد: «أشكركِ. يمكنني التعامل مع الأمر».

تشعر بدفء ساعده العاري تحت يدها. يبتعد عنها، قاطعًا تواصلهما.

تقول، قبل أن تتحرك وتنزل الدرجات عائدة إلى المنزل: «تصبح على خير».

تتأمل منزلها فيما وراء الحديقة على الجهة الأخرى من الطريق، حيث يبدو موحشًا ومظلمًا، باستثناء مصباح الباب الأمامي.

***

يغلق توم الباب خلف بريدجيت في ارتياح، ثم يستند بظهره إلى الباب، وقد أنهكه التعب. دومًا ما يشعر بالحرج والتوتر أمام بريدجيت؛ يكره الصداقة الوثيقة التي نشأت بينها وبين زوجته. رغم علمه أنه رد فعلي أناني منه. يسير متثاقلًا نحو غرفة المعيشة، يتساءل عما يدور ببال بريدجيت. لقد عرفت أن الرجلين محققان بالشرطة. فالمحققون لا يتحرون عن حوادث السير. من الواضح أنها تشكُّ أن الأمر أكبر من مجرد حادث سيارة. وبات يعلم أن لديها تساؤلات حول ماضي كارين. يتمنى لو أنها لم تشاركه شكوكها. فلو صدق ما تشتبه به، إذن فسلوك كارين المخادع، يعود لزمن طويل سابق لليلة الحادثة.

ومع هذا، يصعب عليه تصديق ذلك. يتذكر كل الأوقات السعيدة التي قضياها معًا، متشابكي الأيدي يتجولان عبر الغابة في الخريف، يتناولان القهوة في الباحة الخلفية في الصيف، ويستدفئان بالأغطية معًا في الشتاء. يشعر دومًا أنه مغرم بها، ولطالما اعتقد أنهما يتبادلان الشعور نفسه.

أما في هذه اللحظة... فقد أمسى لا يعرف بما يصدِّق. إذا كانت لا تستطيع التذكر حقًا، لماذا لا تبذل جهدًا لاستعادة ذاكرتها، مثلما قال المحقق؟

يتوجه إلى المطبخ ويمد يده نحو الخزانة ليخرج زجاجة ويسكي. هنالك بعض زجاجات الشراب المتبقية من حفل زفافهما، منذ قرابة عامين. نادرًا ما يحتاج إلى شرب أكثر من زجاجة جعة أو كأس من الخمر في أثناء تناول العشاء. والآن، يصبُّ لنفسه شرابًا قويًّا، في انتظار عودة زوجته.

الفصل الثاني والعشرون

تسرع كارين خطواتها مثل قطة مذعورة. تتلاحق أنفاسها بسرعة، في مزيج من الإجهاد والانفعال. تشعر أنها ستنهار.

لقد عاشت في خوف لزمن طويل.

تخطر ببالها المرة الأولى التي وجدت عند عودتها من العمل، أن بعض الأشياء تغيرت أماكنها التي تركتها فيها. لاحظت أن الرواية، التي قرأتها الليلة السابقة، وُضعت على *يسار* مصباح منضدة السرير، في حين، أنها متأكدة من تركها على يمين المصباح، في الجهة الأقرب إليها، قبل أن تنام. لم تكن لتضعها على الجهة البعيدة عنها من المصباح. وقفت حينها تحدِّق غير مصدقة، وتفحصت بقية الغرفة في قلق. للوهلة الأولى، تبدو كل الأشياء في أماكنها كما ينبغي لها. لكن عندما فتحت درج ملابسها الداخلية، وجدته مبعثرًا، كما لو أن شخصًا ما فتَّش بين سراويلها الداخلية وحمالات صدرها. عرفت أن شخصًا لا بد فعل ذلك. طفقت مكانها ساكنة تمامًا، تتطلع إلى الدرج، كاتمةً أنفاسها. قالت لنفسها، وهي تفحص دولاب ملابسها، إنه من المستحيل أن شخصًا دخل إلى المنزل. ربما اندفعت خارجة في الصباح، على عجل. لكنها تعرف أنها لم تفعل؛ لقد كان يوم عمل عاديًّا.

لم تذكر هذا الأمر لتوم.

ثم جاء يوم عادت فيه إلى المنزل، ولم تمضِ فترة طويلة، وذهبت إلى غرفة النوم لتغير ملابسها. لقد رتبت السرير في الصباح، كما تفعل دائمًا، بالطريقة التي تعلمتها وهي شابة صغيرة، عندما عملت وصيفة في فندق

خمس نجوم -جميع الأركان مثنية بإحكام والسطح أملس مشدود. وبينما كانت تخلع أقراطها، رأت انعكاس السرير في مرآة دولاب الملابس، فتسمرت مكانها. ثم دارت حول نفسها محدِّقة. استطاعت أن ترى -مترنحة- أثرًا غائرًا لجسد على الملاءة الخضراء الفاتحة اللون، كما لو أن شخصًا ما استلقى على السرير، ثم نهض محاولًا هندمة سطح الملاءة بفوضوية. أصابها الفزع. عرفت حينها أنها لم تكن تتخيل. يغادر توم للعمل يوميًّا قبل أن ترتب وتهندم السرير. ارتعبت لدرجة أنها اتصلت بتوم في المكتب وسألته إذا ما جاء إلى المنزل خلال ساعات النهار. لم يفعل، فأخبرته أنها وجدت نافذة مفتوحة، اعتقدت أنها أغلقتها قبل أن تغادر للعمل، وربما نسيت أن تغلقها. لم يبدُ عليه أنه يهتم.

بعدها، بدأت تلتقط الصور في كل غرفة من المنزل باستخدام هاتفها الخلوي، قبل مغادرتها للعمل كل يوم، وتقارنها بما وجدته عند عودتها إلى المنزل. دومًا ما تذهب للعمل بعد مغادرة توم، وتسبقه في العودة إلى المنزل. ليست لديهم عاملة تنظيف، ولا حيوانات أليفة. فإن لم تكن الأشياء في محلها المضبوط كما تركتها،...

سبقت المرة الأخيرة وقوع الحادثة بأيام قليلة. خالجها شعور بأن شخصًا ما دخل المنزل؛ يمكنها بطريقة ما أن تشعر بذلك. تجولت بالمنزل وهاتفها الخلوي في يدها، تقارن ما تراه أمامها في الغرف بالصور على هاتفها. تجد كل شيء كما يفترض أن يكون. رغم هذا، فهي على يقين أن شخصًا ما كان هنا. ما كادت تسترخي، حتى وصلت إلى المكتب في الطابق العلوي. حدَّقت إلى مكتب توم. ثم بحثت في الصور على هاتفها، حتى وجدت صورة المكتب التي التقطتها ذلك الصباح. لم تكن أجندة توم المفتوحة في نفس المكان على سطح المكتب؛ بل تبعد قرابة ست بوصات لأعلى عن ذي قبل. حدَّقت إلى الصورة، ثم إلى المكتب. لا شك فيما ترى. دخل شخص ما إلى هنا، إلى منزلهما.

دخل شخص ما منزلهما، وتفقد أغراضهما، واستلقى على سريرهما.

لم تخبر توم قط.

أما في هذه اللحظة، فتعرف مَن هو. لقد كان هو طوال الوقت. لقد دخل إلى منزلها، مرارًا كيفما شاء. يراقب وينتظر. يصيبها التفكير في هذا الأمر بالغثيان.

لكنه مات. لا تفارق صور الجثة البشعة مخيلتها، مهما حاولت أن تتناساها.

في تلك المرة التي وجدت فيها الكأس على المنضدة، لا بد أنها ظنت خطأً؛ جعلتها أعصابها المتوترة تذعر من لا شيء. لا بد أن الكأس وُضعت هناك من قبل، ونسيت أمرها، ربما بسبب الارتجاج.

تتمحور مخاوفها الآن على ذلك المحقق اللعين.

يخفق قلبها بعنف في صدرها، وهي تُعجِّل الخطى عائدة إلى المنزل.

***

تصل المنزل متلهفة للدخول سريعًا. توصد الباب بقوة خلفها وتحكم إغلاقه. تستدير لتجد توم يراقبها في اهتمام من غرفة المعيشة، حيث يقف بجوار المدفأة، وبيده اليمنى كأسٌ من الويسكي.

تقول له: «هل يمكنك أن تصبَّ لي كأسًا؟».

لقد اكتفت من تناول مسكنات الألم. تحتاج إلى مشروب قوي.

- بالطبع.

تتبعه إلى المطبخ، وتراقبه، فيما يمد يده داخل الخزانة ليحضر الزجاجة. تتمنى لو يتمكنان من تجاوز حالة انعدام الثقة، والتوتر الذي نشأ بينهما. تتساءل إذا ما يمكنهما فعل ذلك، بعد ما حدث.

يلتفت ويقدم لها كأسًا صغيرة من الويسكي، دون ثلج.

تقول: «أشكرك».

وترتشف رشفة وتشعر بحرقة في حلقها على الفور، فتتمالك أعصابها قليلًا.

يسألها توم: «إلى أين ذهبتِ؟».

يحاول جاهدًا أن يخفي أي لمحة عداء في صوته، وهذا ليس من طبعه على الإطلاق. لقد اختفى الرجل السعيد، طيب القلب، وخالي البال الذي تزوجته، ذلك الرجل باسم الوجه، الذي يعانقها ويقبِّلها بعفوية. لقد تسببت في تغيُّره.

تجيب بنبرة محايدة: «ذهبت للتنزه سيرًا على الأقدام».

يومئ، وكأنما من عادتها أن تتنزه بمفردها بعد حلول الظلام، من دونه.

يدور ببالها، وهي تأخذ رشفة أخرى، *أنهما صارا أشبه بالغرباء عن بعضهما تمامًا.*

يقول توم، فيما يقف في مقابلها، مستندًا بظهره إلى المنضدة: «لقد جاءت بريدجيت».

تضيق أنفاسها سائلة: «أحقًّا جاءت؟ ماذا قالت؟ هل وصل لسمعها أي شيء؟».

ينفعل توم قائلًا: «لا بد أنها سمعت».

- وهل سألتها؟

- يمكنكِ سؤالها في الغد. من الأفضل أن تسأليها بنفسكِ، على أي حال.

تومئ، وفيما تتطلع إلى زوجها، يضطرب قلبها عندما تجده يبعد ناظريه عنها. يحتاج كلاهما إلى معرفة ما تحجبه ذاكرتها.

مترددةً تقول: «أتمانع لو أوصلتني إلى هناك، يا توم؟ إلى حيث وُجدت الجثة؟».

يقول، وقد أخذته على حين غرة: «ماذا؟ بهذه الساعة؟».

- ولِمَ لا؟

تتذكر كيف أثار استفزازها، وكيف اتهمها بأنها لا تبذل وسعها لاستعادة ذاكرتها. ها هي تعرض عليه فعل شيء لاستعادتها. لو أنه فقط يعلم إلى أي مدى تتحرق لمعرفة ما حدث تلك الليلة.

- ربما سيساعدني الذهاب إلى هناك على التذكُّر.

تعرف عنوان ذلك المكان؛ لقد قصَّته من خبر بالجريدة.

يقول توم، تاركًا كأسه: «حسنًا».

يختطف مفاتيحه في طريق خروجه من الباب وتتبعه كارين.

الفصل الثالث والعشرون

كلما ابتعدا عن ضاحيتهما التي يألفانها، في طريقهما جنوبًا، يزداد شعور كارين بعدم الارتياح، كأنهما ذاهبان للبحث عن المتاعب، في سيارة لكزس، تقودهما عبر شوارع قديمة. ترغب لو تقول له، *ألا ترى كيف أحاول*، لكنها لم تقل. تتطلع من النافذة إلى الأحياء المُكئِبة، وتحاول أن تتذكر، لكن لا شيء يعود إلى ذاكرتها.

يقول توم: «أعتقد أن هذا هو المكان».

يقترب من ساحة انتظار خالية من السيارات، لسوق تجارية، وعلى الجهة الأخرى من الشارع، يقبع ذلك المطعم الخَرِب، الذي سمِعَا عنه الكثير مؤخرًا.

يجلسان في الظلام، ناظرين نحو ذلك المبنى القبيح، المغلق بالألواح الخشبية. لا تريد كارين الخروج من السيارة، والسير في هذا الحي. لا تريد إلا العودة إلى المنزل. لا شيء يبدو مألوفًا لها. لم ترَ هذا المكان من قبل. لم تأتِ هنا قط. بدأت ترتجف.

يقول توم بنبرة خشنة: «هيا لنذهب ونلقِيَ نظرة بالداخل».

لم تنوِ الخروج من السيارة مطلقًا. قصدت أن ترى المكان من مسافة بعيدة فقط. تنكمش مرتعدة في مقعدها.

- لا أريد الذهاب.

يخرج من السيارة، رغم قولها. ليس لديها خيار سوى أن تحذُوَ حذوه؛ فلا تريد المكوث هنا بمفردها. تخرج من السيارة وتغلق الباب غاضبةً. يجب أن تحُثَّ خطاها لتلحق به، فيما يعبر الشارع متجهًا نحو المطعم على الجهة

الأخرى. تتلفت حولها بعصبية، ولا تجد أحدًا غيرهما على مرمى بصرها. يتوقفان أمام المبنى معًا، صامتين. يمكنها أن تحُسَّ أنه يلقي اللوم عليها من خلال تشنج كتفيه، وتعبير وجهه الجامد. بات يعلم أنها أتت إلى مكان كهذا، ولا يستطيع أن يغفر لها. دون أن ينطق بكلمة، يدور حول المبنى قاصدًا الجانب الخلفي. تتبعه، متعثرة في الظلام، تشعر بقدميها ترتجفان. تتسارع أنفاسها، فتصاب ببعض الدوار. يعتريها خوف رهيب. ومع هذا، لم تميز أي شيء. لم تتذكر أي شيء بعد.

لم يزَل شريط الشرطة الأصفر معلقًا، لكنه متهدل في بعض الجوانب، متحركًا مع هبَّة النسيم.

يلتفت إليها توم سائلًا: «هل يساعدك المكان على التذكر بأي حال؟».

تهزُّ رأسها. تعرف أنها تبدو مرتعبة. تقول: «لنعد يا توم».

يتجاهل رجاءها قائلًا: «هيا ندخل».

تكرهه لتحديها بهذا الأسلوب، ولعدم اهتمامه إلى أي مدى تبدو خائفة. تفكر في العودة وحدها نحو السيارة. لو أنها تحمل المفاتيح معها، لغادرت بالسيارة وتركته هنا.

على الرغم من ذلك، يمنحها غضبها منه الشجاعة للحاق به، متخطية الشريط الأصفر، وصولًا إلى الباب الخلفي. يدفعه توم بمرفقه، ولدهشتها، يُفتح على الفور. تفترض أن الشرطة انتهت من الفحص، وتركت الأشياء على النحو الذي وُجدت عليه.

يتقدمها توم. هناك ضوء قادم من عمود إنارة بالجهة الأمامية، يتسلل مائلًا من خلال فتحة بنافذة موصدة بلوحٍ خشبيٍّ، وينير الجزء الداخلي بما يكفي لرؤيته بوضوح. هناك بقعة داكنة على الأرضية، لا بد أنها موقع الجثة، ورائحة بشعة نفَّاذة -كرائحة حيوان متعفن. تتوقف، متجمدة مكانها، فيما تحملق في ذلك المنظر. تتحرك يدها رُغمًا عنها نحو فمها، كأنما ستتقيأ. يتطلع إليها توم ثانية.

يسألها: «أتذكرتِ شيئًا؟».

تقول: «رأيتُ ما يكفي».

تستدير متعثرة في طريقها للخروج. وبالخارج، تنحني إلى الأمام وتتنفس على عجلٍ هواءً منعشًا بعمق. عندما ترفع رأسها، يقع بصرها على موقف للسيارات قريب. يقف توم بجانبها وينظر في ذات الاتجاه.

يقول: «أعتقد أنهم عثروا على آثار الإطارات بذلك الموقف، وكذلك القفاز».

ثم يسير نحو موقف السيارات، فيما تراقبه. يستدير بعد بضع خطوات ويقول: «ألن تأتي؟».

- لا، سأعود إلى السيارة.

تتحرك مبتعدة دون النظر إليه. لقد أفزعها ما رأت، ولم يساعدها على التذكر. لم تثمر جهودها عن جعله يحسن الظن بها، أو حتى تكتسب تعاطفه.

***

يراقبها توم، وهي تتجه عائدة نحو السوق التجارية. إنها مستاءة منه، لكنه لا يهتم. بل ولاقى لديه غضبها شعور خبيث بالاستحسان. على الرغم مما جرى، يقع اللوم عليها وحدها. يراها تعبر الشارع وتنتظر بجوار السيارة. لن يمكنها دخول السيارة، والمفاتيح معه.

يتطلع حوله في موقف السيارات، متصورًا المكان الذي أوقفت فيه سيارتها بالضبط، حيث عثرت الشرطة على القفاز. يأخذ وقته متفكرًا، وعيناه على كارين، ليطمئن أنها بخير، وهي واقفة وحدها بجوار سيارة فارهة.

ينضم إليها بعد حين، ويفتح السيارة، ويقودها بصمت إلى المنزل. يتدبر أمر هذه الجولة الخاطفة، التي لم تساعد إلا على تبين مدى التصدع في علاقتهما الممزقة بالفعل.

يصلان إلى المنزل، في وقت متأخر من الليل. يلقي توم مفاتيحه على المنضدة بجوار الباب، قائلًا: «إنني متعب، سأخلد إلى النوم».

ثم يحتجب عنها، ويتجه نحو الدرج. ومع كل درجة يصعدها، تتعمق خيبة أمله.

***

يدخل بوب من باب المنزل على مهل. يختلس النظر إلى غرفة المعيشة، حيث سيجد بريدجيت جالسة في الظلام. يعلم أنها ليست ساهرة في انتظار

عودته. اعتادت أن تفعل في الماضي، لكنها لم تعد مهتمة به، كل ما يهمها هو أمر ذلك المنزل المقابل اللعين.

ليست وحدها من يتألم. يمكنه أن يبقى على حبه لها، لو أنها تتخطى حالة الحسرة على عدم قدرتها على الإنجاب. وبسبب ذلك تمزقت علاقتهما، وتأثرت صحتها النفسية. دومًا ما عرفها امرأة عاطفية؛ ودومًا ما كان رجلًا مراعيًا، داعمًا لها. رغم ذلك، بات لا يدري ماذا يفعل. يعرف كيف يتحدث إلى الأسر المكلومة، هذا ما يفعله طوال يوم عمله، إنه ماهر في المواساة، بينما يفشل فشلًا ذريعًا في منزله. يعجز عن مساعدة زوجته لتتقبل شعورها بالخسارة، أو تقدر مشاعره كما ينبغي.

يقول برفق، ناظرًا إلى هيئة رأسها الداكن على ظهر المقعد: «بريدجيت؟».

لم تتحرك هنيهة فيعتقد أنها نائمة. يتقدم بضع خطوات أخرى نحو غرفة المعيشة. وما إن تتكلم يفزع على الفور.

تقول: «أهلًا».

يسألها بوب، وهو يقترب ناظرًا إليها بقلق: «ألا يجب أن تخلدي إلى النوم؟».

لم ترفع حتى عينيها لتنظر إليه، بل تحافظ عليهما مثبتتين على المنزل المقابل.

تقول: «لقد جاء هذان المحققان مرة أخرى الليلة، ليتحدثا إلى كارين وتوم».

لا يفهم بوب ما الذي يجري بحق الجحيم مع كارين وتوم كروب. يظهر أن كارين متورطة في مشكلة ما. لا يعرف الكثير عنهما، جل ما يعرفه هو الصداقة الوطيدة بين بريدجيت وكارين.

- ما الذي يجري معهما في ظنكِ؟

تهزُّ بريدجيت رأسها.

- لا أعلم.

- ألم تستعدْ كارين ذاكرتها بعد؟

- لا.

ثم تلتفت ناظرة إليه أخيرًا.

- خبزتُ كعكة شوكولاتة. أتريد قطعة منها؟

***

ترقب توم وهو يولّيها ظهره، وقلبها يذوي مع كل درجة يصعدها بعيدًا عنها.

لم تتوقف عن الارتجاف بعد. تدخل المطبخ وتصبُّ لنفسها كأسًا أخرى من النبيذ، تحملها إلى غرفة المعيشة، وتنهار على الأريكة، وهي تحتضن الكأس بين يديها المرتعشتين. تتجرع الويسكي وتحملق في بقعة فارغة على الحائط، لا تدري لكم من الوقت. يخيم سكون تام. وبغتةً، تسمع رنين الهاتف في المطبخ. ترتعش أوصالها. يتوقف الهاتف عن الرنين عند الرَنَّة الثانية -لا بد أن توم أجاب عليه من غرفة نوم- وفي الحال، تتذكر تلك المكالمة الهاتفية...

تغمض عينيها. وها قد عادت إلى المطبخ، تُحَضِّر السلطة، وتقطع الطماطم شرائح على لوح التقطيع.. ترقبت موعد عودة توم إلى المنزل. تشوقت لرؤيته. عندما رنَّ الهاتف، اعتقدت أنه من يتصل بها، ليخبرها أنه سيتأخر في العودة على غير المتوقع. لكن لم يكن توم المتصل. إنها تسترجع ذاكرتها، تركِّز ذهنها على التذكر؛ تريد أن تعرف ما حدث.

كان صوتًا لم تسمعه منذ ما يقارب ثلاث سنوات، صوتًا اعتقدت أنها لن تسمعه مجددًا أبدًا. يمكنها أن تميز هذا الصوت في أي مكان.

- مرحبًا جورجينا.

بدأ قلبها يرتجف، وجف حلقها. ودت لو تغلق الخط دون أن تنطق بكلمة، ولكنه تصرف طفلة صغيرة تجلس القرفصاء وتغمض عينيها، معتقدةً أن لا أحد يمكنه أن يراها. لم تستطع أن تنهي المكالمة، لم تستطع أن تغمض عينيها وكفى. لقد عَثر عليها. عرفت قبلًا أنه وجد مكانها؛ لقد دخل إلى منزلها. كانت بانتظاره، وتحاول التظاهر بأنه لن يجدها أبدًا. وها قد حدث وعُثر عليها.

هربت من حياتها السابقة، وبدأت من جديد بشخصية أخرى، ووجدت سعادة غير متوقعة مع توم. حتى جاءت مكالمة هاتفية واحدة، جعلتها تشعر أن حياتها الجديدة تتهشم إلى شظايا حادة.

أعطاها عنوان مطعم مهجور في حي، لم يخطر ببالها أن تَطأه بقدميها يومًا قط، ثم أغلقت الهاتف. كل ما استطاعت التفكير فيه هو حماية نفسها، وعدم السماح لأي شخص أن يهدم حياتها مع توم. لمحت القفاز الوردي على منضدة المطبخ، فأخذته. أخرجت مسدسها من مخبَئِه في غرفة التدفئة بالقبو -ذلك المسدس الذي يجهل توم وجوده- ووضعته مع القفاز في حقيبة قماشية. ثم، انتشلت مفاتيح سيارتها من على المنضدة وركضت على الدرج، ولم تُبالِ بإغلاق الباب، أو ترك ملاحظة لتوم.

قادت السيارة، وهي تحكم قبضتها على عجلة القيادة، متخطية الحد الأقصى للسرعة، وعقلها مغيب.

للحظة، يتوقف سيل التذكر. لا يمكنها تذكر ما حدث بعدها. تأخذ جرعة أخرى من الويسكي وتحاول الاسترخاء. ثم فجأة، تتذكر أنها أوقفت السيارة في ذلك الموقف، أخرجت زوجي القفاز من الحقيبة القماشية وارتدتهما، وبدت مثيرة للسخرية. أخذت المسدس من الحقيبة. كانت ترتجف. نظرت حولها لتتأكد أن لا أحد يراقب المكان -كان المبنى مهجورًا تمامًا- وبعد ذلك خرجت من السيارة وسارت بعصبية في الظلام، إزاء الجانب الخلفي من المبنى، كما أخبرها أن تفعل. عندما وصلت، وجدت الباب مواربًا، فدفعته بأصابعها المتوارية وراء القفاز،... ثم تخذلها ذاكرتها. تحاول أن تجبر نفسها على التذكر، ولا يحدث شيء. تكبح حاجتها إلى البكاء من الإحباط. لم تعرف ماذا حدث داخل هذا المطعم بعد. تجهل كيف قُتل. ينبغي أن تعرف ما حدث! كيف يمكن لها أن تقرر ما يجب عليها فعله، ما لم تعلم الحقيقة؟ تعجز عن تذكر المزيد.

ما شهدته الليلة مع توم، صار مألوفًا بالنسبة إليها الآن. لم تعد تحتمل التفكير في الأمر. تتجرع ما بقي من الشراب، وتضع الكأس على طاولة القهوة، ثم، تدفن وجهها في كفيها.

الفصل الرابع والعشرون

في صباح اليوم التالي، تمكث كارين وحدها في المنزل، بعدما غادر توم للعمل. تشعر أن حياتها تنهار فوق رأسها. تجلس في المطبخ، متجاهلة كوب القهوة أمامها، وأوصالها ترتعش.

ترعبها فكرة أن رازباك سيعود لزيارتها؛ تتخيل أنه في هذه الأثناء يحوم بالأرجاء، منقبًا في ماضيها، مكتشفًا حقيقتها. يتبين أمورًا أخفتها. يتبين هوية الرجل الميت. إنها مجرد مسألة وقت.

لم تخبر توم بما تذكَّرته، لا يمكنها. يجب أن تفكر، أن تجد سبيلًا للنجاة من هذا المأزق. إنما ذهنها الحاد بالعادة، البارع في وضع الخطط، لا يعمل بكفاءته المعهودة في هذه الآونة. ربما يرجع السبب لارتجاج دماغها.

استطاعت الهرب من قبل. هربت بعيدًا عنه، بعيدًا عن لاس فيجاس، وبدأت حياة جديدة.

أخبرته أنها ذاهبة في جولة حول فيجاس في ذلك اليوم، إلى حيث سد «هوفر» على أطراف المدينة. وفي الليلة السابقة لذلك اليوم، أخذت السيارة المستعملة، التي ابتاعتها نقدًا قبل بضعة أسابيع. لقد رتبت أمر الاحتفاظ بها لدى التاجر ريثما تحتاجها. واستخدمت حينها هويتها الجديدة -التي حصلت عليها من شخص استأجرته عبر الإنترنت- من أجل تسجيل السيارة. ثم قادتها في طريقها إلى السدِّ، وتركتها في موقف للسيارات، أسفل الجسر المعلق فوق سدِّ هوفر. طلبت سيارة أجرة باستخدام هاتف مسبق الدفع، اشترته نقدًا من متجر صغير، وجعلت السائق يعيدها إلى طريق لاس فيجاس

وينزلها عند منتجع «بُلاجيو». دفعت للسائق نقدًا كذلك، ثم أخذت سيارة أجرة أخرى إلى المنزل، ووصلت قبل عودته. عرفت سابقًا أنه سيظل بالخارج لوقت متأخر. جفاها النوم تلك الليلة؛ كانت شديدة القلق والتوتر بشأن ما قد يعرقل خطتها.

في الصباح الباكر لليوم التالي، قادت سيارتها إلى سدِّ هوفر ثانية، واتخذت طريق 93 جنوبي لاس فيجاس، متوترة الأعصاب خلف عجلة القيادة. توقفت عند النقطة نفسها أسفل جسر سدِّ هوفر. وعندما رأت سيارتها المستعملة التي ستهرب بها في انتظارها، عند الطرف الآخر من موقف السيارات، شعرت بغتة، أن كل ما أرادته يتحقق لأول مرة. تركت مخفظتها مع بطاقاتها في درج القفازات بالسيارة. ثم تمشت نحو الجسر. كان هناك عدد قليل من الناس، بما يكفي لتضمن شهودًا عليها. وقفت عند الحاجز ونظرت إلى الأسفل. يرتفع الجسر قرابة 900 قدم من سطح نهر كولورادو بالأسفل. أصابها المنظر بالدوار. إن القفز أو السقوط من عليه قد يودي إلى موت محقَّق. أخرجت هاتفها الخلوي والتقطت صورة. ثم أرسلت إليه الصورة ومعها نص رسالة.

لن تؤذيني بعد الآن. هذه هي النهاية. ولا تلوم إلا نفسك.

وبمجرد أن أرسلتها، طوَّحت الهاتف الخلوي من على الجسر.

بعدها، كان عليها إكمال خطتها بسرعة. غادرت الجسر، نزولًا إلى موقف السيارات، ودخلت إحدى كبائن دورات المياه المتنقلة، ما إن تأكدت أن لا أحد يراها. خلعت ملابسها كلها على عجل، فيما عدا حمالة صدرها وسروالها الداخلي، وأخرجت فستانًا قطنيًّا خفيفًا من حقيبة ظهرها، ودعته ينزلق عليها من رأسها، ثم ارتدت صنادلَ ذات كعبٍ عالٍ، جلبته معها أيضًا. حزمت سروالها القصير، وقميصها، وحذاءها الرياضي، وقبعة البيسبول في الحقيبة، ثم تركت شعرها البني ينسدل على ظهرها، ووضعت على عينيها نظارة شمسية كبيرة. تناولت حقيبة زينتها الصغيرة، وطلت شفتيها. باستثناء حقيبة الظهر التي حملتها، بدت مختلفة تمام الاختلاف.

على الطرف الآخر من ساحة انتظار السيارات، كانت سيارتها المستعملة بانتظارها، وبدرج القفاز، هناك بطاقة هوية جديدة كلفتها الكثير، باسم كارين فيرفيلد، بالإضافة إلى بعض النقود التي تمكنت من توفيرها. سارت عبر الموقف إزاء سيارة الهروب، وفستانها يلتف حول ساقيها العاريتين، كما لو صار بإمكانها أن تطير.

ركبت السيارة، وأنزلت النوافذ، وبدأت بالقيادة. ومع كل ميل قطعته، استردت أنفاسها رويدًا.

***

تفتح لها بريدجيت الباب قائلة: «رأيتكِ قادمة نحو منزلي. تفضلي بالدخول».

من الواضح أن بريدجيت سعيدة لرؤيتها، كأن الأمور عادت إلى طبيعتها، للحظة. تتمنى كارين لو تفضي إليها بما يُحدِق بها. رغم أنها ستشعر بتحسن، إذا شاركت العبء الذي تحمله مع أحد، يجب عليها أن تحفظ سرها، حتى عن أقرب صديقة لها، وزوجها بخاصةٍ وأنها ما زالت تجهل ماذا فعلت ليلة الحادثة.

تتجه الاثنتان على الفور إلى المطبخ في الجزء الخلفي من المنزل، كعادتهما.

- حضَّرتُ بعض القهوة. أتريدين قدحًا؟ إنها منزوعة الكافيين.

- من فضلك.

تجلس كارين في الكرسي الذي تشغله عادة عند طاولة مطبخ بريدجيت، التي تراقبها فيما تعدُّ القهوة.

تسأل بريدجيت، ناظرة إليها بجانب عينيها: «كيف تشعرين؟».

تقول كارين: «أفضل حالًا».

تقول صديقتها: «تبدين بصحة جيدة، مقارنة بحالتكِ السابقة».

يفتر ثغرها عن ابتسامة حزينة. من الجيد أن تتظاهر ولو لفترة وجيزة بأن حياتها عادت لما كانت عليه. تلمس وجهها بحرص. لقد اختفى تورم وجهها، وتحولت الكدمات إلى أصفر باهت.

تنظر إلى كارين بجانب عينيها ثانية.

- لا أقصد التطفل على شؤونكِ مطلقًا، لكن إذا أردتِ التحدث عما حدث، فكلِّي آذان مصغية. أو إذا لم ترغبي بذلك، فلستِ مضطرة إلى إخباري. سأتفهم.

تعرف كارين أن بريدجيت تتحرق شوقًا لتخبرها عما حدث.

تقول كذبًا: «كل ما في الأمر -وإنه لشديد الغرابة- أنني لم أتذكر شيئًا عن تلك الليلة بعد، منذ أن كنت أعدُّ العشاء وحتى وقت استيقاظي في المشفى. لذلك لا أعتقد أن لديَّ الكثير لأتحدث عنه».

تقول بريدجيت في نبرة متعاطفة، وهي تعود إلى [illegible] وبيديها كوبا القهوة: «لا شك أنه أمر عجيب».

تجلب الحليب والسكر، ثم تجلس على الكرسي المقابل لكارين.

- لقد رأيت المحققَيْن يترددان على منزلك. لقد جاءا إلى هنا كذلك، يطرحان عليَّ الأسئلة.

تتصنع كارين الدهشة، قائلة: «أحقًّا جاءا إلى منزلك؟ لماذا جاءا إلى هنا؟ وأي أسئلة وجَّهاها لكِ؟».

- لقد أرادا معرفة ما إذا رأيتُكِ تغادرين تلك الليلة، قبل وقوع حادثتك، بمفردكِ، أم مع شخص ما، أسئلة من ذلك القبيل.

- أوه، فهمت.

تومئ كارين. هذا منطقي. هكذا، باتا يعرفان أنها غادرت المنزل بمفردها، على عجل، بعدما تلقت تلك المكالمة في الساعة 8:17 مساءً. تتمنى لو تعرف بالضبط ما توصل إليه المحققان أو ما يشتبهان بأمره.

- قلتُ لهما إنني لم أرَ شيئًا، ولم أكن في المنزل وقتها.

ترتشف كارين رشفة من كوب قهوتها، وتقول: «بالمناسبة، أشكركِ على كعك الشوكولاتة. كان طعمها لذيذًا، كالمعتاد».

- أوه، على الرحب والسعة. لم أستطع تناول كعكة كاملة وحدي، على أي حال.

تتابع كارين: «لا بد أنكِ أحضرتها حينما حضر المحققان».

تومئ بريدجيت، وتخبرها: «لم أُرِد أن أزعجكِ، لذلك اعتقدتُ أنه من الأفضل أن أترك الطبق وأذهب».

يخطر ببالها لأول مرة، تساؤل عن السبب الذي لم يجعل بريدجيت تتركه على الشرفة الأمامية، كما هي العادة بهذه الأنحاء. هذا ما يفعله الجيران، إذا مرض أحدهم، أو كان لدى إحداهن طفل رضيع، أو في حالة وفاة أحد من الأسرة. عادة، ما يتركون طبقًا عند الباب الأمامي، وليس الخلفي على الإطلاق.

- لماذا لم تتركيه على الشرفة؟

تتردد بريدجيت في الإجابة: «لم أرغب في مقاطعة حديثكم. اعتقدتُ أنني لو اتجهتُ إلى مقدمة المنزل، قد تسمعين خطواتي وتضطرين إلى فتح الباب».

تلمّح لها كارين، قائلة: «لا بد أنه تهادى إلى سمعكِ بعض من حديثنا، عندما كنتِ في المطبخ».

تردُّ بريدجيت: «لا، لم أسمع شيئًا قط. لقد تركته هناك وغادرت في الحال».

ثم تميل إلى الأمام، القلق بادٍ على وجهها.

- لكن المحققين عادةً لا يتحرون عن حوادث السير. ما الذي يجري معكِ حقيقةً، يا كارين؟

تتطلع إليها كارين بدورها، وتسرع بإعمال عقلها. لم يكن عليها أن تخبرها بشيء.

- إنهما يحققان في جريمة قتل.

يبدو الذعر على وجه بريدجيت.

- جريمة قتل! وما علاقتكِ بها؟

تهزُّ كارين رأسها.

- لا أدري. أُطلق النار على رجل. وكل ما توصل إليه المحققان، أن سيارتي كانت بالجوار، ولأنني قدتُ بسرعة كبيرة وتعرضتُ لحادث، يعتقدان أنني ربما لديَّ علم بما حدث. فمن المحتمل أنني شهدتُ على الجريمة أو شيء من هذا القبيل. لذلك يستمران بالحضور إلى منزلي، لحثّي على تذكر تلك الليلة. يحتاجان مساعدتي في الكشف عن هوية من ارتكب الجريمة. لكن مع الأسف، ليس بيدي تقديم المساعدة.

يدور بذهنها، كيف تجري الأكاذيب على لسانها بسلاسة.

- هل لدى الأطباء فكرة لكم من الوقت ستنتظرين ريثما تستعيدين ذاكرتكِ؟

تهزُّ كارين رأسها مرة أخرى.

- ربما لن أتذكر أبدًا، بسبب الصدمة التي تعرضتُ لها، نتيجة أنني قد رأيتُ أمرًا فظيعًا، كما يعتقدون.

- هذا يعني أن لديكِ أمورًا تحتاجين إلى الاهتمام بها، بدلًا من الانشغال بعمل رجال الشرطة نيابة عنهم. دعيهم يكتشفون الأمر بأنفسهم.

تنهض بريدجيت لتلتقط علبة بسكويت من الخزانة وتحضرها إلى الطاولة.

- أتريدين تناول واحدة منها؟

تمدُّ كارين يدها داخل العلبة، وتأخذ قطعة بسكويت، وتفعل بريدجيت مثلها، فيما ترتشف قهوتها، ثم تقول: «إذن، أما زلتِ تجهلين لماذا تركتِ المنزل بتلك السرعة؟».

تتردد مجيبة: «حسب ما علمت، تلقيتُ مكالمة هاتفية، لكنني لا أتذكر ممن».

تسألها بريدجيت من وراء كوبها، وعيناها تتسعان: «ألم تكتشف الشرطة هوية المتصل بعد؟».

تندم كارين أنها أخبرتها بشيء. لا تريد أن تذكر أمر الهاتف مسبق الدفع أمامها. كيف ستشرح لها إذن، لماذا لا يمكن للشرطة معرفة من اتصل بها؟

تجيب كارين على عجل: «لا، لا يمكنهم ذلك».

ترغب أن تنهي هذه المحادثة. تبتلع ما بقي من قطعة البسكويت، وتهمُّ بالنهوض.

- يجب أن أذهب، كنت في طريقي لأتمشى قليلًا بالجوار.

تنهض كلتاهما عن الطاولة. وفي أثناء مرورهما بغرفة المعيشة، تسألها بريدجيت: «هل تعتقدين أنكِ في خطر؟».

تتراجع كارين للوراء فجأة، ناظرة إليها.

- ماذا تعنين بقولكِ؟

ربما تلمَح بريدجيت خوفًا بعينيها.

- أتدرين أنه إذا اعتبرتكِ الشرطة شاهدة على الجريمة، وأنكِ رأيتِ شيئًا.. فمن المحتمل أن شخصًا آخر يعرف أنكِ رأيتِ ما حدث أيضًا.

تحدِّق إليها كارين، دون أن تنبس ببنت شفة.

تقول بريدجيت: «إنني آسفة، لم أقصد أن أقلقك. لم يكن ينبغي أن أقول كلامًا كهذا».

تقول كارين كذبًا: «لا عليكِ. لقد خطر لي الخاطر نفسه».

تومئ بريدجيت، ثم تضيف وكلتاهما بالخارج على الشرفة الأمامية: «على أي حال، لن يدع توم مكروهًا يصيبك».

الفصل الخامس والعشرون

وافق توم على مقابلة أخيه، دان، في أحد المطاعم البسيطة لتناول الغداء معًا. يعمل دان في وسط المدينة كذلك؛ لا يبعد موقعا عملهما عن بعضهما بعضًا. عندما اتصل دان مبكرًا هذا الصباح، كان في صوته لمحة من القلق. لم يخبره توم بأحواله لفترة طويلة. ينتابه الذنب على حين غرة أنه لم يبقَ على تواصل جيد مع أخيه.

يشعر أنه بحاجة إلى التحدث مع شخص يثق به. وبهذه اللحظة، يجد أن أخاه الصغير هو الشخص الوحيد الذي يصلح للثقة به.

عند وصول توم إلى المطعم، يختار طاولة في زاوية بعيدة، ويجلس في انتظار أخيه. ولدى وصول دان، يُلوِّح له توم.

يقول دان، متطلعًا إليه بقلق: «مرحبًا. تبدو بحال سيئة».

يجيب توم ناظرًا إلى أخيه: «أجل.. تفضل اجلس».

يسأله دان، وهو يجلس: «ما الذي يجري معك؟ لم تتواصل معي طيلة الأيام الماضية. كيف حال كارين؟».

يقول توم: «إنها على ما يرام».

رغم أن اغتمامه لا بد وأنه واضح للعيان ويصعب إغفاله، دومًا ما يفهمه دان من نظرة واحدة.

يميل دان إلى الأمام قائلًا: «إذن، ما الذي تخفيه عني، يا توم؟ ماذا يجري معك بحق الجحيم؟».

يأخذ توم نفسًا عميقًا ويميل إلى الأمام بدوره، وينتظر حتى يضع النادل قائمتي الطعام على الطاولة، ويبتعد عن مجال السمع. ثم، يخبر دان عن كل ما صار -عن الرجل المقتول، والقفاز، والمكالمة التي جاءت من هاتف مسبق الدفع.

ينظر إليه دان غير مصدق.

- هذا أمر غير معقول. ما الذي ذهب بكارين هناك؟ ومن الذي قد يتصل بها من هاتف مسبق الدفع بحق الجحيم؟

- لا أدري، غير أن هذا ما جعل الشرطة تشتبه بها.

- إنه أمر جِدِّيٌّ. إذن.. هل لديك فكرة عما فعلته كارين هناك في تلك الليلة؟

يبدو القلق على دان.

يردُّ توم، متحاشيًا النظر بعينيه: «ما زلتُ لا أدري. ولم تتذكر كارين بعد حسب قولها».

يتساءل توم عما إذا يمكن لدان أن يستشعر الشك الذي يساوره. يخيم الصمت بينهما هنيهة طويلة، ويقطعه توم قائلًا: «أعتقد أننا يجب أن نطلب الطعام».

- بالطبع.

بينما يتطلعان إلى القائمة، يفكر توم أيخبر دان ببقية الأمر أم لا -يخبره أنه بات لديه فضول لمعرفة ماضي كارين، فربما تخفي شيئًا عنه. لكن ماذا لو أنه يبالغ في فضوله؟ إنما هناك أمر آخر يحتاج أن يُحدِّث دان عنه. يدوِّن النادل طلباتهما، ويضع توم القائمة جانبًا.

- إن الشرطة تشتبه في أمري كذلك.

يسأله دان، والذعر باديًا عليه، كأنما يخشى مما سيسمعه تاليًا: «لماذا تشتبه في أمرك؟ ما الذي تقصده بحق الجحيم؟».

يدنو توم أكثر من أخيه، ويخبره في نبرة أقرب إلى الهمس: «تريد الشرطة أن تعرف أين كنت وقت وقوع حادثة كارين -تزامنًا مع وقت وقوع جريمة القتل».

يُطبِق عليهما صمت طويل ثقيل، ودان يحدِّق إلى وجهه.

يقول دان: «ولماذا بحق الجحيم تشتبه بك الشرطة؟».

يبتلع توم ريقه.

- لم أخبرك بهذا سابقًا، لكن... أتعرف جارتنا بريدجيت التي تسكن بالمنزل المقابل؟ أعتقد أنك قابلتها ذات مرة.

- أجل، أعرفها بالطبع. ماذا عنها؟

يخفض توم عينيه، ويتطلع إلى الطاولة، خجلًا مما يوشك أن يعترف به.

- لقد تورطت معها في علاقة، قبل أن أقابل كارين.

يردف دان بنبرة حادة: «أوليستْ متزوجة؟».

- بلى، غير أن...

تلتقي عيناه بعيني دان للحظة، ثم ينظر بعيدًا عنه.

- لقد خدعتني. أخبرتني أن زواجها قد انتهى، وأنهما سينفصلان لا محالة. لقد كذبت عليَّ.

جرَّته بريدجيت إلى علاقة سرية، ولم يدرك الحقيقة، إلا عندما دعاه بوب بنفسه ليشربا الجعة معًا في إحدى الأمسيات، ولم يظهر عليه أن لديه علمًا بعلاقته مع زوجته، والأدهى، أن بوب ليست لديه فكرة أن زواجه يواجه صعوبات. لقد أخبرَته كذبًا بعكس ذلك.

لقد سهُل عليها التلاعب به. رغم أنه حمل بداخله انجذابًا جارفًا تجاهها. كان هناك أمرٌ مثيرٌ بشأنها، من حيث عدم اكتراثها بالحدود. هي من ساعدته على مواجهة الحياة بجرأة.

إنما بمجرد أن علم أنها كذبت عليه بشأن وضع زواجها، قطع علاقته معها. وكما توقع، لم تتقبل قراره بسهولة، بل توددت إليه ليعدل عن قراره، وأجهشت بالبكاء وصرخت بوجهه. خشي أن تفعل أمرًا متهورًا، كأن تخبر زوجها، أو تمزق إطارات سيارته. لكن بعدئذٍ هدأت ووافقت ألا تخبر بوب. وبعد فترة قصيرة، التقى توم بكارين. وما إن صارت علاقتهما جادة، طلب من بريدجيت أن تَعِدَهُ بعدم إخبار كارين بشأن ما حدث بينهما. لقد خجل من نفسه إزاء معاشرة زوجة رجل آخر، على الرغم من أنه خُدع. لم يتخيل حينها أن تتوطد الصداقة بين كارين وبريدجيت. اعتراه استياء بالغ وهو يراقب ما يحدث. لقد شهد بعض المواقف المزعجة، حيث لم يثق أن تحفظ بريدجيت

السر عن زوجته- لكنها التزمت بوعدها له. ولذا اعتبر بريدجيت، لفترة طويلة، مجرد صديقة لكارين. حتى جاء ذلك اليوم، الذي طلبت فيه لقاءه.

يقول دان برفق: «ما الذي تحاول أن تخبرني به، يا توم؟ أنك عدت لمعاشرتها مرة أخرى؟ هل كنت برفقتها تلك الليلة؟».

يصل النادل بطعامهما، فيمسكان، فجأة، عن الكلام، حتى ينصرف.

يشعر توم بعدم الارتياح جراء هذه المحادثة. يوجه نظرة جادة إلى أخيه، قائلًا بحزم: «لا، لم أعُدْ لمعاشرتها. كما قلت لك، انتهت علاقتنا حتى قبل أن أقابل كارين. كما أن كارين لا تعرف شيئًا حيال هذا الموضوع؛ تعتقد أننا مجرد جيران. لقد اتفقنا على إبقاء الأمر سرًّا بيننا».

يسأله دان: «وهل كان ذلك قرارًا حكيمًا؟».

- لا. أدركت ذلك بعد فوات الأوان.

- إذن، لماذا لم تخبر الشرطة إلى أين ذهبت، يا توم؟ يا إلهي، فضلًا لا تخبرني أنك متورط في شيء من هذا...

يبدو الذهول على وجهه.

فيقاطعه توم: «لم أرتكب خطأً، ولستُ متورطًا فيما أوقعت كارين نفسها فيه، مهما يكن كنهه. أقسم لك بذلك».

ثم يتردد، مستطردًا: «الأمر هو.. أن بريدجيت اتصلت بي في ذلك اليوم، في يوم الحادثة، وطلبت مني مقابلتها ذلك المساء. أرادت التحدث معي عن أمر ما، وقالت إنه بالغ الأهمية».

يتخلل شعره بكلتا يديه.

- لكنها لم تظهر ليلتها قط. انتظرتها لأكثر من نصف ساعة. والآن، تستجوبني الشرطة لتعرف أين كنت. أخبرت المحققين أنني قدت السيارة بالأرجاء، محاولًا الاسترخاء، لأن عملي مرهق للغاية. لقد كذبت أمام ناظري كارين.

يقول دان: «يا لها من فوضى».

يومئ توم، قائلًا: «أجل، صحيح».

- ينبغي لك أن تخبر الشرطة بالحقيقة. وستكتشف كارين الأمر آجلًا أو عاجلًا.

يتجهم توم مهمومًا.

- أعرف.

- وما الذي أرادت بريدجيت أن تحدثك عنه؟

يتطلع توم إلى أخيه في انزعاج، ويخبره عن ذلك الرجل داكن الشعر، الذي كان يحوم حول المنزل في نهار ذلك اليوم، وعن شكوك بريدجيت حول ماضي كارين.

يقول توم: «تقول إنها شاهدت برنامجًا تلفزيونيًّا، وما قاله لها ذلك الرجل جعلها تعتقد أن كارين ربما هربت من حياة ماضية، وأنها تستخدم هوية مستعارة».

- أهذا معقول؟

يومئ توم.

- أعلم.. كم يبدو الأمر سخيفًا، أليس كذلك؟ لقد أخبرتني أنها أرادت مقابلتي في تلك الليلة، لتطلعني على الأمر شخصيًّا، لأنها ظنت إذا ما حاولتْ إخباري عبر الهاتف، سأغلق المكالمة بوجهها.

- ولِمَ قد تفعل؟

يشيح توم بنظره بعيدًا.

- لقد اعتادت أن تتصل بي.. وكنتُ أنهي المكالمة على الفور. إنما، مرَّ زمن وقت طويل على ذلك.

- ولماذا لم تأتِ إذن؟

يعاود توم النظر إلى عيني دان.

- قالت إن أختها احتاجت إليها؛ دومًا ما تواجه أختها الأزمات. على أي حال، تدور برأسها فكرة أننا لا نعرف سوى القليل عن ماضي كارين، وكيف يُعقل أن لا أقارب لها، وأفكار من هذا القبيل.

يقول دان ببطء: «لها حق أن تشك».

- بدأت أشكُّ بالأمر كذلك. *يا إلهي، ماذا لو صدقت شكوك بريدجيت، يا دان؟*

الفصل السادس والعشرون

يعود توم إلى مكتبه بعد الغداء، ولم يكد يمر وقت على عودته، حتى تهاتفه موظفة الاستقبال لتخبره أن هناك «سيِّدين» هنا لمقابلته. لا بد أن هذين السيِّدين هما المحققان الملعونان. لقد رآهما الليلة الماضية، لماذا يريدان التحدث معه مرة أخرى اليوم؟ يحسُّ بالعرق يتصبب من منتصف ظهره، فيما وراء قميصه. يحتاج إلى لحظة حتى يهندم نفسه، ويضبط ربطة عنقه، ثم يطلب منها: «دعيهما يدخلان».

ينهض توم عن المكتب، ما إن يدخل المحققان، رازباك وجينينجز، غرفة مكتبه.

يقول وهو يغلق الباب خلفهما: «مساء الخير».

يتذكر كيف حثَّه دان على التعاون مع الشرطة. يجب أن يخبرهما بأمر بريدجيت.

يقول رازباك بسرور: «مساء الخير».

يكره توم دماثة رازباك؛ فمن خبرته الفترة الماضية، دومًا ما يخفي وراء دماثته أمرًا مزعجًا. يعود توم إلى مكتبه ويتساءل في قلق عن الكارثة التي سيفجرانها. في البداية، كان العثور على القفاز في مسرح الجريمة، وبعدها، تلقي مكالمة من هاتف مسبق الدفع. ماذا لديهما هذه المرة؟

يباشر رازباك الحديث بعدما يجلسون جميعًا: «لدينا بعض الأسئلة لنطرحها عليك».

يقول توم: «بالتأكيد لديكم أسئلة».

يتطلع إليه المحقق بلا اكتراث، ويسأله: «أين تعرفت زوجتك؟».

يردُّ توم متفاجئًا: «وما علاقة ذلك بالتحقيق؟».

يقول رازباك بلطف: «تحملني رجاءً، وأجب عن السؤال».

- عملتْ موظفة مؤقتة هنا في المكتب، ومكثت لمدة أسبوعين فقط. إنها مسؤولة حسابات، انتقلت حديثًا إلى المدينة، لذلك، كانت تبحث عن عمل بصفة مؤقتة. أرادت أن تشغل وظيفة في شركة محاسبة. عملتْ في طابقنا لمدة أسبوعين، وعندما انتهت مهمتها، طلبت منها الخروج في موعد.

يومئ رازباك ويميل رأسه إلى الجانب: «هل تعرف ما يكفي عن زوجتك؟».

يجيب توم بمزاج نَزِق: «أنا متزوج منها.. ما ظنُّك بي؟».

يتصارع عقله. ما الذي توصلا إليه؟ يخفق قلبه بشدة. ألهذا جاءا إلى هنا. ليخبراه من تكون زوجته بالحقيقة.

يصمت رازباك لحظة، ثم يميل إلى الأمام قليلًا، ويتحدث بنبرة أكثر تعاطفًا: «لا أعني إذا ما تعرف معجون الأسنان المفضل لديها. بل أعني، هل تعرف أين ولدت؟ وما هو ماضيها؟».

- أعرف بالطبع.

يسأله رازباك: «وما الذي تعرفه؟».

على الرغم من ارتيابه أنه يُجرُّ إلى فخ ما، لا يستطيع التفكير في أي شيء ليقوله، عدا إخبارهما بما قالته له كارين.

- إنها ولدت ونشأت في ولاية ويسكونسن. تُوُفِّيَ والداها. وليس لديها إخوة أو أخوات.

- هل من شيء آخر؟

- أجل، أعرف الكثير بعد.

يحدِّق توم إلى المحقق ويقول، غير قادرٍ على احتمال أي توتر أكثر: «لماذا لا تتطرق إلى الموضوع مباشرة؟».

يجيب رازباك: «إن زوجتك ليست المرأة التي تدعي».

يتطلع إليه توم، بفتور عن عمد.

يقول المحقق: «لا يبدو أنك متفاجئ».

يجيبه: «لم يعد أيٌّ مما تقولانه يفاجئني».

يقول رازباك: «أحقًّا؟ ألن تُفاجَأ إذا علمت أنك متزوج من امرأة اختفت واتخذت هوية جديدة؟».

يميل المحقق إلى الأمام، مثبتًا عينيه على توم، الذي لم يستطع أن يجد مهربًا من عينيه.

- إن زوجتك لم تُولد كارين فيرفيلد.

يظل توم جالسًا بهدوء في مكانه. لا يدري ماذا يفعل. هل يجب عليه أن يفصح عن شكوكه حول كارين؟ أم يتظاهر بأن لا فكرة لديه عما يقول؟

يقتحم رازباك صمته، قائلًا في إصرار: «لقد كذبت عليك زوجتك بشأن هويتها».

يقول توم بعناد: «لا، لم تفعل».

يقول رازباك: «أخشى أنها فعلت. اختلقت شخصية كارين فيرفيلد وكل ما يخص ماضيها. أتقنت اختلاق شخصيتها على نحو جيد، لكن ليس بما يكفي لخداع الجهات الأمنية. كانت لتجري أمورها على خير ما يرام، لو أنها لم تخالف القانون؛ فلو أنها تجنبت تعريض نفسها للمتاعب، لم يكن لأحد أن يكتشف أمرها على الإطلاق. لكن الظهور في مسرح جريمة قتل، لا يُعد تصرفًا ذكيًّا».

يحتَجُّ توم قائلًا: «لا أصدِّق أيًّا مما تقول».

يحاول أن يظهر ساخطًا، على الرغم من علمه أنه على الأرجح، من وجهة نظرهما، رجل يائس في حالة نكران لحقيقة مُرَّة.

يقول رازباك: «عليك أن تهدأ. إنك لا تثق بزوجتك أكثر مما أفعل».

يندفع توم صائحًا: «ماذا؟ ما الذي تتحدث عنه؟ إنني أثق بزوجتي بالطبع».

يشعر توم بوجهه تكسوه الحُمرة حتى منابت شعره، ويضيف دون أن يتمكن من تمالك نفسه: «إذا كنت محقًّا فيما تقول أيها المحقق الحاذق، قل لي إذًا مَن هي؟».

يندم على الفور على تفوهه بهذا السؤال، مرتعبًا من سماع الإجابة.

يتراجع رازباك إلى الوراء في مقعده، ويقول: «لا نعلم بعد. لكننا سنعرف».

يقول توم في نبرة مريرة: «حسنًا، عندما تعرفان، بالتأكيد ستخبرانني بما عرفتماه».

يؤكد له رازباك: «بالطبع سنفعل».

ثم ينهض ليغادر مضيفًا: «بالمناسبة، هل أتيحت لك فرصة جيدة لتتذكر أين ذهبت ليلة الحادثة تحديدًا؟».

يا له من محقق ملعون. يتمالك توم أعصابه؛ يعلم أن ما عليه قوله ليس يسيرًا عليه: «لم أخبرك بكل ما حدث الليلة الماضية».

يتوقف رازباك ويتطلع إليه، منتظرًا.

- لم أُرِد أن أخبرك حينها، لأنك كنت لتأخذ ما أقول على محمل آخر.

يجلس المحقق ثانية.

- نحن لا نهتم إلا بالحقائق، يا سيد كروب. لماذا لا تمنحنا فرصة لمساعدتك؟

يحدِّق إليه توم.

- كان من المفترض أن ألتقي بشخص ما. أعني بريدجيت كروكشانك، جارتنا في المنزل المقابل لنا.

ينظر إليه رازباك في اهتمام، منتظرًا سماع المزيد.

- لقد اتصلت بي وأرادت مقابلتي في الساعة الثامنة والنصف، بجوار النهر. ذهبت إلى هناك، لكنها لم تأتِ.

يُخرِج المحقق دفتر ملاحظاته من جيب بذلته ثانية.

- ولِمَ لم تأتِ؟

- تقول إن أختها احتاجت إليها.

- ولماذا أرادت مقابلتك؟

يكذب توم: «لا أدري».

لا يريد أن يخبرهما عن الرجل ذي الشعر الداكن، الذي رأته بريدجيت يحوم حول المنزل ذلك الصباح. كما أكَّدت له أنها لم تذكر الأمر لهما.

- ألم تسألها عن السبب؟

يعلم أنه ينبغي له إخبارهما.

- إذا ما يجب أن تعرف، فإنني قبل أن ألتقي بزوجتي، كانت بيني وبريدجيت.. كانت بيننا علاقة سرية.

يركز رازباك عينيه على توم، ويقول: «تابع».

- لم تطل علاقتنا، لقد قطعتها، حتى قبل أن أقابل كارين.

- وهل تعرف زوجتك؟

- لا، لم أخبرها قط.

- ولماذا؟

- ولماذا في رأيك بحق الجحيم؟

- وهل ما زلت لا تعلم السبب الذي من أجله، رغبت هذه المرأة -بريدجيت- في مقابلتك بذلك المكان ليلًا؟

يهزُّ توم رأسه.

- لا. أبعدت حادثة كارين عن ذهني التفكير في أي شيء.

- إذن، هل عُدت لمعاشرتها مجددًا؟

- لا. بالطبع لا.

- فهمت.

لا يرغب توم بهذه اللحظة سوى بتسديد لكمةٍ إلى هذا المحقق. لكنه لم يفعل. وفيما يهمَّان بالنهوض، يقف توم ويراقبهما يغادران. يجب أن يتمالك نفسه قبل أن يصفع الباب خلفهما بغضب.

الفصل السابع والعشرون

يسأل جينينجز، فيما يركبان السيارة، ويربطان حزام الأمان: «هل تعتقد أنه يعرف الهوية الحقيقية لزوجته؟».

يهزُّ رازباك رأسه.

- أشك في ذلك. لقد بدا مرتعبًا من فكرة أننا جئنا لنخبره بشيء عن زوجته، لم يرغب في سماعه.

يتوقف عن الكلام هنيهة، ثم يضيف: «سيعاني الأمرَّين إذا علم شيئًا عنها».

يومئ جينينجز.

- هل يمكنك أن تتخيل أنك تذهب للنوم، كل ليلة، بجوار زوجتك التي قد تكون قاتلة؟ بالتأكيد سيؤثر فيك ذلك سلبًا.

يخالج رازباك الإحباط لعدم عثورهما بعد، على أي أشخاص مفقودين يتطابقون مع مواصفات كارين. يتساءل بصوت عالٍ: «من هي بحق الجحيم؟».

ثم يتفكر للحظة.

- أودُّ لو نستدعيها للاستجواب، لكني لا أريدها أن تفزع. لو أن لدينا ما يكفي من الأدلة لاعتقالها، لأمكننا الحصول على بصماتها، وحَاولنا البحث عن هوية مطابقة لها. نعلم أنها متورطة بالجريمة بطريقة ما. لكن الأدلة التي لدينا ضدها، ليست كافية.

يعلق جينينجز: «إن محاولة اكتشاف مَنْ تكون، هي كالبحث عن إبرة في كومة من القش. أتعرف كم شخصًا يختفي في هذا البلد كل عام؟».

يرفع رازباك حاجبيه باتجاهه. فيضيف جينينجز: «هذا تعبير مجازيٌ بالطبع».

يقول رازباك: «أعتقد أن مفتاح هذه القضية هو الضحية. تقتل امرأة مجهولة الهوية رجلًا مجهول الهوية كذلك. من هما هذان الاثنان؟».

- جريمة مدبرة؟ حماية شهود؟

- محتمل، لا أدري. ولكن إذا استطعنا تحديد هوية أحدهما، أعتقد أننا سنقدر على تحديد هوية الآخر.

يسكت هنيهة أخرى، ثم يردف ممعنًا التفكير: «إنها تعلم».

وفيم يتوقفان عند المركز، يكمل: «لنطلب منها الحضور إلى هنا. ونتعامل معها بهدوء وحذر».

***

تدخل كارين لتأخذ حمامًا، وتترك دموعها تنهمر، مع المياه التي تنساب فوق رأسها. إنها لا تريد الفرار -لا تريد الابتعاد عن توم- ومع ذلك، يبقى هذا خيارها الوحيد، إذا ساءت الأمور أكثر مما هي عليه.

بعد هنيهة، تجمع شتات نفسها، لأنه ينبغي لها ذلك. لا يمكن أن تدع أعصابها تنهار. حتى ولو بدا وضعها سيئًا في الوقت الحالي، لا يعني هذا بالضرورة أن الشرطة ستدينها بالقضية. تحتاج أن تتحدث إلى جاك كالفن مرة أخرى، دون زوجها. تحتاج لتعرف ما هي الخيارات التي بيدها.

لأنه ما إن تتعرف الشرطة الضحية -بمجرد أن تتبين هوية الرجل الميت أنه روبرت ترينور- حينها، سيتعمق البحث بحياته.

سيُعرف أن زوجته ماتت ميتة مأسوية منذ قرابة ثلاث سنوات. هناك صور لجورجينا ترينور. وعندها يمكن لهذا المحقق أن يتعرفها. سيجمع الأدلة ويدرك أنها زيفت انتحارها لتهرب من زوجها، الذي عثر عليها، والذي اتصل بها من هاتف مسبق الدفع في تلك الليلة. ولذلك، سيعتقد أنها قتلته.

تشعر بالإعياء والخوف. إنها فقط مسألة وقت.

وماذا عن توم -ما الذي سيعتقده عندما يكتشف أنها مخادعة، وأنها تزوجته، وهي متزوجة قانونًا من شخص آخر؟ كيف سينظر إليها عندما تخبره الشرطة بأنها قاتلة؟

ترتدي ملابسها على عجل، وتخرج بطاقة جاك كالفن من محفظتها. تطلع إلى رقم الطوارئ المكتوب على ظهرها. قال لها إن بإمكانها الاتصال به على هذا الرقم، في أي وقت. تجلس على الأريكة بغرفة المعيشة وتمد يدها إلى الهاتف، إنما قبل أن ترفع السماعة، يرنُّ الهاتف.

تجفل، ثم تجيب: «أجل».

- أنا المحقق رازباك.

لقد عرفت الشرطة.

تتمكن من القول، وأنفاسها تضيق: «كيف أساعدك أيها المحقق؟».

- نودُّ منكِ الحضور إلى المركز، لإجابتنا عن بعض الأسئلة. نطلب منكِ ذلك طوعًا، بالطبع. لستِ ملزمة بالمجيء.

تجمُد هنيهة. ماذا عليها أن تفعل؟

تسأله: «وما السبب؟».

يكرر: « لدينا بعض الأسئلة لنطرحها عليكِ».

تسأل: «هل تعرفتم هوية الرجل الذي قُتل؟».

يقول المحقق: «ليس بعد».

تتسارع نبضات قلبها. لا يمكنها أن تصدقه.

تحاول الحفاظ على نبرة محايدة، حتى لا يلمح بصوتها فزعها الرهيب.

- حسنٌ. متى تُفضل أن أحضر؟

- في أي وقت من بعد ظهر هذا اليوم، سيكون مناسبًا. هل تعرفين أين يقع مركز الشرطة؟

يخبرها بمكان المركز، ولا تنصت جيدًا.

وبعد انتهاء المكالمة، تهرول إلى غرفة النوم وتشرع في تعبئة أغراضها بسرعة.

الفصل الثامن والعشرون

يختطف توم هاتفه الخلوي ويتأهب لمغادرة المكتب، رغم أن الوقت ما يزال مبكرًا من بعد الظهر. يبلغ موظفة الاستقبال باقتضاب، دون النظر إليها: «لن أعود لبقية اليوم».

ويشقُّ طريقه خارجًا من البناية، متوجهًا نحو موقف السيارات.

يقود سيارته نحو النهر ويقف بمحاذاته محدِّقًا إلى المياه المتدفقة لبعض الوقت. لم يساعد ذلك على تهدئته.

لا يعرف هوية المرأة التي تزوجها. متى بدأت الأكاذيب ومتى ستتوقف؟ يذرف الدمع في مقلتيه بحُرقة، فيفرك عينيه.

فجأة، تتولد لديه رغبة في مواجهتها. لم يعد يطيق التوتر فيما بينهما، ولا ضغط تحريات الشرطة، ولا حتى النظرات الثاقبة لذلك المحقق المريع. يعود ليركب سيارته ومن ثم يقودها إلى المنزل، متمالكًا غضبه، حتى يستطيع مواجهتها بثبات. بينما ينعطف عند الممر الداخلي، يخالج قلبه بعض الخوف. يا تُرى ما الذي سيجده في انتظاره هذه المرة؟

لن تتوقع حضوره، في وقت مبكر كهذا من بعد الظهر. يدلف إلى المنزل بهدوء. يريد أن يفاجئها، ويرى ما الذي تفعله، في أثناء غيابه عن المنزل.

يجول ببطء في الطابق الأول. ليست هناك. ثم يصعد الدرج المغطى بالسجاد متجهًا إلى ردهة غرفة النوم. يقف عند باب الغرفة، وقلبه ينفطر لما يراه.

تولي ظهرها له وهي مستغرقة في حزم أغراضها بحقيبة رحلات ليلية. تتحرك في عُجالة. *إنها تستعد للهرب. هل فكرت في إخباره على الأقل؟*

يفتح فمه ليهتف باسمها، لكن لا ينطق بكلمة. يتسمر في مكانه، محطمًا، فيما يراقب المرأة التي يحبها تستعد للرحيل عنه، دون حتى كلمة وداع.

تستدير بغتةً وتراه، فتقفز للوراء من هول المفاجأة والفزع. ثم يحدِّقان إلى بعضهما للحظات طويلة دون أن ينبسا ببنت شفة.

تهتف: «توم».

ثم تصمت فجأة.

يرى الدموع في مقلتيها، وتنساب على وجنتيها. لا تقترب منه لمعانقته، ولا يقترب منها.

رغم إدراكه لما تفعله، يسألها بنبرة فظَّة: «إلى أين تذهبين؟».

إنها راحلة، ولا يهمه إلى أين. سترحل عنه لتتجنب توجيه تهمة القتل لها. في هذه اللحظة، لا يعرف يقينًا، إذا ما يريد أن يستوقفها.

تقول بصوت مرتجف: «اتصل المحقق رازباك منذ قليل. يريدني أن أحضر إلى مركز الشرطة لاستجوابي».

يركز توم نظراته عليها في انتظار سماع المزيد، ويدور بفكره، *أطلعيني، أطلعيني على تلك الحقيقة اللعينة.*

تبعد عينيها عنه وتنظر إلى الأسفل، مضيفة: «لا أريد أن أهرب. لا أريد أن أرحل عنك».

عندها تنهمر الدموع على وجهها.

يسأل بصوت محبط خافت: «هل قتلتِ ذلك الرجل؟ أخبريني».

تتطلع إليه في ذعر، وترد: «هذه ليست حقيقة الأمر».

بغلظة يقول: «إذن أطلعيني على حقيقته».

يلقي نظرة خاطفة على حقيبة الرحلات المفتوحة على السرير، والأغراض التي تتدلى منها، ثم يركز بصره على وجهها.

- أريد أن أعرف ماذا حدث. أريد سماعه منكِ، ولا أريد سماع غير الصدق.

يريدها أن تبرر له ما فعلت. هذا جل ما يريد، وحينها يمكنه أن يأخذها بين ذراعيه ويتفكر في طريقة لمساعدتها. يريد أن يحمِيَها بقدر استطاعته. إن حبه لها لم يتغير. يذهله أن بإمكانه أن يظل على حبها، رغم فقدانه الثقة بها. يريد أن يثق بها مرة أخرى. ويريدها أن تتحرى الصدق معه.

تقول كارين، وهي تنهار على السرير وتدفن وجهها بيديها: «لقد فات الأوان. عرفت الشرطة. لا بد أنهم اكتشفوا أمري!».

يصيح توم: «عرفوا ماذا؟ ما الذي اكتشفوه؟ أخبريني!».

تتطلع إليه في وهن، وتجيبه: «لقد كان زوجي».

لا يستوعب توم من الوهلة الأولى.

- مَن تقصدين؟

- ذلك القتيل كان زوجي.

يدور بباله، لا، لا، ما تقوله مستحيل.

تنظر إليه بعينيها الدامعتين.

- لقد هربتُ منه. كنت شديدة الخوف منه. فقد كان رجلًا مؤذيًا. هددني لو تركته، أو حتى حاولت الفرار منه، أنه سيقتلني.

يصغي إليها مبهوتًا، والرعب يتزايد داخله، ويعتريه خوف شديد، ومع هذا، تتملك قلبه رغبة أشدُّ في تهدئتها وحمايتها.

تخبره بصوت رتيب: «كان اسمه روبرت ترينور. تزوجته منذ ست سنوات، وعشت معه في لاس فيجاس».

لاس فيجاس! لا يمكنه تخيل كارين تعيش في لاس فيجاس.

- بعدما تزوجنا، تغيرت طباعه. أمسى شخصًا لا أعرفه.

تطرق رأسها، وتتهدل كتفاها، بينما لم يزل توم واقفًا يتطلع إليها. وبعد لحظة صمت، تستطرد في نبرة مريرة وبصوت مرتجف: «أدركتُ حينها أنني لن أتمكن من الابتعاد عنه أبدًا، لن أستطيع تركه أو طلب الطلاق منه. حتى محاولة مقاضاته لن تنجح، وإذا هربت سيتبعني إلى أقاصي الأرض».

ترفع رأسها لتنظر إليه، وفي عينيها حسرة. وتهمس: «أنا آسفة للغاية. لم أقصد أن أجرحك قط. إنني أحبك، يا توم. لا أريد أن تتأذى بسببي».

تتدفق الدموع على وجهها، وشعرها تتشابك خصلاته. ثم تلتفت بعيدًا عن عينيه يائسة.

- حالما هربتُ منه، وددتُ لو أتظاهر بأن تلك الفترة من حياتي لم تحدث قط. أردتُ أن أمحُوَ الماضي.

عندها تتمهل في المتابعة.

يتأملها توم، وقلبه منفطر، لكن يؤثر الحفاظ على حذره. ما زال هناك المزيد لتخبره به.

تستجمع شتات نفسها وتكمل: «زيَّفتُ حادث موتي. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لأتأكد من أنه لن يحاول البحث عني».

يقف توم مكانه ثابتًا، يستمع لها في هلع متزايد. فيما تسرد له كل ما جرى -كيف حصلت على هوية جديدة وزيَّفت حادثة القفز من أعلى جسر سدّ هوفر. بات يدرك أنها تخبره الحقيقة، لكن يظل أكثر ما يخشاه ليس ما قيل، بل ما ستنتهي إليه قصتها.

- حتى بدأتُ، منذ بضعة أسابيع، ألاحظ أمورًا، أفزعتني.

- ما هي تلك الأمور؟

ترفع رأسها وتنظر إليه.

- لقد دخل أحد ما إلى المنزل. أتذكُر عندما اتصلتُ بك في العمل ذلك اليوم، وسألتك عما إذا جئت إلى المنزل في منتصف النهار؟ أخبرتك وقتها أنني ربما تركتُ النافذة مفتوحة. ولم يكن هذا صحيحًا. لقد نقَّب شخص ما أغراضي، شخص ما فتش أدراج ملابسي. إنني متأكدة من ذلك؛ أنت تعرف كم أهتم بترتيب المنزل. لقد وجدت أشياء تغيرت أماكنها. أصابني الرعب حينها. اعتقدتُ أنه عثر على منزلي.

ترتجف ناظرة إليه، وعلى وجهها تعبير شديد البؤس.

- اعتقدت أنه يجيء ويروح على منزلنا لأسابيع، يتسلل في أثناء غيابنا. حالما تبينت أن شخصًا ما استلقى على سريرنا، بدأت بالتقاط الصور على هاتفي كل صباح قبل ذهابي إلى العمل. كنت أجد أشياء نُقلت من أماكنها أحيانًا. لم أدرِ ماذا أفعل، ولم أستطع إخبارك.

تتطلع إليه في تضرع. ويسألها توم محبطًا: «لماذا لم تستطيعي إخباري، يا كارين؟ كنتُ لأتفهم. كنتُ لأساعدك. كنَّا استطعنا التفكير فيما يجب فعله معًا. ألم تثق به ولو قليلًا؟ كان ليقف إلى جانبها، لو أنها لم تكذب عليه مطلقًا.

- لأمكننا الذهاب إلى الشرطة. لم أكن لأدعه يؤذيكِ.

يتابع بعقله، *لو أنكِ أخبرتني لما اتُّهِمتِ بجريمة قتل، أو دُمرت حياتنا.*

تعترف له قائلة: «إنني أتذكر شيئًا فشيئًا. بدأت الليلة الماضية -ليس وقتما ذهبنا إلى ذلك المكان معًا، بل لاحقًا، عندما رنَّ الهاتف- باستعادة ذاكرتي».

تجفف عينيها بظهر يدها، فيما يزداد وجهها شحوبًا وهي تخبره ما تذكرت: «هو من اتصل بي في تلك الليلة. سمعت صوته يقول مرحبًا جورجينا. إنه ذلك الصوت نفسه، الذي يحمل مزيجًا من التملق والتهديد في آن واحد. كما لو عدت بالزمن إلى الوراء، إلى وقت كنت معه».

يلاحظ توم عينيها وقد صارتا لامعتين وصوتها الذي بحَّ.

- أردتُ إنهاء المكالمة، لكن أردتُ أن أعرف ما الذي ينوي فعله. علمتُ أنه وجدني، وأنه دخل إلى منزلنا. وتملكني الرعب.

ترتجف، فيجلس توم على السرير بجانبها، ويحيط كتفيها بذراعه. يمكنه أن يشعر بجسدها يرتعش. في حين، ينبض قلبه بعنف. يجب أن يعرف بقية قصتها، بكل تفاصيلها. يجب أن يعرف مدى سوء وضعهما قبل أن يفكر فيما يجب فعله.

- قال لي ألا أعتقد أنني تصرفت بذكاء، وأنني استطعتُ خداع الجميع. لكنه لم ينخدع، حسب قوله. استمر في البحث عني. لا أدري كيف وجدني. قال كذلك، إذا لم يستطع الحصول عليَّ، فلن يستطيع أي أحد. ثم أخبرني أن ألتقي به في ذلك المطعم.

ثم تتطلع إلى توم، وعيناها تعكسان رعبًا شديدًا، وتتابع: «وهددني إذا لم أذهب للقائه، فسيقتلك يا توم! لقد عرف كل شيء عنك! وعرف أين نسكن!».

صار يصدِّقها، يصدِّق كل كلمة تقولها. يحتويها بين ذراعيه ويتركها تجهش بالبكاء. يشعر بشهقاتها على صدره. وبينما يقبِّل جبهتها، يجبر عقله على التفكير فيما ينبغي لهما فعله. ثم تنتزع نفسها من بين يديه، وتخبره بالبقية، مطرقة رأسها: «أخذتُ مسدسي –ذلك السلاح الذي أخفيته، في حال عثر على مكاني– قدتُ السيارة إلى هناك لمقابلته. توقفتُ في ساحة الانتظار تلك، وتوجهتُ إلى الباب الخلفي للمطعم».

تلتفت إليه بحدة.

- أقسم لك، يا توم، إنني لم أخطط لقتله. أخذت المسدس من أجل حماية نفسي. أردتُ أن أقول له إنني سأبلغ الشرطة عنه، وسأخبرهم بكل شيء، وإنني لم أعد خائفة منه. لم أفكر في الأمر تفكيرًا سليمًا، فقد وجب عليَّ أن أخبر الشرطة أولًا. لم أدرك ذلك إلا متأخرًا. عندما وصلت إلى هناك، وجدت الباب الخلفي مفتوحًا. أتذكر أنني وضعت يدي عليه –هذا كل ما أتذكره. كل ما أراه بعدها هو مجرد فراغ. لا أعرف ماذا حدث بعد ذلك، يا توم. أقسم لك.

يتأمل وجهها المصدوم. هل حقًّا لا تتذكر؟

تنهار متعبة بين ذراعيه. يضمها إليه وتبكي مجددًا.

هذا يعني أنه بات يعرف شيئًا. إن لديها سببًا وجيهًا ليبرر ما فعلته. لا يجوز له إدانتها على ما فعلت. ربما لا يمكنها التذكر حقًا. ربما يصعب عليها تحمُّل ما حدث. لقد أخذت مسدسًا معها. يتفهم لما احتاجته، لكنها أخذت القفاز كذلك. يبدو وكأنها قصدت أن تقتله. ما وضع هذه الأشياء التي أخذتها في هذه الأثناء؟

تجلس باعتدال ثانية، وجهها محمرٌّ من كثرة البكاء، وقد انتفخت عيناها.

- لا بد أنه أصابني الذعر، وقدتُ السيارة بسرعة كبيرة، وتخطيتُ تلك الإشارات الحمراء، حتى اصطدمتُ بذلك العمود.

يسألها، وأفكاره تتصارع: «وأين اختفى المسدس؟».

- لا أدري. على الأرجح، تركته هناك. من الواضح أنه ليس في السيارة. أظن أن شخصًا ما وجده وأخذه.

يخفق قلبه بعنف تخوفًا مما فعلته هناك، ومن وضعهما الرهيب من عدم التيقن من أي شيء. ماذا لو سلَّمَ أحدهم المسدس للشرطة؟ ماذا سيحدث عندها؟

يهتف توم: «يا إلهي».

تقول بائسة: «إنني آسفة. لم أُرد أن أخبرك. لم أرغب في خسارتك، أو أن أورطك في المتاعب. هذه معضلتي. ويجب عليَّ أن أجدَ لها حلًّا. لا يمكن أن أدعها تؤثر فيك».

- لقد أثرت فيَّ بالفعل، يا كارين.

يجذبها من ذراعيها، وينظر عميقًا في عينيها الدامعتين مباشرة، ويقول بجدية: «إن مهمة محاميكِ هي إيجاد الحلول. ستجري الأمور على خير ما يرام. لقد عشتِ في رعب لفترة من حياتك. وهذا سبب كافٍ لتبرير ما فعلتِ».

تقول كارين، وهي تتراجع للوراء: «ما الذي تقصده؟ ما زلت لا أظن أنني قتلته، يا توم. لا أعتقد أنني أستطيع فعل أمرٍ كهذا».

ينظر إليها غير مصدق.

- إذن مَن فعلها؟

توجه إليه نظرة، كما لو أن شكَّه فيها يؤلمها.

- لستُ الوحيدة التي كرهته.

يشدُّها إليه يحتضنها، حتى لا يضطر إلى النظر في عينيها، وهو يهمس: «لا تهربي. انتظري وواجهي الأمر. لا ترحلي عنِّي».

الفصل التاسع والعشرون

في غضون ساعة، يصل كلاهما، كارين وتوم، إلى مكتب جاك كالفن. بعدما، نظفت كارين وجهها وأعادت وضع زينتها، تنعم الآن، بالهدوء والرزانة كأنما يمكنها الصمود في مهب الريح. يطمئنها دعم توم لها، على الرغم من خوفها مما سيحدث تاليًا.

يقول كالفن، بحيوية وكياسة مهنية: «تفضلا بالدخول، واجلسا».

لقد أعاد تنظيم جدول مواعيده، ليفسح وقتًا لهذا الاجتماع. لا مجال لديه للغو في رسميات غير ذي أهمية.

بينما يجلسان، يجول بخاطر كارين أنه في كل مرة تأتي فيها إلى هنا، تزداد الأمور سوءًا.

يسأل المحامي، وهو يدقق النظر إليهما في اهتمام: «ما الأمر الطارئ؟».

تنظر إلى عينيه مباشرة وتقول: «لقد طلب مني المحقق رازباك الحضور إلى مركز الشرطة بعد ظهر اليوم، للإجابة عن بعض الأسئلة. أود أن تكون حاضرًا معي».

ينقل كالفن بصره بانتباه بينهما، ثم يركز عينيه على كارين، ويقول: «ولِمَ تريدين الذهاب يا تُرى؟ لستِ مُلزمة بالحضور. لستِ رهن الاعتقال».

تقول كارين: «محتمل أن أصبح عما قريب».

لم يُفاجَأْ جاك كالفن كما تصورت أن يفعل. يخرج دفتره ذا الأوراق الصفراء والقلم الثمين نفسه، الذي رأته في زيارتها الأخيرة، وينتظر.

تأخذ كارين نفسًا عميقًا وتخرجه، قائلة: «ربما من الأفضل أن أخبرك الأمر من البداية. زيَّفت موتي بالانتحار واختفيت لأهرب من زوجي المؤذي. وأعيش منذ فترة طويلة في ظل هوية مستعارة».

يعلق كالفن بِرَوية: «فهمت».

- هل هذه تُعد جريمة؟

- هذا يعتمد على ما حدث. إنها ليست جريمة، في حد ذاتها، أن تزوري موتك، ولكن هناك جرائم أخرى ارتُكِبت في أثناء تنفيذ خطتك. كما أن الحصول على هوية مزورة يُعتبر احتيالًا. إنما لنرجئ هذه المسألة لاحقًا. ماذا كان اسمكِ قبلًا؟

- جورجينا ترينور. وكنت متزوجة من روبرت ترينور. إنه الرجل نفسه الذي تحاول الشرطة التعرف على هويته، الرجل الذي قُتل ليلة الحادثة.

ترقُب توم بعينيها ليدعمها، لكنها تجده يتطلع إلى المحامي ولا ينتبه لها. بهذه اللحظة، ترى القلق باديًا على وجه كالفن. تعرف إلى أي درجة وضعها سيئ.

يقول توم في انزعاج واضح: «ما إن يتعرفوه، سيكتشفون أمرها في الحال. سيعرفون أن زوجته ماتت. يعلمون بالفعل أن كارين اتخذت هوية جديدة، وأنها ليست كارين فيرفيلد بالحقيقة. لقد جاء المحققان إلى مكتبي من أجل إخباري بذلك».

تلتفت إليه كارين مصدومة. أكان توم يعرف سابقًا. والمحققان باتا يعرفان أيضًا.

تقول: «لم تخبرني».

لكنه ينظر بعيدًا عنها ويعيد انتباهه إلى كالفن.

يتحدث كالفن بحيادية: «المهم هو ما يمكن للشرطة إثباته».

ثم يميل إلى الأمام، ويضيف: «إذن، أخبريني بما حدث تلك الليلة. وتذكري من فضلك، أنه من واجبي ألا أكذب أمام المحكمة، لذا لا تخبريني بأمر قد يضعني في موقف محرج».

تتردد: «لم أتذكر كل ما حدث، لكن يمكنني أن أخبرك بما تذكرته».

تخبر المحامي بما أخبرت توم، وتستثني ذكر أيٍّ مما يخص المسدس.

عدا هذا الأمر، تخبره بكل ما صار، حتى فتحت باب المطعم.

يحدِّق إليها كالفن، كما لو يفكر ما إذا يصدقها أم لا. وفي هذه الأثناء، يعمُّ المكتب صمت مقلق.

- هل نفترض أنكِ ربما حملتِ معكِ مسدسًا؟

تجيبه بحذر: «لنفترض أنني ربما حملتُ معي مسدسًا».

يتطلع إليها من كثب، باهتمام شديد.

- هل من المحتمل أن ذلك المسدس الافتراضي، إذا ما عُثر عليه، قد تشير أصابع الاتهام إليكِ؟

لقد اشترت هذا المسدس بشكل غير قانوني، ولم تسجله باسمها. لا يمكن للشرطة أن تثبت أي علاقة لها به، إذا وجدوه. كما لم تترك بصمات أصابعها عليه، إنها متأكدة من ذلك. لم تلمسه مطلقًا دون القفاز.

تجيبه بحزم: «لا».

يستند كالفن إلى ظهر مقعده، ليصدر عنه صرير خافت. يجلس هادئًا؛ من الواضح أنه يفكر. ثم يميل إلى الأمام ثانية، ويضع كلتا يديه على مكتبه. يقول: «إليكما ما سنفعله. سنرى إذا ما توصلت الشرطة إلى أدلة تكفي لإدانتكِ. من المؤكد، سيفعلون، بمجرد أن يتعرفوا هوية الرجل. حينها، فإن الدليل الظرفي لديهم سيكون قويًّا –وكافيًا. إن محاولة إثباتها أمام المحاكمة تُعد مسألة أخرى».

تندفع كارين قائلة: «لكن...».

ينظر إليها كالفن مستفهمًا.

- لكن ماذا؟

تقول بحدة: «لا أقدر على قتله».

ثم تكرر: «لا أقدر على قتله. لا أعتقد أنني قادرة على فعلها».

يمعن محاميها وزوجها النظر إليها. وسريعًا ينظر توم بعيدًا، كما لو شعر بالإحراج، فيما يستمر المحامي بالتحديق إليها.

يقول كالفن: «ومَن تعتقدين أنه ربما قتله؟».

- لا أدري.

- ألا يمكنكِ التخمين؟

تلقي نظرة خاطفة على توم، ثم تعود لتنتبه للمحامي.

- ربما كان لديه أعداء.

- أي نوعٍ من الأعداء؟

- أعداءٌ بمجال العمل.

يسألها المحامي: «وما نوع العمل الذي اشتغل به؟».

- عَمِل تاجرًا للتحف.

وتضيف: «لست متأكدة من أن كل تعاقداته تمت بطرائق شرعية، لكنني ارتأيت أنه من الأفضل ألا أسأله. لقد تعَرَّف بعض الأشخاص المشبوهين».

يخيم على الغرفة صمت مطبق، يبدو أنه سيطول إلى الأبد. ما تزال كارين جالسة على مقعدها دون حراك. إن التفكير في مثولها أمام المحاكمة بتهمة القتل يفزعها. ووجودها في مكتب المحامي، يجعلها تدرك أن الأوان قد فات. يدور بذهنها، كان يجب عليَّ *أن أهرب*.

تقطع الصمت قائلة: «يتوقع المحقق رازباك حضوري إلى المركز».

يقول كالفن: «لستِ ذاهبة بأي حال. عندما تعتقد الشرطة أن لديها ما يكفي من الأدلة، حينها دعيهم يعتقلونكِ. أما الآن، أطلعيني على كيفية هروبكِ من روبرت ترينور».

تخبره بكل ما فعلت -عن شهور التخطيط، وكيف ادخرت المال من وراء زوجها، والفترة التي قضتها في التردد سرًّا على مأوى لدعم النساء، وصولًا إلى ما فعلته في ذلك اليوم أعلى جسر سدِّ هوفر.

تضيف بصوت واهن: «كان الأمر سهلًا عليَّ، إلى حد ما؛ لم تكن لديَّ عائلة لأتركها خلفي. تُوُفِّيَ والداي، وليس لدي أشقاء. لم نعتمد تأمينًا على حياتي، لذلك كنت أعرف أن شركات التأمين لن تهتم لأمري. اعتقدتُ أنني قادرة على ترك تلك الحياة، كنت في حال يُرثى لها، وليس لديَّ ما أخشى خسارته».

عند انتهائها، يقابلها صمت طويل.

ثم، يسأل كالفن: «ماذا فعلتِ بحقيبة الظهر؟».

تسكت هنيهةً لتتذكر.

- وجب عليَّ التخلص منها، لكنني لم أخاطر بإلقائها من نافذة السيارة. بكل محتوياتها يسهل إثبات أنها تعود لي. لذلك وضعتُ بها بعض الصخور الثقيلة وألقيتها في منتصف الليل من أعلى جسر لتسقط في البحيرة.

تلمح توم متطلعًا إليها، فيما تحكي عن الحقيبة، ثم يبعد ناظريه عنها، كما لو أنه لا يستطيع تخيلها تفعل ما فعلت.

تقول كارين، وهي تنظر إلى عين كلٍّ منهما في تحدٍّ: «أعلم أن هذا قد يجعلني في نظركما متبلِّدة الإحساس. لكن ماذا قد تفعلان لو أنكما في مكاني؟».

ولمَّا لم يرد أحد الرجلين، تقول: «بالطبع، لن تكونا في مكاني أبدًا. كم هي حياة رائعة بالنسبة إليكما -ما أعظم أن تُولد رجلًا».

يوجه توم إليها نظرة استرضاء، كأنما يريد أن يكفر عن أخطاءِ، نيابةً عن كل رجل حقير على هذا الكوكب.

تخاطبه كارين، متجاهلة المحامي، وكأنه لم يعد بالغرفة: «ظللتُ أفكر أنني يجب عليَّ إخبارك في يوم ما. متى كان يجب أن أخبرك؟ في بداية تعارفنا؟ لماذا قد يجذبك إلى امرأة هربت من حياتها وتعيش بهوية مستعارة؟ أم كان يجب أن أخبرك في وقت لاحق؟ ربما تألمت، لأنني كذبت عليك -كما أراك الآن. الحقيقة هي، أنه ليس هناك وقت مناسب لإخبارك».

إنها تذكر حقيقة واقعية، ولا يُعد ذلك اعتذارًا بالمعنى الصريح. لقد فعلت ما وجب عليها فعله وحسب. وهذه هي نتيجة ما فعلت.

يضغط توم يدَها، لكن لا ينظر إليها، بل ينظر إلى يدها في يده.

الفصل الثلاثون

بينما يتأهبان لمغادرة مكتب كالفن، يقول لهما المحامي: «على الأرجح، لن يطول الوقت حتى تتعرف الشرطة هوية الضحية، وحينها ستشتد الأمور تأزمًا. عليكما أن تستعِدَّا لذلك».

يتطلع إلى أعينهما مباشرة، ويطيل التحديق إلى توم بخاصة، كما لو يستشعر منهما، أن توم هو الأقل استعدادًا لمواجهة ما سيحدث.

يعتقد توم أن المحامي له حق فيما يظن به. إن زوجته تفوقه تحملًا بالمقارنة بما عرفه عنها فيما مضى. لا يستطيع أن يتخيلها تزوِّر موتها ببرودة أعصاب، هربًا من رجل مهووس بها، ومن ثم، تبدأ حياة جديدة بهوية مزيفة. يدور بباله، أنها ولا بد لديها أعصاب من حديد. يشك أن بإمكانه قبولَ تصورها على هذا النحو.

بينما يسيران في طريقهما نحو السيارة في ساحة الانتظار، يتملك منه الذعر. إن حياتهما تتخذ منحنًى مرعبًا إلى عالم جديد عليهما كليًّا. في غالب الظن، ستُوجه إليها تهمة القتل، وستضطر إلى المثول أمام المحكمة، وربما تُدان بارتكاب الجريمة. لا يدري ما إذا لديه القدرة على التحمُّل بما يكفي لمواجهة هذه الصعاب، أو أن حبهما لبعضهما سيصمد أمام ما ينتظرهما.

يقود توم السيارة، مركزًا نظره على الطريق أمامه، غير راغب في النظر إلى زوجته. رغم هذا، يستطيع أن يشعر بعينيها ترقبانه.

تقول: «إنني شديدة الأسف، يا توم. لم أُرِد أن أفعل ذلك بك».

لا يثق أن لديه القدرة على الرد. يبتلع ريقه، محافظًا على عينيه ناظرتين إلى الأمام.

تهمس في أسى: «ما كان يجب أن أوافق على الزواج منك دون إخبارك بكل شيء عني».

يتضح له الأمر، فجأة، أن زواجهما ليس حقيقيًّا. ففي يوم زفافهما، كانت بالفعل متزوجة قانونًا من شخص آخر. يدور رأسه إثر هذه الخاطرة. لقد وقفت بجانبه وقتما تبادلا عهود الزواج، وهي تعلم أنها متزوجة من رجل آخر. جاءت عهودها عقيمة، بلا معنى. يجب أن يقاوم هذه الرغبة في التوقف بغتةً وإجبارها على الخروج من سيارته.

بطريقة ما، يمكنه مواصلة القيادة.

يقول: «لا بأس. ستجري الأمور على ما يرام».

ينطق بذلك تلقائيًّا؛ لا يعتقد أن هذا ما سيحدث.

ربما لو أن بإمكانه أن يضُمَّها إليه، دون النظر في عينيها، ستتحسن حالته. عندها لن يحتاج سوى لحظة ليجمع شتات نفسه، وعندها يستطيع أن يمضي معها قدمًا، لكنه مشغول بالقيادة.

يخيم عليهما الصمت، ولدى وصولهما إلى المنزل يخبرها: «يجب أن أذهب إلى المكتب لبعض الوقت، لن أتأخر. سأعود للمنزل في موعد العشاء».

تومئ قائلة: «حسنًا».

يتوقف في الممر، وقبل أن تخرج من السيارة، ينحني إليها، ويضمها إليه بقوة. يحاول، هنيهة قصيرة، أن ينسى كل ما حدث، ويركز على شعوره وهي بين ذراعيه. ثم يبتعد عنها، ويقول: «لا تهربي. عديني بذلك».

- أعدك.

حتى هذه اللحظة، لا يدري إذا ما يصدِّقها. هل سيدوم الحال بينهما على هذا المنوال؟

ينتظر حتى تخرج، ويعود للوراء بالسيارة متوجهًا إلى وسط المدينة. ليست لديه نية للعودة إلى العمل، بل للعودة إلى مكانه عند ضفة النهر، يتمنى لو يغسل نفسه طارحًا عنها تلك الأكذوبة الدنيئة، على الرغم من علمه أنه لن يقدر على فعل شيء -لا اليوم، ولا أبدًا.

***

ظلت بريدجيت تغزل كنزة أطفال بصوف أصفر هادئ، من أجل صديقة لها تترقب مولودًا، لكنها لم تَطُق استئناف العمل عليها، فالتفتت لغزل كنزة خريفية ملونة مخططة لنفسها. أما بهذه اللحظة، فتستلقي قطعة الصوف غير المكتملة مبعثرة على حجرها، فيما تراقب المنزل المقابل. يتشنج جسدها، وتميل إلى الأمام قليلًا.

ترى سيارة توم وكارين تنعطف عند الممر ثم تتوقف، وبدلًا من أن يخرجا منها، يجلسان لبضع لحظات. تشاهدهما بريدجيت في ترقب. بعدها، تخرج كارين من السيارة، ويبقى توم. تتساءل من أين جاءا. تشغل بالها كثيرًا بأمر توم وكارين، إلى أين يذهبان وماذا يفعلان، وكيف هي حياتهما معًا. وكأنها تتابع مسلسلًا تلفزيونيًّا مشوقًا، ولا يسعها الانتظار حتى تعرف ما سيحدث تاليًا.

يقول عنها بوب إنها مهووسة، ويشكو من أن هذا ليس أمرًا طبيعيًّا. يرى أنها صارت مهووسة بحياة آل كروب، لأنها وحيدة وتشعر بالملل وليس لديها ما تفعله طوال اليوم. كما يرى أنها تضيع ذكاءها الحاد هباءً دون عمل.

لكنه لا يفهم. لا يعرف.

تراقب توم وهو يرجع بالسيارة ويعود إلى الطريق -يمكنها أن ترى من خلال نافذة السيارة المفتوحة أن وجهه جامد وعابس. تتساءل إذا ما تجادلا. توجه انتباهها نحو كارين، وهي تفتح الباب الأمامي. يمكنها أن تستشعر العبء الذي تحمله بالنظر إلى انحناءة كتفيها. ربما تجادلا بالفعل.

تضع بريدجيت إبرة الحياكة جانبًا، وتلتقط مفاتيحها، وتغلق باب منزلها خلفها. ثم، تعبر الطريق نحو منزل كارين وتقرع الجرس.

ما إن تفتح كارين الباب وتراها، تلمح بريدجيت عليها تحفظًا، وعدم ترحيب برؤيتها. لِمَ لا تبدو كارين سعيدة برؤيتها؟

تقول كارين، والباب مواربٌ: «أهلًا، يا بريدجيت. لقد وصلتُ إلى المنزل للتو، وأعاني صداعًا. في الواقع كنت ذاهبة للاستلقاء قليلًا قبل العشاء».

تردف بريدجيت: «معذرة. اعتقدتُ أنكِ ربما بحاجة إلى رفقة صديقة».

وتولي كارين أكثر ابتسامة ودودة لديها.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- أجل، كل شيء على ما يرام.

تمكث بريدجيت مكانها بثبات، حتى تضطر كارين أن تزيد فتحة الباب، وعندها تتخطى العتبة إلى الداخل.

تجلسان في غرفة المعيشة. تبدو كارين منهكة القوى، وعيناها منتفختان وكأنها كانت تبكي، وقد فقدَ شعرها لمعانه. يدور ببالها، كيف تغيَّر حال كارين في غضون أيام قليلة فقط.

تقول: «لِمَ لا تخبرينني بما يجري معكِ، ربما يساعدكِ ذلك؟».

تمرر كارين يدها متخللة شعرها الهزيل، وتقول: «لا شيء يجري معي».

تعلم بريدجيت أنها تكذب. ظلت تراقب كل ما يحدث معهما من منزلها. ولا يمكن لكارين أن تبدو مُغتَمَّة لهذه الدرجة من دون سبب. إنها ليست بتلك السذاجة؛ تتمنى لو تأخذها كارين على محمل الجد.

تسألها بريدجيت صراحةً: «هل الأمور بينكِ وتوم بخير؟».

تردُّ كارين، في ذهول واضح: «ماذا؟ ماذا تقصدين؟».

تقول بريدجيت برويَّة: «لقد رأيته ينطلق بسيارته، والغضب بادٍ عليه، وأنتِ تبدين محبطة. لا بد أنه يصعب عليه تقبل كل ما يحدث: الحادثة وتحقيق الشرطة».

وبينما تحدِّق إليها كارين، تُعَدِّل قولها: «أقصد كليكما».

تنظر كارين بعيدًا نحو النافذة. وبعد هنيهة قصيرة من الصمت، تسألها بريدجيت: «هل تذكرتِ أي شيء قد يفيد تحقيق الشرطة؟».

تجيب كارين بحدة، نوعًا ما، في محاولة لتغيير الموضوع: «لا. وأنتِ كيف تجري أمور حياتك؟».

- هذه أنا بريدجيت صديقتكِ، يا كارين، التي تتحدثُ معكِ. تستطيعين إخباري بأي شيء.

تعني حقًّا ما تقول. يزعجها أن كارين متكتمة للغاية؛ لا تطلعها على تفاصيل خاصة بحياتها. أخبرتها بريدجيت عن الصعوبات التي تواجهها من أجل الإنجاب، وفشل علاجات العقم. أما كارين، فلا تشاركها شيئًا. حتى بهذه الساعة، عندما تنجرف أمور حياتها في مسار بعيد عما يجب أن تكون، ويُظن أنها قد تحتاج إلى صديقة بجوارها. يخطر ببالها، فجأة، كم هو شعور صادم، بالنسبة إلى كارين، أن حياتها لا تجري على النحو المثالي الذي تريد.

ما تعتقده بريدجيت، هو أن العلاقة يجب أن تكون متكافئة بين الأصدقاء، وفي مقابل اهتمامها، لم تبذل كارين من جانبها جهدًا من أجل صداقتهما، كما ينبغي. في حين، لم تدخر وسعًا في سبيل هذه الصداقة. ليست لدى كارين خلفية، كم هو شاق عليها أن تحتمل، كم هو شاق أن تكتم ضيقها. لا تعرف كارين عن علاقتها بتوم، وكيف يصعب عليها تجاوز الأمر، طوال كل تلك المدة، وهي ترى كارين وتوم معًا، وهي تتظاهر بأنها ليست منزعجة. ودَّت في كثير من الأحيان، لو تُفشي السر، لكن دومًا ما تمسك لسانها.

تستوعب، بغتة، أن كارين لم تُلقِ بالًا بحياتها، بنفس القدر الذي توليه بريدجيت اهتمامًا بأمرها. فمثلًا، لم تظهر كارين أي فضول بشأن مدونة الحياكة الخاصة بها قط، مما يجعلها تنزعج. إن بريدجيت كروكشانك تُعد أسطورة بين الحائكات المحترفات. إنما كارين لا تعرف الحياكة، ولا تهتم بها.

تتطلع إليها كارين، قائلة: «أقدر اهتمامكِ، يا بريدجيت، أقدره حقًّا. إنكِ صديقة رائعة».

تبتسم لها كارين، فتبادلها الابتسام دون تفكير.

تتابع: «إن شعوري بالصداع يزداد سوءًا، من الأفضل أن أستلقي».

عندها، تنهض عن الأريكة وتصاحب بريدجيت حتى الباب.

تعانقها بريدجيت سريعًا، وتقول: «أتمنى أن تشعري بتحسن».

ثم تعبر الشارع، نحو منزلها الخالي، وتسترجع موقعها بجوار النافذة، وتستأنف حياكتها، في انتظار عودة بوب.

***

تتأكد الظنون في وقت متأخر من بعد الظهر، وتتضح أن كارين كروب لن تأتي إلى المركز طواعية. يتفكر رازباك فيما سيفعلانه تاليًا، عندما يدلف جينينجز إلى مكتبه ويقول: «لقد توصلنا إلى دليل محتمل».

يرفع رازباك نظره إليه.

- تلقيتُ مكالمة من مُرابي رُهُونات، استجوبته بعدما وجدنا الجثة. ويقول إن فتىً جاء لرهن ساعة وخاتم.

- وهل يعرف من هو؟

- أجل.

يقول رازباك، ملتقطًا مشدَّ الكتف وسترته: «هيا لنذهب إليه».

لدى وصولهما إلى محل رهونات جاس، وجداه خاليًا باستثناء مالك المحل، الذي يقف وراء منضدة متسخة. يومئ الرجل إلى جينينجز، وقد تعرَّفَه، وهو يعض على خده من الداخل.

يردف جينينجز، معرفًا الرجل إلى رازباك: «هذا هو جاس».

ويومئ له الرجل.

ثم يسأل جينينجز: «هلَّا أريتنا ما حصلت عليه؟».

ينزل الرجل أسفل المنضدة ويخرج ساعة يد رجالية ويضعها على السطح الزجاجي للمنضدة، وبجانبه يضع خاتمًا ذهبيًّا سميكًا.

يمعن المحققان النظر، ويقول رازباك: «تبدو ساعة غالية الثمن».

- أجل، إنها رولكس أصلية.

يخرج رازباك زوجين من القفازات اللاتكس ويفحص الساعة أولًا، ثم الخاتم، عن أي علامات مميزة أو نقش. لا يجد شيئًا، فيعيدهما على المنضدة، محبطًا.

يوجه سؤالًا: «كيف تحصَّل عليهما ذلك الفتى حسب ما قاله لك؟».

- قال إنه وجدهما فحسب.

- ما اسمه؟

يجيب جاس: «هذا ما أردتُ التحدث عنه. إنني أعرف ذلك الفتى، عمره أربعة عشر عامًا فقط، ولا أريده أن يقع في المزيد من المتاعب».

يقول رازباك: «أتفهم ذلك. لكن علينا أن نعرف ما إذا وجد شيئًا آخر، بطاقة هوية مع تلك المقتنيات الثمينة، أو شيئًا قد يساعدنا في التحقيق. لا نعتقد أن لهذا الفتى علاقة بجريمة القتل».

يقول جاس: «أريدكما أن تخيفاه فقط، تخيفاه على نحو مباشر. تفهمان ما أقصد. يتورط العديد من الأولاد هنا في عالم الجريمة، ولا أريد أن أراه ينجرف إلى هذه الطريق».

يومئ رازباك، قائلًا: «بالطبع، أفهم ما تعنيه. ما اسمه؟».

- دانكن ماكي. يعيش في شارع فنتون، بالمنزل رقم 153. أعرف عائلته. ارفق به، لكن لا تتساهل معه.

يذهب المحققان بالسيارة إلى منزل الفتى، في العنوان الذي أشار إليه جاس. يأمل رازباك أن يقودهما ما وجده ذلك الفتى الصغير إلى الدليل الذي ينتظرانه. يقرع الباب الأمامي لذلك المنزل المتهالك. يشعر بالارتياح عندما تفتح له الباب امرأة بالغة، حيث لا يمكنه التحدث إليه دون حضور ولي أمره. يسألها رازباك: «هل أنتِ والدة دانكن ماكي؟».

بدت المرأة على الفور منزعجة. وعند إظهار شارته، يتضاعف انزعاجها. تقول في ذعر: «ما الذي فعله؟».

يقول رازباك: «نريد التحدث إليه فقط. هل هو في المنزل؟».

تبتعد عن الباب وتسمح للمحققين بالدخول.

- دانكن!

تصيح نحو الدرج، فيما يجلس رازباك وجينينجز في المطبخ الضيق وينتظران.

ينزل الفتى الدرج ويراهما جالسين في مطبخه، فيتسمر مكانه فزعًا، وينظر إلى والدته في توتر.

تقول المرأة بحدة: «اجلس، يا دانكن».

يجلس الفتى محدقًا إلى الطاولة، ووجهه واجم ومحتقن.

يقول رازباك: «نحن محققان من الشرطة يا دانكن. لست مضطرًا لتتحدث إلينا. يمكنك أن تطلب منا المغادرة إذا أردت. لسنا هنا لاعتقالك».

لا ينبس الفتى ببنت شفة، لكنه يتطلع إليهما بحذر.

يستطرد: «إننا مهتمان بأمر ساعة اليد والخاتم اللذَيْن أودعتهما لدى جاس».

يرتبك الصغير ولا ينطق بشيء، بينما تحدِّق إليه أُمه عابسة.

- نريد أن نعرف إذا ما عثرت على محفظة، أو أي شيء يشير إلى هوية صاحبها.

يتمتم الفتى: «جاس اللعين».

تنهره أمه بشدة: «دانكن!».

يقول رازباك: «إذا كانت لديك المحفظة، يمكنك أن تعطيها لنا».

يبدو أن والدته تتكهن بسبب مجيئهما، فيشوب وجهها الهلع.

- هل تحققان بشأن الرجل الميت الذي وجدوه بالقرب من هنا؟

ينظر الفتى بعصبية إلى والدته، ثم إلى المحققين.

- وجدناه ميتًا بالفعل عندما وصلنا إلى هناك. يمكنني أن أعطيكما المحفظة.

تضع والدته يدها على فمها.

يقول رازباك: «أعتقد أنه تصرف حسن. لأن ما فعلته يجعل والدتك مستاءة للغاية، يا دانكن. وأعتقد كذلك أنه من الأفضل ألا تتورط بأمور كهذه، وتأخذ طريقًا جديدة قبل أن يتأخر بك العمر. لا تريد أن يقبض عليك، أليس كذلك؟».

يهزُّ الفتى رأسه، مجيبًا: «فهمت».

ثم يتطلع إلى والدته.

- انتظري هنا معهما.

ينطلق عائدًا إلى الطابق العلوي، حيث يتضح أن لديه مكانًا يخفي فيه أغراضًا، بعيدًا عن نظر والدته.

بعد لحظات ثقيلة، تُسمع خطواته نازلًا الدرج حتى يظهر في المطبخ. يسلِّم المحفظة الجلدية إلى رازباك، التي ما زال بها بعض السندات.

يتناولها منه رازباك ويفتحها. ويخرج رخصة قيادة.

يردف ناهضًا: «نشكرك يا دانكن».

يلتفت جينينجز إلى الفتى في طريقهما للخروج، ويوجه إليه نظرة ودودة، قائلًا: «التزم بالذهاب إلى المدرسة».

في أثناء اتجاههما نحو السيارة، يقول رازباك بارتياح: «عرفنا من هو أخيرًا. إنه روبرت ترينور، من لاس فيجاس، نيفادا».

يندفع الأدرينالين الذي يعهده بعروقه عندما تتخذ القضية منحنًى متقدمًا. يركبان السيارة ليعودا رأسًا إلى مركز الشرطة.

سرعان ما يراجع رازباك بين يديه بعض المعلومات المشوقة للغاية. يُدعى الرجل المقتول، روبرت جونيور ترينور، في التاسعة والثلاثين من عمره. كان تاجر تحف بارعًا. ليس لديه أطفال. كانت لديه زوجة تُدعى جورجينا ترينور، ولاقت حتفها منذ قرابة ثلاث سنوات. يمعن رازباك النظر إلى صورة جورجينا. يميل إلى الأمام، ليفحصها من كثب. يتخيلها بشعر أقصر ودرجة أغمق. يطالع تاريخ الوفاة ثانية.

ها هي ذي. جورجينا ترينور لم تمت. إنها على قيد الحياة وبخير حال، وتعيش في منزل رقم 24، دوجوود درايف.

الفصل الحادي والثلاثون

تصعد كارين إلى الطابق العلوي وتستلقي على السرير، مطمئنة لبقائها بمفردها. بعدما شعرت بعدم الارتياح لزيارة بريدجيت. ربما تساعدها قيلولة قصيرة، قبل عودة توم، على التخلص من هذا الصداع النابض برأسها.

تتمدد في ثبات فوق الأغطية، وتحدق إلى السقف. ستُتهم بجريمة قتل.

تتفكر متحسرة، والدمع ينساب على جانبي وجهها، أن حياتها كانت لتسير على ما يرام، لولا أن عثر عليها روبرت. تتساءل كيف وجدها بعد مضي ثلاث سنوات. كيف تعقبها حتى هنا؟

تتسلل أخيرًا تحت الأغطية وتخلد إلى نوم مضطرب يسير.

***

يجلس رازباك إلى مكتبه ويفرك عينيه المرهقتين. يتأمل صورة جورجينا نرينور مرة أخرى، ويتفكر بأمر كارين كروب وهي بمنزلها المريح. يعتقد أنها على الأرجح ترتعد من الخوف.

ثم يذهب تفكيره إلى أنها ارتعبت في الماضي كذلك، ووجدت حيلة للهرب. لذا فهي امرأة جسورة.

يطالع الحقائق، بالنهجِ الذي تدرَّب عليه: امرأة متزوجة تزيف موتها، ثم تظهر في مكان آخر بهوية جديدة. وبعد ثلاث سنوات، تُكتشف جثة الزوج الذي تركته قتيلًا، ويتصادف وجودها بنفس المنطقة التي قُتل فيها. يعلم كيف قد تبدو القضية واضحة، لكن يجب ألا يتعجل الاستنتاج.

إذا ثبت أنها زوجة مُعنَّفة، تحاول الهرب من وضع لا يُحتمل، حينها للحقيقة، قد يتعاطف معها. إنه متعاطف مع حال النساء اللاتي يضطرِرْن إلى ارتكاب أفعال متطرفة لحماية أنفسهن. لا ينبغي لهن توريط أنفسهن، إلا أنه يعلم أن تلك الحوادث تتكرر كل يوم. بالكاد تساعد أنظمة البلاد في حماية هؤلاء النساء، وهو على علم بذلك. إنه عالم مشوش مريض.

تعتريه مشاعر سلبية هذه الليلة. هذه ليست طبيعته. يريد أن يحلَّ القضية؛ دومًا ما يريد حلَّ القضايا. يظن أنه يعرف ماذا حدث، وما هي مبررات ما حدث. ومن ثَمَّ، تخرج الأمور عن سيطرته، رأسًا إلى أيدي المحامين، وحينها لا يمكن توقع ما سيحدث. يجعله تصور كل هذا مغتمًّا.

يفكر في حال توم كروب، ويحاول تصور ما الذي يمر به هذه الآونة، ولا يستطيع، تمامًا. لم يتزوج رازباك بعد. لم يجد امرأة مناسبة له طوال هذه السنوات. ربما يرجع السبب إلى طبيعة عمله. وربما يقابل هذه المرأة في أحد الأيام. وعندها، يلقي نظرة أخرى على صورة جورجينا ترينور، متفكرًا، أنه سيجري بحثًا شاملًا في خلفية زوجته بنفسه.

***

عند عودة توم إلى المنزل، يتناولان عشاءً هادئًا معًا، لم يكسر حاجز صمته سوى احتكاك أدوات المائدة بالأطباق. أما الآن، فتحملق في الظلام المنسدل، خارج نافذة غرفة المعيشة، غير راغبة في النوم. ثم، تعود للتحديق إلى السقف مرة أخرى. تخبر نفسها أن لا أحد يراقبها بالخارج. لقد مات روبرت. ليس هناك من تخاف منه بعد الآن.

باستثناء ذلك المحقق. وهي مرتعبة منه.

لم يزَل توم في مكتبه بالأعلى، لديه عمل لوقت متأخر. لا تعرف كيف يمكنه العمل في مثل هذه الظروف. محتمل أنه يحاول تشتيت ذهنه عما يحدث. كم يفضل التحديق إلى سطور من الأرقام على تأمل مستقبله المروع، لا يمكنها أن تلومه؛ فأفكارها الخاصة تدفعها إلى الجنون أيضًا.

سيأتي رازباك قريبًا. إنها على يقين من ذلك. تشعر أن أعصابها مشدودة، كما لو تستعد للطيران. لكنها وعدت توم ألا تهرب. كما عليها أن تضع ثقتها في جاك كالفن.

تقرر الصعود إلى الطابق العلوي والاستمتاع بحمام ساخن طويل. ربما يساعدها على الاسترخاء. تلقي نظرة على توم في مكتبه، وتخبره. يرفع رأسه لفترة وجيزة، يومئ لها، ثم يتطلع إلى شاشة حاسوبه مجددًا. تتركه، وتذهب إلى الحمام وتبدأ بملء حوض الاستحمام، وتحتار أتحصل على حمام فقاعي أم بالأملاح، لكن ما الفارق؟ لن يمنع ذلك رازباك من أن يأتي لاعتقالها.

ما إن تقع عيناها على طاولة الزينة، تجمد مكانها. هناك خطب ما. تتسارع نبضاتها. يخفق قلبها بألم بين ضلوعها، وتشعر بدوار خفيف. تدقق النظر بسرعة إلى الحوض، وتتفحص المحتويات بجواره. إنه عطرها. شخص ما نزع سدادة عطرها.

لم تكن هي من فعلت ذلك.

تستمر بالتحديق إلى زجاجة العطر، مذعورة ولا تقوى على الحراك، كأنما رأت ثعبانًا على الطاولة. لم تستخدم هذا العطر اليوم، إنها أكيدة من ذلك. ولم تعتَد ترك عطرها دون سدادة مطلقًا.

- توم!

تهتف باسمه في جزع. لا يبدو أنه يمكنه سماعها بسبب المياه المتدفقة من الصنبور. تهرول في الردهة متجهة إلى مكتبه، وهي تصرخ باسمه.

اصطدمت به عند مدخل المكتب.

يسألها توم، بعينين جزعتين: «ما الأمر؟».

وقبل أن تقدر على النطق لتخبره، يتخطاها ويهرع إلى الحمام، وتركض في إثره.

يسألها: «ماذا؟ ماذا حدث؟».

على الرغم من أنه لا يستطيع أن يرى ما الذي يفزعها لهذه الدرجة، يتأثر بفزعها.

تشير كارين إلى زجاجة العطر، والسدادة الملقاة على الطاولة خلفها.

- إنه عطري. نزع شخص ما سدادته. لم أفعل.

ينظر توم إلى زجاجة العطر، ثم ينظر إليها، يختفي جزعه لكنه منزعج.

- هل هذا كل ما في الأمر؟ هل أنتِ واثقة؟ ربما نزعتِها بنفسكِ ونسيتِ.

تقول بحدة: «لا، يا توم. لم أفعل ذلك».

يمكنها أن ترى أنه لا يصدقها.

يقول: «إنكِ تتعرضين لضغط كبير، يا كارين. ربما تنسين أنكِ فعلتِ بعض الأشياء. تعرفين ما قاله الطبيب. بالكاد، أستطيع التركيز فيما أفعل هذه الأيام. بالأمس، نسيتُ مفتاح سيارتي في المكتب واضطررت إلى الصعود مرة أخرى لأحضره».

تقول: «هذا أنت الذي ينسى، وليس أنا».

تتطلع إليه، وتستشعر نظرات قاسية تنبعث من عينيها.

تتابع، وصوتها يتخذ نبرة غيظ مكتوم: «لا أتحمل إغفال تفصيلة واحدة كتلك. لأنني، ولسنوات، إذا لم أتم الأمور *كما* يجب، إذا *أخطأتُ في فعل أدنى* شيء، لخرجت روحي من جسدي إلى الأبد. لذلك ألاحظ أدق الأشياء على الدوام. أنا لم أنزع تلك السدادة عن زجاجة العطر. *لقد تسلل شخص ما إلى هذا المنزل*».

يقول توم: «فهمت، اهدئي».

تصرخ في وجهه.

- لا تقل لي أن أهدأ!

يقفان في الحمام الصغير في مواجهة بعضهما. تلحظ عليه الصدمة مثلما ألمَّت بها. أمست مشاعرها المتقلبة تصيبهما بالجزع، كليهما. لم تكن علاقتهما على هذا النحو من قبل. من ثم، تنتبه لحوض الاستحمام فتسرع لإغلاق الصنبور قبل أن يفيض الماء.

تعتدل وتنظر إليه. تشعر بنفسها وقد هدأت بعض الشيء، رغم خوفها الذي ما يزال قائمًا.

- آسفة يا توم. لم أقصد الصراخ بوجهك. إنما لا بد وأن شخصًا ما دخل إلى هنا.

يسألها، في نبرة مهدئة، كما لو يتحدث إلى طفل: «كارين. إن زوجكِ السابق مات. من غيره تعتقدين أنه قد يقتحم منزلنا؟ هل لديكِ أي فكرة؟».

تظل صامتة، فيسألها توم برفق: «هل تريدين مني أن أتصل بالشرطة؟».

لا يمكنها أن تعرف على وجه اليقين، إذا ما يسخر منها -*هل تريدين مني أن أتصل بالشرطة من أجل زجاجة عطر مفتوحة؟* أو إذا كان ببساطة متعبًا وغلبته تلك الأحداث على أمره. إنما هناك نبرة غريبة بصوته.

تقول: «لا، لا تتصل بالشرطة».

عندما تجده واقفًا مكانه دون تعقيب، تقول: «اذهب الآن، سآخذ حمامًا».

يغادر، وتقفل باب الحمام وراءه.

الفصل الثاني والثلاثون

لم تزَل بريدجيت جالسة تراقب من النافذة، لا تملُّ قط. وبين الفينة والفينة، تَتَشَمَّم رسغها على مهل. ستظل مستيقظة حتى يخلد توم وكارين إلى النوم، وحتى يندسَّا تحت الأغطية بأمان، وتنطفئ كل الأضواء.

عاد زوجها بوب إلى المنزل لفترة قصيرة، لتناول العشاء، وبعدها خرج ثانية من أجل عمل متأخر آخر، هذه الليلة. هكذا قضى كل ليلة من هذا الأسبوع. تتساءل عما إذا لديه عمل حقًّا، أم أن لديه علاقة مع إحداهن. تعلم أنها لا تهتم بما يفعله. على الرغم من أنها تشتعل غضبًا فيما وراء بشرتها البيضاء الباردة -بشرتها البيضاء الباردة التي لم يقترب منها منذ أسابيع، مع أنهما، من المفترض، يسعيان لتكوين أسرة. تكره بوب أحيانًا، وتكره حياتها وكل مَنْ فيها أحيانًا أخرى. رغم أنه لم يعد لديها عدد كبير من الناس في حياتها. كما تخلَّت عن الكثير من أنشطتها، فيما عدا مدونة الحياكة، وآل كروب.

غالبًا، ما تضع كارين وتوم تحت ناظريها.

تودُّ لو أنها.. لو أنها تصير امرأة أخرى، تعيش حياة مختلفة. هذا جل ما تريده حقًّا. تندهش عندما تدرك أن أكثر ما تتمناه في هذا العالم، ليس أن تنجب طفلًا من بوب. لقد تمنت ذلك لفترة طويلة، حتى إن رغبتها، أو تخيلاتها، بشأن الإنجاب، صارت بلا معنى. بل ينتعش ذهنها لفكرة أنها تريد حقًا أن تتغير حياتها؛ تريد، في الواقع، أن تحيا كامرأة أخرى، تنعم بحياة مختلفة تمامًا.

تريد أن تكون امرأة أخرى، لها زوج وسيم عطوف، زوج يهتم بها، يعود إلى المنزل كل ليلة، يشعرها أنها عزيزة عليه، ويصحبها في رحلات إلى أوروبا، ويقبّلها في لحظات غير متوقعة، بلا سبب، ويتطلع إليها بالطريقة التي يتطلع بها توم إلى كارين. تترك إبرة الحياكة من يدها.

لا تستطيع أن تبعد ناظريها عن منزل آل كروب. لا تستطيع مقاومة رغبتها في التسلل إلى منزلهما على الجهة الأخرى، وأن تبقى هناك وحدها، تتخيل نفسها تعيش مع توم. تستلقي على سريرهما. تتفقد أغراض كارين، وتتفقد أغراض توم. تقرّب ملابس توم من وجهها وتشمُّها -حتى إنها أخذت قميصًا قطنيًا قديمًا من درج ملابسه، وأخفته في المنزل. ترتدي ملابس كارين، وترى نفسها في المرآة. تضع طلاء شفتيها، وعطرها، وتتظاهر بأنها زوجة توم.

يسهل عليها ذلك وقتما أرادت، فلديها مفتاح. أعطاها توم نسخة من مفتاح منزله، في أثناء علاقتهما الوجيزة، لكنها صنعت نسخة منه سرًّا قبل أن تعيده له. يمكنها أن تأخذ الدرب المجاور لمنزل آل كروب، الذي يفضي إلى متنزه واسع خلف منزلهما، وما دامت لا ترى أحدًا يراقبها، يمكنها التسلل عبر بوابة الفناء المفتوحة، وتدخل من الباب الخلفي دون أن يلاحظها أحد.

لقد تركت الكأس على المنضدة في ذلك اليوم.

لم تفتر رغبتها قط، في الاقتراب من توم. لا تحتاج سوى أن تجد طريقة لتعيده إليها ثانية.

يخفق قلبها بعنف وتحبس أنفاسها للحظة.

في الآونة الأخيرة، لم تقدر أن تشتت تفكيرها عن تذكر حياتهما معًا، عندما كانا متحابين. كان بينهما توافق رائع. وكم استمتعت بإغواء توم، الذي تحمَّس لخوض تجارب جديدة، تاركًا إياها تقوده بسرور. كم سارت علاقتهما على نحو مثاليٍّ، حتى انفصل عنها، وبدأ بمقابلة كارين، بدلًا منها.

لم يتقبل حقيقة أنها متزوجة، لكنه صدَّق كذبتها الصغيرة لمغازلته، ورَضِيَ بمعاشرتها على تلك الحال. تغير كل شيء بمجرد أن علم الحقيقة -وهجرها. *يا إلهي، كم آلمها ما فعل.* أرَّقت باله لفترة من الوقت -لم تتمالك أعصابها، شعرت بأنها خرجت عن السيطرة. لم يدرِ بوب بما يجري بينهما، إلا أنه استطاع ملاحظة مدى استيائها وكآبتها. أخذ يُصر عليها أن تذهب إلى

طبيب مختص. لكنها هدأت في النهاية، حتى إنها قَبِلت رغبة توم -على نحو ودِّيّ- في عدم الإفصاح عن علاقتهما لأي أحد. وقد بقي الأمر سرًّا بينهما حتى عن كارين طوال كل هذا الوقت. وفي كل مناسبة، كم ودَّت بريدجيت لو تخبرها، وهما تحتسيان القهوة، كيف كانت حياتهما، هي وتوم معًا!

تتذكر الآن الرعشة التي سرت في جسدها، في تلك الليلة، عندما لمست ساعد توم. إنها على يقين أنه شَعُرَ، بدوره، بتلك النشوة تتقِد بينهما مرة أخرى -وهذا بالتأكيد هو سبب ابتعاده عنها بسرعة. لا يقدر على الاعتراف بأنه ما يزال يُكِنُّ لها المشاعر. لكنه صار رجلًا متزوجًا؛ لا يليق به حال كهذا. إنما هي على يقين أن تلك المشاعر التي حملها تجاهها في الماضي، ما تزال بداخله.

تتساءل عما إذا بدأ يسأم من كارين في هذه الآونة. لقد لاحظت توتر علاقتهما.

تعلم بريدجيت أن كارين تعتبرها أفضل صديقة لها، رغم أن الأخيرة لا تعرف كيف تكون صديقة جيدة أحيانًا. خاب أملها فيها مرارًا وتكرارًا. من الصعب أن تعتبر كارين صديقة لها كما اعتادت في السابق وخاصة بعد كل ما حدث. فعلى الرغم من كل شيء، نجحت كارين في جذب توم إليها. في الوقت الذي اعتقدت فيه بريدجيت، أنها قد تستطيع أن تستأثر به لنفسها.

كارين ليست صديقتها؛ إنها غريمتها. دومًا ما كانت غريمتها.

هناك عالم بأسره ينفتح بين يدي بريدجيت، مستقبل جديد منبسط أمامها.

جلست في هذه البقعة بجوار النافذة طوال الأيام القليلة الماضية، تراقب بشغف كل ما يجري على الجهة الأخرى. تعلم أن كارين واقعة في ورطة ما. ربما ستأتي الشرطة لاعتقالها بتهمة القتل قريبًا.

حينها ستترك توم وحيدًا، وبالتالي محطمًا. سيرتاب بأمر كارين، وكل لحظة جمعتهما معًا. وعندها ستكون بريدجيت إلى جانبه، تساعده حتى يُعلم شتَات نفسه. وتدفعه نحو الطريق الصحيح -مبتعدًا عن كارين، وعائدًا إليها.

ما تزال تلك الرعشة تسري فيما بينهما، إنها متأكدة من ذلك. لن يقدر على مقاومة العودة إليها. مُقدر لهما أن يكونا معًا.

كل الأمور تحدث لسبب.

ستترك بوب؛ بالكاد سيلاحظ أنها رحلت. وستنتقل إلى المنزل المقابل. لديها هناك كل ما تتمنى: منزل كارين الأنيق، وملابسها المنمقة -لحسن الحظ، تتقارب مقاساتهما- وزوجها الوسيم العطوف. كما ترى أن توم سيُمكّنها من الإنجاب، بدلًا من زوجها بوب، عديم الفائدة.

يرفرف قلبها شوقًا لهذا المستقبل المرتقب، وهي تترصد أضواء المنزل المقابل.

***

يستلقي توم، تلك الليلة، عاجزًا عن النوم. وكارين تتململ بين الحين والآخر على السرير.

لم يبدُ له، حتى لحظة الانفعال الثائر تلك في الحمام مع كارين، وهي تصرخ في وجهه، أنه يفهم ما تمرُّ به ومدى تأثيره عليها. لأول مرة يدرك أن هناك فترات بأكملها تخص حياتها، لا علم له بها مطلقًا. فترات مظلمة ومُحتقِنة بالغضب، وماضٍ مُروِّع، لن تشاركه أيًّا من ذلك أبدًا. بات يعرف الخطوط العريضة للحياة التي عاشتها، ومع هذا، ما زال يجهل تفاصيلها الرهيبة. هذه اللمحة المفاجئة، التي ألقت به في قلب ماضيها المظلم، هزَّت كيانه بشدَّة. إنها ليست المرأة التي اعتقد أن تكون. هذه المرأة أكثر صرامة، وأشدُّ صلابة، وأكثر تحطُّمًا مما قد يخطر في ظنه.

هذه ليست المرأة التي وقع في حبها. إن كارين فيرفيلد، المرأة التي أحبها، كانت سرابًا.

لم يعرف امرأة تُدعى جورجينا ترينور قط. ولو عرف، هل كان ليقع في حبها؟ هل كان ليجسُر أن يقع في حب امرأة، تحمل ذلك النوع من أمتعة الترحال؟ أم، لظل بعيدًا عنها إلى الأبد؟

تعجبه فكرة أنه وقع في حبها، بنفس الطريقة، وأحاطها بالأمان بعيدًا عن ماضيها.

لكن تظل هذه الأكاذيب... لا يدري إذا بإمكانه أن يتجاوز عن هذه الأكاذيب.

إن كارين لديها بالفعل أسباب -مذهلة- لتبرير ما فعلته. لكنها كذبت عليه. وعهود زفافها كلها كذب. إنه على يقين أنها كانت لتستمر بالكذب عليه، لولا أنها تورطت مع الشرطة. وهذا أكثر ما يضايقه.

إن السؤال الذي ظل يطرحه على نفسه هو: إذا لم تتعرض لحادث في تلك الليلة، إذا تمكنت من تهدئة روعها والعودة إلى المنزل، هل كانت لتختلق قصة عن صديقة في مأزق هاتفتها -قصة لم يكن ليشكك بصحتها؟ هل كانت لتذهب للنوم إلى جواره في تلك الليلة، وهي تعلم أنها أردَتْ رجلًا قتيلًا بالرصاص -وهو لم يكن بعمره مكاشفًا يطَّلِع على غيبٍ قط؟ لا يصدق توم أنها لم تمتلك قدرة على قتل زوجها السابق؛ أمسى متأكدًا، وخاصة بعد انفجارها بوجهه في الحمام، أنها قادرة على ذلك.

لو اتخذت الأحداث منحًى مختلفًا، لاستكمل معها حياة وهمية سعيدة، غير مدرك للجريمة التي ارتكبتها. إنما لا يمكنه تجاهل ما فعلت، بعد الآن.

والأمر الآخر الذي لا يمكنه تجاهله، هو القفاز. القفاز الذي أخذته معها.

يثق توم أنها اعتزمت قتل زوجها السابق – وإلا لِمَ أخذت القفاز؟ لا يخالجه أدنى شكٍّ في هذا. وما دام القانون مهتمًّا بوضعها، تزداد ثقته بأنها مذنبة.

سواء استطاع أن يكمل حياته على هذا المنوال، أم لا، تظل للقضاء الكلمة الأخيرة.

الفصل الثالث والثلاثون

قبل الظهيرة، في اليوم التالي، وكارين وحدها في المنزل، تسمع طرقًا خفيًا على باب المنزل. عندما تختلس النظر، تجد أنهما المحققان، فتعرف أن الأوان قد حان. لديها لحظة وحيدة لتجمع شتات نفسها قبل أن تفتح الباب.

يقف رازباك في الشرفة الأمامية، وتبدو على قسمات وجهه جدية أشدُّ من آخر مرة رأته فيها. مما يجعلها تدرك سبب مجيئهما -لقد اكتشفا هوية الرجل الميت.

يطلب منها، بلهجة لطيفة غير متوقعة: «هلَّا أتيتِ معنا؟».

تشدُّ الباب لتوصده. تريد لهذا الوضع أن ينتهي. لا تطيق احتمال هذا التوتر أكثر.

يسألها رازباك: «هل زوجكِ في المنزل؟».

تهزُّ رأسها.

- هل تريدين الاتصال به؟ يمكننا الانتظار.

- لا. لا داعي لذلك.

تشعر بالهدوء وعدم الاكتراث، وكأن لا شيء من هذا يحدث. إنه أشبه بالحلم، أو كأنما يحدث لأحد آخر غيرها. فقدت فرصتها في الفرار. فات أوان فعل أي شيء.

يقول رازباك: «أنتِ رهن الاعتقال، يا كارين كروب، بتهمة قتل روبرت تريفور. لديكِ الحقُّ في التزام الصمت. أيًّا ما تقولينه قد يُستخدم ضدكِ في المحكمة. لديكِ الحق في توكيل محامٍ...».

تمدُّ يديها أمامها، بينما يضع جينينجز الأصفاد. فجأة، تخور قواها. فتخبر نفسها أنه لن يُغمى عليها، وتسمع، مثل همسٍ بعيد، *أمسِك بها*.

تشعر بذراعين قويتين على ظهرها –ثم، لا شيء.

***

يندفع توم خارجًا من المكتب، ويسرع إلى مركز الشرطة. اتصل به جاك كالفن، وأخبره أن كارين محتجزة هناك، وهي قيد الاعتقال. إن كالفن في طريقه إليها كذلك.

تبيض أصابع يدي توم من أثر ضغطه عجلة القيادة، ويجزُّ على أسنانه بشدَّة. ينهار عالمه بأكمله. لا يدري ماذا يفعل، وكيف يتصرف. يأمل أن ينصحه جاك كالفن بما يجب عليه فعله.

على الرغم من أنه توقع حدوث هذا، ما يزال الأمر صادمًا. لا يُمكن لأحدٍ أن يتبادل عهود الزواج، ويتوقع أن يسمع يومًا أن زوجته في مركز الشرطة، قيد الاعتقال بتهمة القتل.

يتوقف عند إشارة حمراء. لا يفهم كارين؛ لا يفهم لِمَ فعلت ذلك. كانت توجد خيارات أخرى. أمكنها أن تخبره. أمكنهما أن يلجآ إلى الشرطة. *لماذا لم تبلِغ الشرطة؟*

لم ينبغِ لها الذهاب إلى هناك تلك الليلة، وقتل ذلك الرجل الملعون.

يتغير ضوء الإشارة، ويسرع إلى الأمام بفارغ الصبر متشنجًا. إنه غاضب منها، لأنها كذبت عليه، لأنها جلبت تلك الفوضى إلى حياتهما، دون داعٍ. ستذهب إلى السجن. وسيتعين عليه زيارتها هناك. يعتريه شعور للحظة، وكأنه سيتقيأ. يتوقف في ساحة انتظار متجر ما، حتى يزول هذا الشعور.

يخالجه الامتنان أنهما لم ينجبا أطفالًا بعد. يقول في نفسه ممتعضًا، شكرًا للرب على ذلك.

***

تجلس كارين في غرفة الاستجواب وبصحبتها المحامي على يمينها، في انتظار وصول المحققين. قبل إحضارهما إلى هنا، أخبرها كالفن بما عليها توقعه.

قال لها بوضوح: «لديكِ الحق في التزام الصمت، وعليكِ الاستفادة من ذلك. سنستمع لأسئلتهما، ونتعرف على مدى ما يعرفان أو يشتبهان به. لن تنطقي بأي كلمة. ستجيبين لاحقًا، عندما تستعدين لتقديم إفادتك».

أومأت في توتر: «حسنًا».

يستطرد: «يجب أن تثبت السلطات الدعوى ضدك. لا يعتمد دوركِ على تسهيل الأمور عليهم. بل يجب عليكِ اتباع تعليماتي. إذا استمعتِ لي وفعلتِ كما أقول، ستسير الأمور حسب ما نريد».

ثم أضاف: «على الرغم من أنني لا أستطيع أن أعدكِ بأي شيء، بالطبع».

ابتلعت كارين ريقها وجف حلقها، وقالت بصوت مضطرب: «يجب أن يتوفر لديهم ما يكفي من الأدلة، وإلا لن يستطيعوا إثبات التهمة عليَّ».

قال لها كالفن: «هناك معيار أعلى لإثبات الأدلة في المحكمة. اصمدي. دعينا نتبع الأمور خطوة خطوة».

وبعد ذلك، أُحضرَتْ إلى هنا.

نُزعت الأصفاد من يديها. تعتقد أنهم ربما فعلوا ذلك، لأنها امرأة، أو ربما بسبب طبيعة جريمتها المُدَّعى عليها ارتكابها. على الأرجح، لا تعتبرها الشرطة خطرة، على الرغم من أنها في اعتقادهم امرأة قتلت زوجها ببرودة أعصاب. إذن، ألا يرون أنها من المحتمل أن تقتل شخصًا آخر؟

عند سماع صوت فتح الباب، يزداد توترها. يدخل المحققان، رازباك وجينينجز.

يسألها الأول في تهذيب: «هل أحضر لكِ ما تشربينه؟ ماء؟ قهوة؟».

تهزُّ رأسها أن لا.

بعد المقدمات الضرورية، يبدأ الاستجواب المصور بالفيديو.

يقول رازباك: «نعلم أن كارين كروب هي هوية جديدة لكِ، بدأتِ باستخدامها منذ قرابة ثلاث سنوات».

يجلس قبالتها على الجانب الآخر، وأمامه ملف مستندات مغلق على الطاولة. ينظر المحقق إلى الملف ويفتحه.

تلمح كارين على الفور صورتها وهي جورجينا؛ تتعرف الصورة. تعرف أنه يريدها أن تراها. لكنها لم تُلقِ عليها سوى نظرة خاطفة، قبل أن ترفع عينيها عنها.

يراجع الملف بصمت هنيهة، ثم يرفع رأسه ناظرًا إليها.

- نعلم أنكِ، في واقع الأمر، جورجينا ترينور، وأنكِ كنتِ زوجة روبرت ترينور، الرجل الذي قُتل رميًا بالرصاص الأسبوع الماضي. ويمكننا إثبات وجودكِ بمسرح الجريمة.

لا تقول شيئًا. وبجانبها، يجلس كالفن هادئًا. يبدو أنه مسترخٍ تمامًا، لكنه يقظٌ، مثله مثل المحقق الصامت الجالس قبالته. تمتن كارين لوجود كالفن معها. فلو أنها وحدها في هذه الغرفة مع رازباك، لارتكبت خطأً فادحًا. ما دام كالفن هنا، سيتأكد من عدم حدوث أي خطأ.

يقول رازباك: «دعيني أخبركِ بشيء. سأخبركِ بما أراه، ويمكنكِ أن تومئي فقط، إذا صحَّ قولي».

يقول كالفن في هدوء: «إنها ليست حمقاء».

يردُّ رازباك باقتضاب: «أدرك ذلك جيدًا. بالتأكيد، أي شخص ينجح في تزييف موته، لا يمكن أن يُعد أحمقَ».

ينقل تحديقه إلى كارين.

- ربما يجب علينا التحدث عن هذا الأمر أولًا. أرفع قبعتي تحيةً لكِ. من الواضح أنكِ امرأة ذكية للغاية.

يدور ببالها، أنه يضغطها لتتحدث من خلال تعزيز ثقتها بنفسها. لن ينجح بهذه الطريقة. ستتحدث عندما يحين الوقت المناسب لها، عندما تكون جاهزة للرد. تعلم أنها على أي حال ستذهب إلى السجن؛ أخبرها كالفن أنه لا يُفرج عن المتهم بجريمة قتل بدفع كفالة مالية. يرعبها التفكير في أمر السجن.

يقول رازباك: «أخبريني كيف فعلتِ ذلك».

لا تنطق بكلمة.

- أخبريني إذن، لماذا فعلتِ ذلك. ما الذي دفعكِ إلى تزييف موت مُقْنِع لهذه الدرجة من الدقة، وتبدئين من جديد بهوية أخرى؟

لم تقل شيئًا.

- أظنُّ أنكِ أردتِ الهرب من زوجكِ. أظنُّ كذلك أنكِ كنتِ زوجة مُعنَّفة، واضطررتِ إلى الرحيل عنه. لم يسمح لكِ أن تتركيه. ولم تقدري على طلب الطلاق منه، لأنه سيلاحقكِ ثانية. لذلك زيفتِ موتكِ. لكن بعد مرور ثلاث سنوات، يتصل بكِ على هاتف منزلكِ، وأنتِ في مطبخكِ، في حياتكِ الجديدة. تسمعين صوته. تنصدمين وتخافين، وينتابكِ الذعر.

تتركه يستطرد في حديثه. تريد أن تسمع ما لديه، لتعرف ما مدى ما يعتقد أنه يعرفه.

يتابع رازباك: «يَطلبُ منكِ مقابلته. وربما يهددكِ إن لم تفعلي، فسيأتي إليكِ ويقتلكِ. يعرف رقم هاتفكِ؛ يعرف أين تعيشين بلا شك. لذا، توافقين على مقابلته. تسرعين خارجة من المنزل في تلك الليلة. من سرعتكِ، لا تتذكرين ترك ملاحظة لزوجكِ، ولا تأخذين هاتفكِ أو حقيبتكِ، ولا حتى تغلقين الباب».

يعتدل رازباك في جلسته. تراقبه بانتباه، وتتلاقى أعينهما. يمسك عن الكلام هنيهة طويلة.

- أو ربما أُتيح لكِ التفكير في الأمر بصورة أكثر دقة مما مدحناكِ جميعًا عليه.

يتوقف ليحدِث تأثيرًا عليها.

- ربما ترينَ سببًا لعدم إحضار هاتفكِ أو محفظتكِ؛ لا تريدين المخاطرة بتركِ أي أثرٍ وراءكِ. ربما لم تأخذي هاتفكِ، خشية أن يُستخدم لتحديد موقعكِ. ومحتملٌ، بما أنكِ فكرتِ في الأمر بدقة، أخذتِ معكِ مسدسًا، عيار ثمانية وثلاثين، والذي بالمناسبة، ما زلنا نبحث عنه، وأخذتِ قفازًا مطاطيًّا كذلك.

يضيف: «وكل ما سَبَق، يبدو لِيَ أنه تخطيط للقتل مع سَبْقِ الإصرار».

يميل رازباك إلى الأمام، ويسلِّط ناظريه على عينيها، تشعر بعينيه الزرقاوين تخترقانها. ترعبها نظراته. لكنها مصممة ألا تدعه يلحظ ذلك عليها. تتجاهل وجود محاميها والمحقق الآخر، وكأنهما بمفردهما في الغرفة. عليها أن تُذكِّر نفسها بأنها لم تُترك وحدها مع هذا المحقق. إنما عيناه تأسرانها. بقطع كالفن تحديقهما.

- إنك تخمن أن لديها مسدسًا، وليس لديك أي فكرة عن صاحب ذلك القفاز. لا يمكنك إثبات أنهما ملك لموكلتي.

يتحداه رازباك، قائلًا: «أعتقد أنه يمكنني».

لا يبعد عينيه عن عيني كارين، ولو للحظة، ليتطلع إلى محاميها.

- أعتقدُ أنكِ أخذتِ مسدسًا وزوجي القفاز، وتوجهتِ إلى ذلك المطعم المهجور في شارع هوفمان، وأوقفتِ سيارتك في موقف سيارات صغير بقربه. دخلتِ إلى المطعم، حيث وجدتِ روبرت ترينور في انتظاركِ، وأطلقتِ عليه الرصاص، بأعصاب باردة.

تظل كارين صامتة في عناد، وتذكِّر نفسها أن الشرطة لم تعثر على السلاح الذي قُتل به، وحتى لو وُجد، لا يمكن أن يمسَّها ذلك بسوء. إنها واثقة من أمر المسدس. لا يمكنهما إثبات أنها أخذت مسدسًا معها، في طريقها إلى ذلك المطعم. لا يسعهما سوى إثبات أنها ذهبت إلى ذلك المكان.

يسألها رازباك: «ماذا فعلتِ بالمسدس؟».

تنتابها نوبة خوف مفاجئة، سرعان ما تكبحها. يدور ببالها، أنه لا يعرف شيئًا عن المسدس، إنه فقط يخمن، أو يفترض، لا أكثر.

يتابع رازباك: «هذا أمر يتعدى مجرد الافتراض. من المرجح، أنكِ حزتِ على مسدس دون ترخيص. إنه تصرف متوقع من امرأة ذكية مثلك، امرأة زيفت موتها، وخدعت الجميع دون استثناء، امرأة بدأت حياتها من جديد بهوية جديدة، ولم يُفضح أمرها حتى وجدها زوجها... بالمناسبة، كيف وجدكِ، في ظنكِ؟».

تتشنج رِجلاها تحت الطاولة، لكن لن يستدرجها للحديث معه.

يُميل رازباك رأسه صوبها.

- وبعد ذلك، بعدما أطلقتِ عليه النار، أصابكِ الذعر. تدركين أنكِ أردتيه قتيلًا. هل سقط المسدس من يدكِ؟ من شدة ذعركِ؟ أم لأنكِ تعرفين أنه لا يمكن إثبات ملكيتكِ له، ولم تتركي بصماتكِ عليه، لم تهمكِ تلك المسألة؟ أم أخذتِه معكِ وألقيته من النافذة في مكان ما؟

يدفع المحقق نفسه بعيدًا عن الطاولة، فجأة، وتجعلها حركته المباغتة تجفل وتنتفض في مكانها. ينهض ويبدأ بالتجول في الغرفة، كما لو يمعن التفكير في الأمر في أثناء حديثه. لا يمكن أن تنخدع بتصرفه. هذا كله مجرد

أداء تمثيلي. يمثل دوره، كما تفعل تمامًا. هما جمهور بعضهما بعضًا. لقد أعدَّ كل كلمة سينطق بها.

- عندما عدتِ إلى سيارتكِ، انتزعتِ زوجي القفاز وسقطا على الأرض هناك، في موقف السيارات. وهكذا أدركتُ أنه انتابكِ الذعر حينها، وإلا فَلِمَ تتركين وراءكِ القفاز؟ حيث يمكن رفع بصمات أصابعك، حمضكِ النووي، على الجانب الداخلي من القفاز.

يلتفت ناظرًا إليها عن عمد.

تنظر بعيدًا عنه. تشعر بنفسها تبدأ بالارتجاف وترتعد فرائصُها بشدة، يصعب عليها تمالكها. لا تريده أن يرى مدى خوفها.

- كلانا يعرف مدى أهمية ذلك القفاز، أليس كذلك يا جورجينا؟

ينوقف أمامها مباشرة ويتطلع إليها. ترفض رفع رأسها، لتواجه عينيه.

- لأنه إذا تعرفنا الحمض النووي على ذلك القفاز، سيثبت ذلك، وبلا شك، أنكِ كنتِ بمسرح الجريمة. ولأن وجود القفاز يشير إلى *عقد النية على القتل*.

يسحب كرسيه ويجلس، منتظرًا حتى ترفع عينيها باتجاهه.

- عندها شعرتِ بالذعر بسبب ما اقترفته يدكِ، أخذتِ سيارتكِ وابتعدتِ بأسرع ما يمكنكِ عن ذلك المكان. في حين، أنه عُرف عنكِ أنكِ لا تتخطين الحد الأقصى من السرعة أبدًا. كلٌّ يتجاوز السرعة القصوى، فيما عداكِ. لم تتخطي إشارة حمراء قط. لماذا؟ لأنكِ لا تريدين لفت انتباه الشرطة إليكِ. ولأن القاعدة الأولى لمَن يتخذ هوية جديدة هي: *توارى عن الأنظار*. وهذا ما حرصتِ عليه لسنوات. اندهش جميع من تحدثنا إليهم من السرعة التي قدتِ بها. هذه *ليست* طبيعتها. أتعلمين أمرًا؟ أتساءل ما هي طبيعتكِ بالحقيقة، عندما لا تتظاهرين *بأنكِ امرأة أخرى*.

إنه ينجح بالتأثير عليها. تشعر بالغضب والتهديد، مع ذلك، يجب أن نسيطر على أعصابها. تتساءل لِمَ لا ينطق محاميها بكلمة، رغم أنها لا يمكنها إنكار هويتها الحقيقية. يمكن للشرطة بسهولة إثبات أنها جورجينا ترينور. اكتشفت الشرطة أن حادث وفاتها مزيف وأنها هربت بهوية مستعارة. يجب أن تعترف بما فعلت، وقد تضطر إلى الاعتراف أنها ذهبت إلى ذلك المطعم. لكن لا يُمكن إثبات أنها قتلته. لا يوجد دليل، لا سلاح، ولا شاهد. إنما هناك

دافع للقتل، وهذا ما يرعبها. بل لديها عدة دوافع لقتل زوجها، وجميعهم يرون ذلك.

يستطرد رازباك: «إذن، دعينا نقول إنك شعرتِ بالذعر، وأسرعتِ بالسيارة، فقدتِ السيطرة على عجلة القيادة، واصطدمتِ بالعمود. حادثة مؤسفة. لو لم ينتَبك الذعر، لتنصلتِ من جريمة القتل».

تتطلع إليه. كم تكرهه في هذه اللحظة.

- إذا قدتِ السيارة إلى المنزل بهدوء، أعدتِ القفاز إلى مطبخك، اختلقتِ قصة وهمية لزوجك، عن سبب خروجكِ، وعندها لن يخطر ببال أحدٍ أن لكِ علاقة بجثة القتيل في ذلك المطعم المهجور. حينها، قد نكتشف هوية الرجل، ونجد أن زوجته تُوُفِّيَتْ منذ بضع سنوات، وانتهى الأمر. لأصبحت هذه هي النهاية، لو لم تصابي بالذعر، ولم تتجاوزي أي إشارة حمراء، ولم تحدث حادثة سير -ولا آثار إطارات، ولا قفاز- من شأنها أن تثبت أي صلة لكِ بالجريمة. لما بحث أحد وراءكِ واكتشف أنكِ لستِ من تدعين، ولتابعتِ حياتكِ اللطيفة، حياة الضواحي الهادئة، مع زوج جديد، لا يرتاب بكِ.

تتمنى لو تصفع وجه ذلك المحقق الحاذق المتعجرف. لكنها تكتفي بغرز أظفارها في راحة يدها تحت الطاولة، بعيدًا عن ناظريه.

- يظل الأمر المهم هو، أنني أستطيع أن أتفهم لماذا فعلتِ ما فعلته. يمكنني تفهم ذلك حقًّا. لا تريدين أن تخبريني كيف كانت الحياة مع روبرت ترينور، إنما أعتقد أننا سنعرف في المحكمة. عندما تثبت السلطات تهمة القتل عليكِ، ستودين بالطبع أن يعرف الجميع لماذا قتلته. ستودين رسم أكثر صورة وحشية عن الرجل قدر إمكانكِ. أتمنى أن تنجحي بذلك. فمحتمل أنه كان وحشًا، ليدفع سيدة رقيقة مثلك إلى قتله.

تحدِّق إلى الجدار، أمامها مباشرة، وهي تنغَز أظفارها في راحتيها.

يقول رازباك: «أعتقد أن هذا كل ما لدينا، في الوقت الحالي».

وينتهي الاستجواب.

الفصل الرابع والثلاثون

لدى بريدجيت علم بما حدث. فقد رأت المحققين عند موعد الغداء. انتظرتهما طويلًا -تمنَّت عودتهما- لتتطور الأحداث. شاهدتهما وكارين خارجة معهما من المنزل، وبيديها أصفاد. تتمالك نفسها بالكاد من فرط السعادة.

ظلَّت مسلطة أنظارها على المنزل طوال اليوم، تترقب عودة توم، حتى يتسنى لها مواساته. سيبقى وحده في المنزل، في حياة شبه مدمرة بالكامل. تعرف بريدجيت أن أمر كارين قد انتهى؛ ستُدان بالتهمة. إنها على ثقة من ذلك. ومن ثم، يمكن لتوم أن يبدأ حياة جديدة، معها. سيعيشان سعداء معًا، سعادة تفوق أي وقت مضى مع كارين. ولن تمزِّق حياته أبدًا كما فعلت كارين.

في يوم من الأيام، سيرى توم أن جرَّ كارين للخارج، مكبَّلة اليدين، أفضل ما حدث له بحياته.

***

يعود توم إلى المنزل مصدومًا. لقد أُلقي القبض على زوجته بتهمة القتل، وهو متأكد من أنها فعلت ذلك.

يهيم على وجهه، داخلًا المطبخ ويفتح الثلاجة. يقف أمامها محدقًا، يتذكر فجأة، تلك الليلة، عندما وقف بالطريقة نفسها، يحدِّق إلى محتويات الثلاجة في ذهول، ليلة اختفاء كارين، الليلة التي بدأت فيها كل هذه الأحداث.

هذا كافٍ ليدمر زواجهما. هذا كافٍ ليدمر حياة كل منهما. والآن، تُضطر زوجته إلى المثول أمام القضاء، مما سيُسلبه حياته. يمد يده ويأخذ زجاجة جعة. ينزع الغطاء بعنف، ثم يستدير قاذفًا إياه بقوة، فيصطدم الغطاء

بالخزانة ويرتد في أرجاء المطبخ، وينتهي به المطاف في مكان ما تحت الطاولة. كيف يتصرف بحق *الجحيم*؟

يروح ويجيء في المنزل في غضب مستعر. لا يوجد ما يمكنه فعله. لا يستطيع تصديق ما آل إليه الحال. كما يرى أن الأمور ستزداد قسوة خلال الأيام، والأسابيع، والأشهر المقبلة.

لا يكلف نفسه عناء تحضير وجبة ليتناولها، فليست لديه شهية للطعام. يتجرع زجاجة الجعة الأولى بسرعة، ويذهب تلقائيًّا ليجلب واحدة أخرى من الثلاجة. لم يتعرض لاختبار كهذا من قبل، ولا يعجبه ما وجده في نفسه. إنه ضعيف، وجبان، يعرف ذلك جيدًا. حاول أن يتماسك من أجل كارين. لكنَّ زوجته تفوقه قوة وشجاعة. كما لو أنها امرأة حديدية.

يحدِّق إلى المرآة فوق المدفأة. بالكاد يتعرف نفسه. صار شعره أشعثَ من كثرة تمرير يديه بعصبية فيه. يبدو محطمًا، وخائبًا. تصور أنه سيعيش حياة مفعمة بالسعادة والحب، عندما تزوج كارين. كأنما الحياة وعدته بذلك يوم تزوجها، وحنثت بوعدها له. يشعر بالأسى على نفسه.

يخرج إلى الفناء الخلفي من الباب الزجاجي المنزلق، ويجلس وحيدًا في هذه الليلة الصيفية، والظلام ينسدل.

يا للسخرية، لم يخطر بباله حتى اللحظة، متجرعًا زجاجة الجعة الثالثة، كم عانى ليقنعها بالموافقة على الزواج منه. صار كل شيء منطقيًّا بهذه اللحظة؛ كانت متزوجة *بالفعل*.

في المرة الأولى التي تقدم فيها للزواج منها، سخرت منه، وكأنه كان يمزح معها. وقد حرص ألا يظهر أن ردة فعلها فاجأته وجرحته. تساءل لماذا استخفت بطلبه للزواج منها، على الرغم من جديته حينها. كانا مستلقيَيْن على غطاء من الصوف الخشن، يتطلعان إلى النجوم، في أثناء مكوثهما في نزل صغير بمنطقة جبال «كاتسكيلز» لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، ورؤية ألوان الخريف. جَلَبَ الغطاء من صندوق السيارة، واختار بقعة مناسبة لخصوصيتهما. واستلقيا متجاورين متكئًا على مرفقه، محدِّقًا إليها. ما زال يتذكر كيف أضاء نور القمر وجهها، ولمعة السعادة في عينيها. سألها: «هل تتزوجينني؟».

ضحكت، كما لو حكى لها طُرفة.

يتطلع في هذه اللحظة إلى تلك النجوم نفسها، المتلألئة في الظلام. بينما تغير كل شيء.

يتذكر كيف كتم جرحه وخيبة أمله، وقتها ولأسابيع تالية. انتظر لفترة قصيرة، ثم اشترى خاتمًا ثمينًا ذا قطعة ماسية كبيرة -أراد أن يثبت لها جديته. وقدمه لها في عيد الحب، مع كأس الشامبانيا باهظة الثمن في مطعمها المفضل. ربما هذا هو الخطأ الذي وقع فيه، أنه اختار عيد الحب. لم يكن ليغير ذلك من الأمر شيئًا. يذكّر نفسه بردّها حينها، وهو يجلس في الفناء وبيده زجاجة الخمر والليل قد انسدل، *لماذا لا نبقي على علاقة الحب بيننا بدلًا من الزواج؟*

ها هي علاقة حبهما، تنهار فوق رأسيهما.

هل يتمنى الآن لو أنها لم تجبه على طلبه، لو أنها لم توافق بالنهاية على الزواج منه، تحت وطأة ضغطه المستمر، قط؟ لا يدري، غير أن الأوان فات على تغيير شيء، على أي حال.

ومع ذلك، يظل هذان العامان الماضيان أسعد أيام في حياته.

حتى صار ما صار.

يلمح توم حركة في الظلام، قرب المنزل. يجمد مكانه. لم يضئ الأنوار في الفناء، كي لا ينجذب البعوض للضوء، لذا فكل ما حوله في ظلام دامس، باستثناء النجوم. يرى ظل شخص يقترب، لا يستطيع تمييزه. لا يُعقل أنه أحد من الشرطة. لقد اعتقلوا زوجته بالفعل. ولا يعتقد أنهم سيعودون للقبض عليه، هو الآخر.

يظن أنه ربما أخوه دان، أتى ليطمئن عليه. فقد اتصل في وقت سابق من اليوم، لكن توم لم يرد عليه، ولا بد أنه قلق عليه. يدور كل ذلك بباله في لحظة، وهو يقف على قدميه. يضع زجاجة الجعة الفارغة على طاولة جانبية ويدقق النظر في الظلام.

إن القادم نحوه في الظلام ليس دان، ويتأمل في استياء -إنها بريدجيت. لا رغبة له في التحدث إلى بريدجيت. يريد العودة إلى داخل المنزل ويغلق الباب وراءه، لكنه لا يستطيع فعل ذلك.

نادرًا ما يشعر بعدم الارتياح مع بريدجيت. كانت لديه مشاعر حميمية، فائضة على الحد. هناك أمر طائش ومثير بشأنها، لم يقدر على مقاومته في

البداية، وقد لامس ما وجده فيها جانبًا طائشًا في نفسه. لكن سرعان ما زاد الأمر حدَّة بالنسبة إليه؛ شعر أنها لو استطاعت لالتهمته بالكامل. لم يعرف ما يمكن توقعه منها قط؛ بسبب حساسيتها المفرطة. عندما قطع علاقته معها، قضى أسابيع في قلق شديد –في خوف من أن تخبر زوجها، فيطردها من منزله، لتعود إلى توم ثانية تقرع بابه. وحتى لاحقًا، خاف من أن تخبر كارين، وتضفي أكاذيبها على ما حدث، فتدمر حياته الزوجية في مهدها. إنما بدا أنها هدأت. وبعد حين، وعلى غير المتوقع، أصبحت صديقة عزيزة لزوجته. ليس بيده ما يفعله حيال ذلك.

يقول: «مرحبًا بريدجيت».

يقولها بنبرة متهكمة، ناطقًا اسمها بِتَأَنٍّ. لم تسكره زجاجات الجعة الثلاث، التي تجرعها على معدة خاوية. ربما هو من يُطلق عليه «يعيش في سعادة»، إلا أنه أبعد ما يمكن عن السعادة. يدرك توم بغتة، أنه لا يريد البقاء بمفرده.

يسألها: «أتريدين شرابًا؟».

تنظر إليه، كما لو فوجئَتْ، وتقول: «طرقتُ الباب الأمامي، ولم يفتح أحد. جئت لأتحدث إلى كارين. هل هي بالمنزل؟».

يجيب توم: «لا، أخشى أنها ليست بالمنزل».

يمكنه سماع المرارة في صوته، بنبرة عالية وواضحة.

تسأله: «ما الخطب؟».

يرى عينيها تندهشان كيف يبدو محطمًا، ثم تتطلع إلى زجاجة الجعة على الطاولة الجانبية.

يعلم توم أنها ستُعد حماقة منه، إن شارك بريدجيت همومه، إنما ليس لديه أحد غيرها، بهذه اللحظة. يدرك مدى شعوره الرهيب بالوحدة، دون كارين إلى جانبه. لم يشعر بوحدة في حياته قط.

يشير باتجاه المطبخ، إلى داخل المنزل.

- دعيني أقدم لكِ شرابًا. ماذا تفضلين؟ الجعة؟ يمكنني أن أمزج لكِ شرابًا، إذا أردتِ.

تتبعه إلى داخل المنزل. يفتح الخزانة، ويفحص زجاجات الخمر على الرف ليختار من بينها ما يقدمه لها.

تقف خلفه، وعندما يستدير ليسألها ماذا تختار، يجدها تحملق فيه بتوق شديد، مما جعله يجفل، ويلتفت نحو الخزانة ثانية.

- يوجد رَم، وفودكا، و...

تطلب منه: «أيمكنك أن تعدَّ لي كأس مارتيني؟».

يتطلع إليها في ذهول. منذ متى لديها هذا الذوق النيِّق؟ ليست لديه فكرة عن كيفية إعداد شراب مارتيني. لم يتوقع أن تطلب منه طلبًا غريبًا كهذا.

- لا أعرف كيفية إعداده.

تقول في عذوبة: «أنا أعرف».

تقف إلى جواره وتنظر داخل الخزانة. وتبدأ بإخراج زجاجات -فودكا، وفيرموث.

تقول وهي تفتح خزانة عالية أخرى، وتبحث بها: «لا بد أن لديك إناء مزج في مكان ما هنا».

يرى لمعة بعينيها فور عثورها على إناء المزج الفضي -الذي نسي أن لديهما واحدًا منه بالمنزل، إحدى هدايا حفل الزفاف المتبقية. لم يستخدماه، هو أو كارين، قط – عادةً ما يشربان الجعة أو الخمر. يتذكر الليلة التي احتاج كلاهما إلى جرعة من الويسكي.

تسأل بريدجيت: «هل لديك ثلج؟».

يلتفت توم نحو المجمِّد ليجلب الثلج. وهناك، يجلب لنفسه زجاجة جعة أخرى. ستكون هذه الليلة آخر مرة يسرف فيها. يَعِد نفسه بذلك، وهو يفتح الغطاء ويشاهد بريدجيت التي تُعِدُّ لنفسها كأس مارتيني في مطبخه، وكأنها صاحبة المنزل. كم هو شعور غريب، وهي إلى جواره هنا، بدلًا من كارين.

تسأل: «إذن، أين كارين؟».

تنتهي من مزج الشراب، وقد جلبت كأسًا ملائمة للمارتيني من الخزانة -نسي أمر هذه الكؤوس أيضًا- وتسكب الشراب لنفسها. تحمل الكأس وتقربها من شفتيها، وترتشف رشفة، فيما تتطلع إليه في تَدلُّل من فوق الحافة.

للحظة، يجد توم نفسه في حيرة من أمره. إنها تسأل عن كارين، التي احتُجِزت، بينما نبرة صوتها في غير محلها. إذ يبدو أنها تغازله، بطريقتها المعتادة. وفجأة، يندم أنه سمح لها بالدخول، ومشاركته الشراب. يا لها من امرأة خبيثة.

تقول وهي تغير نبرتها كما ينبغي لها، أو ربما يتخيل ذلك: «ماذا حدث؟».

يهزُّ رأسه قائلًا: «لم يحدث شيء».

ثم يضيف: «بل حدث كل شيء».

تقول: «أخبرني».

- لقد اعتُقِلت كارين.

- اعتُقِلت!

يومئ لها. يجب أن يحتفظ بمشاعره لنفسه. لن ينفعه التورط في علاقة شخصية من جديد مع بريدجيت. لا يجب أن يخبرها بأي شيء على الإطلاق، ولكن الجعة جعلت لسانه يزل. وما الفارق؟ سينتشر الخبر في صحف الغد.

تسأله: «ولماذا اعتُقِلت؟».

يتساءل عما إذا رَوعه باديًا عليه كما يشعر.

- بتهمة القتل.

تغطي فمها بيد، وباليد الأخرى تضع مشروبها على المنضدة بجانبها. ثم تواري وجهها بعيدًا، كما لو تغالبها مشاعر جياشة. فيما يقف مكانه محرجًا، يراقبها.

بعدها، تمدُّ يدها إلى الخزانة لتجلب كأس مارتيني أخرى وتصبُّ فيها ما تبقى من الشراب الممزوج. ثم تحملها إليه.

ينظر إلى الكأس في ارتياب، مفكرًا، *ماذا تفعل بحق الجحيم*. يتناول منها الكأس، ويرفعها في نخب ساخر وصامت، ويتجرعها دفعة واحدة.

- توم...

تصدمه قوة الكحول بحدة وبسرعة، فيرى كل ما حوله مشوشًا وغير واضح المعالم.

يقول لها: «ربما يجب أن تغادري».

يحاول أن يتراجع عن الخطوة الخطيرة التي اتخذها؛ يريدها أن تخرج من هنا، قبل أن يفعل أو يقول شيئًا قد يندم عليه.

- إن الشرطة تبحث عن أدنى دليل. وليس لديهم أي مشتبه به آخر، لذلك يحاولون توريطها بالجريمة. لكن لديها محاميًا جيدًا.

يتحدث ببطء وبتأنٍّ، مدركًا أنه بحالة سُكر.

- سيدركون أنها لم ترتكب شيئًا. لقد أخبرتني أنها لم تفعل، وأنا أصدقها.

تهتف ثانية: «توم».

ينظر إليها بقلق. يمكنه رؤية حدود نهديها تحت بلوزتها. يعرفهما جيدًا. للحظة، تتضح أمامه ذكرى عن وجوده في السرير معها، وكيف كانت مختلفة عن كارين. يجبر نفسه على وضع تلك الذكرى جانبًا.

- هناك أمر يجب أن تعلمه.

لا تعجبه نغمة التحذير التي يلمحها في صوتها. لا يريد سماع أدنى سر، قد شاركته كارين مع صديقتها في الجهة المقابلة. ولا يريد امرأة أخرى، امرأة جذابة، لديه ماض جامح معها، أن تواسِيَه، وهو بهذه الحال المزرية. يمكنه أن يشعر بمشاعره تُثار وهي بقربه. لا بد أنه تأثير الكحول. دفاعاته تنهار.

يقول توم ناظرًا إلى الأرضية: «أعتقد أنه عليكِ المغادرة من فضلك».

يريدها أن تغادر على الفور. بينما تصرُّ عليه: «تحتاج إلى سماع ما لدي».

***

من المستحيل أن تُحسن التفكير هنا؛ وكأنها في منتصف مُشاحَنة لا تنتهي. تنزوي كارين على نفسها في وضع الجنين على فراش غير مريح، داخل حجرة احتجاز في قبو مركز الشرطة، وتحاول تمالك أعصابها فيما ينسدل الليل إلى ما لا نهاية. إنها محاطة بالسكارى والبغايا، والرائحة الكريهة هنا لا تُطاق. تحاول التنفس من فمها فقط. حتى اللحظة، تُحتجز في حجرة مفردة، لكن في كل مرة تسمع خطوات أو صرخات، فيما تحضر الشرطة إحداهن، تخشى أن يُفتح باب حجرتها وتمكث هنا معها.

تفكر في توم وحده، ينام في سريرهما، في المنزل، وتجاهد ألا تبكي. لو أنها هناك معه، قد يواسي أحدهما الآخر، إنما هنا لا مواساة لأحد.

الفصل الخامس والثلاثون

يرفع توم رأسه ناظرًا إلى بريدجيت في توجُّس.

تشرع بالقول: «في تلك الليلة، التي تعرضت فيها كارين لحادثتها. كنت في المنزل، جالسة بجوار النافذة. في قرابة الساعة الثامنة وعشرين دقيقة، رأيتُ كارين تهرع خارجة من المنزل».

يقول توم عابسًا: «أعرف كل هذا».

- شاهدتها وهي تركب سيارتها وتنطلق بها مسرعة. وظننتُ -مجرد ظن- أنه ربما حدث خطب ما.

يحدِّق إليها توم، متسائلًا إلى ماذا يقود هذا الحديث.

- لذا ركبتُ سيارتي وتبعتها.

يشعر كما لو توقف قلبه. لم يتوقع سماع ذلك. ستسوء الأمور على هذا النحو أكثر مما أعتقد. يود لو يغطي أذنيه ويرفض الاستماع لها، مع ذلك، يظل مكانه منصتًا.

- قادتْ بسرعة كبيرة، لكنها اضطرتْ إلى الوقوف عند بعض الإشارات الحمراء، وكنتُ قادرة على مواكبة سرعتها، من مسافة خلفها. فقد انتابني القلق عندما رأيتها خارجة من المنزل بتلك الطريقة.

ترفع بريدجيت كأس المارتيني من فوق المنضدة لتأخذ جرعة سريعة، ثم جرعة أخرى، كما لو أنها بحاجة إلى الشجاعة من أجل ما عليها قوله تاليًا.

- أدركتُ أنها تتجه نحو طرف مقفر من المدينة. لم أفهم لماذا، وتساءلت ما الذي تنوي فعله. خطر ببالي أنها قد لا تريدني أن أتبعها -لكنها صديقتي،

فيجب أن أهتم. أردتُ التأكد من أنها بخير فقط. لذلك تابعتُ تعقبها، على بعد كافٍ حتى لا تراني. بعد حين، انعطفتْ إلى موقف سيارات صغير، على جانب الطريق الرئيسية. تجاوزتها، بينما كانت توقف سيارتها، ثم دُرْتُ للخلف وعدتُ لأوقف سيارتي على الجهة الأخرى من الطريق نفسه.

يرقبها من كثب وعيناه تأبيان التركيز؛ يحاول معرفة ما إذا تكذب عليه. لا يجيد كشف كذب أي أحد بالحكم عليه من خلال مواقفه معه في الماضي. يخشى أن ما تقوله هو الحقيقة. فعند تفكيره أن بريدجيت شاهدة على ما حدث، يتفاقم خوفه. فقد تسبب في زَجِّ كارين في السجن.

- خفتُ كثيرًا أن أخرج من السيارة. لكنني قلقتُ للغاية بشأن كارين. رأيتها تختفي وراء مطعم مغلق بالألواح. خرجت من السيارة ودنوت من المبنى. ثم سمعتُ طلقات نارية، ثلاث طلقات نارية.

تغلق عينيها هنيهة وتفتحهما.

- ارتعبتُ. بدا أن الصوت جاء من داخل المطعم. ثم رأيتُ كارين تخرج مندفعة من المطعم، وتركض نحو سيارتها. كانت ترتدي ذلك القفاز المطاطي الوردي، مما وجدته غريبًا. انتزعت زوجي القفاز قبل أن تركب السيارة. وقفت في الظلام هناك، قبالة المبنى –إنني متيقنة أنها لم ترَني– وشاهدتُها تخرج من موقف السيارات، وانطلقت بها بسرعة كبيرة. فكرتُ في تعقبها، لكنني علمتُ أنه ليس بإمكاني اللحاق بها، بتلك السرعة. لذلك – دلفتُ إلى المطعم الذي خرجت منه.

تتوقف لتلتقط أنفاسها.

يخفق قلب توم بشدة، وكل ما يخطر بباله، *أنها في الواقع لم ترَ كارين تسحب الزناد.*

- وصلتُ إلى الباب، فتحته ودخلت. كان المطعم شديد الظلمة، ومع ذلك، استطعتُ أن أرى جثة، جثة رجل ميت على الأرضية.

ترتجف، وهي تتابع: «يا له من منظر مُريع. لقد أصيب الرجل في وجهه وصدره».

تقترب منه، حتى تصير على بعد ذراعٍ منه.

- أطلقَت النار عليه، يا توم. *لقد قتلتْ ذلك الرجل.*

يقول توم: «لا، لم تفعل».

- أعلم أنه يصعب عليك سماع ذلك، يا توم. لقد كنتُ هناك.

يقول توم في إحباط: «لم تريها تطلق النار عليه. سمعتِ طلقات نارية فقط، ورأيتِ كارين تهرب. ربما كان هناك شخص آخر في ذلك المطعم. ربما ذهبت إلى المكان الخطأ في الوقت الخطأ».

يعرف أن صوته قد يشوبه بعض الجنون، كم يبدو أحمقَ.

- لم أرَ أحدًا آخر يخرج من المبنى، كما أنها حملتْ مسدسًا وهي داخلة. لقد رأيتها.

- لم تذكري أنكِ رأيتِها تحمل مسدسًا عندما دخلَت المبنى.

- أجل، لكنني رأيتها.

- هل حملته معها عندما غادرت؟

- لا.

- هل رأيتِ المسدس هناك، عندما دخلتِ المطعم؟

- لا أعتقد.

- ماذا تعنين؟ ما الذي لا تعتقدينه؟

- لا أعرف، يا توم! لم أنتبه لوجود مسدس. كان المطعم مظلمًا. لا بد أنها تركته بالداخل في مكان ما. لقد فزعتُ للغاية عند رؤية الجثة، وما اقترفته كارين، ونسيت أمر المسدس.

يعمل فكره مغتاظًا، يا إلهي، هذا ليس جيدًا بالمرة، إنه لأمر غاية في السوء. ينبغي أن يعرف ما تنوي بريدجيت فعله. يدور رأسه من تأثير الخوف والكحول.

يقول ببطء: «ماذا تنوين فعله يا بريدجيت؟».

- ماذا تقصد؟

- هل ستخبرين الشرطة بما رأيتِ؟

تتطلع إليه وتقترب منه. تلين حدة عينيها. تعض شفتها السفلى. تمد يدها تلمس وجهه برفق. فيما يتسمر مكانه، مرتبكًا، في انتظار إجابتها.

تقول: «لا، بالطبع لا. إن كارين صديقتي».

ثم تقبّله بشوق.

يأخذها بين ذراعيه، ويذعن لها مغلوبًا على أمره، لما تمنحه من مواساة لألمه.

***

لم تغفُ عين كارين طوال الليل. لديها استدعاء للمثول أمام المحكمة صباح اليوم، وبهذه اللحظة، يجلس محاميها قبالتها في غرفة مقابلات صغيرة، يحاول حمْلَها على احتساء قدحٍ مركزٍ من القهوة. لكن طعمها مرٌّ ولاذع في فمها، فتدفع الكوب بعيدًا. إلى جانب، أنها لا تعتقد أن باستطاعتها ابتلاعَ أي شيء دون الشعور بالغثيان. تحسُّ بنفسها متسخة، وغير نظيفة. ينبض رأسها بالألم وبعينيها حُرقة. تتساءل إذا ما سيلازمها هذا الشعور لبقية حياتها. *هل ستقضي ما بقي من حياتها في السجن؟*

يلحُّ عليها كالفن قائلًا: «تحتاجين إلى كامل انتباهكِ، يا كارين».

تسأله مجددًا: «أين توم؟».

إنها الساعة التاسعة، ستُستدعى إلى المحكمة هذا الصباح. لماذا لم يحضر بعد؟ يُشعرها غيابه أنه تخلَّى عنها. لا تظن أنها قد تتحمل ما يحدث، دون وجوده بجانبها.

يقول كالفن: «إنني متأكد من أنه سيأتي. لا بد أنه عالق في زحمة السير».

تمدُّ يدها إلى كوب القهوة، مطيعة لأمر محاميها. بات مصيرها يعتمد على ما في وسعِ المحامي فعله دفاعًا عنها.

يقول كالفن: «إن الأدلة المقدمة ضدكِ كلها ظرفية، بمعنى أنه لا يوجد دليل مباشر -لا مسدس عليه بصماتكِ، ولا أثر لكِ في مسرح الواقعة- ولا شهود عيان على ارتكاب الجريمة. حسب علمنا حتى الآن، على الأقل. ربما تجد الشرطة شهودًا. كما أن آثار إطارات السيارة ليس دليلًا قاطعًا. لم يزل القفاز تحت الفحص في المختبر دون الوصول إلى الحمض النووي بعد. إن المعمل الجنائي متخم بالأعمال، لكنهم سيستأنفون الفحص. من المرجح أنهم سيتعرفون الحمض النووي. سأبذل أقصى ما بوسعي لإثبات أنهم لم يتوصلوا إلى أي شيء بعد. لكن يظل احتمال إثباتهم أن القفاز ملك لكِ قائمًا، وفي هذه الحالة، قد تواجهنا معضلة كبيرة».

تقول في عناد: «لا أعتقد أنني قتلته».

يسكت بضع لحظات. ثم يتابع بحذر، كما لو يخشى إحباطها: «إذن علينا أن نحاول معرفة مَن فعلها، أي نتوصل إلى فرضية بديلة معقولة. لأنه، حتى في حال أنكِ قتلته، لا يُمكن إدانتكِ ما لم تتمكن الشرطة من تقديم فرضية تثبت التهمة بما لا يدع مجالًا لشكٍّ معقول. وهنا تأتي مهمتنا، وهي التمهيد لذلك الشك المعقول. علينا أن نتوصل إلى فرضية ذات مصداقية عن مَنْ قد يقتله، غيرك».

- لا أعلم. هل تزوج من بعدي؟ لأنه لو كانت لديه زوجة أخرى، فعلى الأرجح، لأرادت قتله.

تضحك ضحكة مريرة.

يصرُّ عليها كالفن: «لا، لم يتزوج. لكنكِ ذكرتِ سابقًا أن لديه أعداء».

- لا أعلم. لم أرَه منذ عدة سنوات. اعتقدتُ أنه تورط مع بعض الأشخاص المُريبين، لكنني لا أعرفهم. نَأيتُ بنفسي بعيدًا عن مجال عمله. لم أُرِد أن أتورط في ذلك النوع من الأعمال.

- سأبدأ بحثٌ بعض الأشخاص للتقصي عن جهات اتصاله بذلك المجال، ولنرَ إذا ما أثار غضب أحدهم.

تتطلع إلى الساعة المعلقة على الجدار، وتتساءل مجددًا عن تأخر توم. ينتابها القلق بشأنه. هل يمكنها الاعتماد عليه؟ ربما لا يصدِّقها. ربما يظنُّ أنها خائنة. هل ينوي المجيء؟

يسأل كالفن: «هل رأيتِ أي شخص آخر هناك؟ فكِّري في الأمر. هل سمعتِ أي شيء داخل المطعم؟ هل استشعرتِ وجود شخصٍ ما، يتوارى عن الأنظار؟».

تحاول التركيز.

- لا أعلم. لا أستطيع تذكر كل شيء. لا أتذكر أنني دخلتُ المطعم. ربما استشعرتُ وجود شخص ما. لا بد وأن شخصًا كان بالداخل.

تطرف عيناها. فيما يرتشف كالفن رشفة من كوب قهوته الورقي السميك.

- ذكرتِ لي قبلًا، أنكِ شعرتِ بزوجكِ السابق في منزلكِ لعدة أسابيع قبل أن تتلقي منه مكالمة هاتفية.

تقول، وهي ترتجف لا إراديًّا: «هذا صحيح، إنني واثقة من ذلك. عندما أفكر في ذلك الأمر الآن.. أجد أنه ما يزال يزعجني. أتساءل إذا ما سينتهي خوفي منه، رغم معرفتي بأنه...».

- هل ما زلتِ تحتفظين بالصور على هاتفكِ؟ تلك الصور التي التقطها للمنزل كل صباح قبل ذهابكِ إلى العمل؟

- أجل، أعتقد ذلك.

- حسنٌ. تُبين هذه الصور أنكِ عانيتِ حالة ذهنية معينة، حيث ظننتِ أنه يطاردكِ خلسةً في منزلك، وانتابكِ خوف مميت. يجب أن نحفظ تلك الصور في مأمن، في حال احتجنا إليها.

تسأله، في نبرة تشككٍ قلقة: «إنما، أليس ذلك تصورًا أسوأ بشأني؟ إذا اعتقدتُ بأنه وجدني، واقتحم منزلي، ليطاردني خلسة، ألا يبدو ذلك سببًا محتملًا دفعني إلى قتله؟».

يقول المحامي: «بلى».

ثم يمسك عن الكلام هنيهةً.

- ومع ذلك قد يمنحكِ سببًا دفاعيًّا، إذا تمكنا من إثبات أنه دخل إلى منزلك.

يدون كالفن ملاحظة في دفتره.

- نحتاج إلى رفع البصمات. سأعمل على إنجاز ذلك.

تتطلع إليه بذعر دون قول شيء. تعرف مدى سوء وضعها. لن يصدِّقها أحد. ولا حتى محاميها يصدِّقها. أما زوجها فلا تدري ماذا يعتقد بها.

تسمع جلبة بالخارج، في الممر، فتلتفت بسرعة. يُفتح الباب، ويدعو أحد الحراس توم للدخول إلى غرفة المقابلات.

يخالجها ارتياح كبير. ترغب في سؤاله عما استأخره كل هذا الوقت بحق الجحيم، لكن نظرة واحدة عليه، كافية لتسكتها. يبدو في حالة مزرية، رغم أنها هي من قضت ليلة كاملة في الحجز. يجتاحها استياء شديد. تريده أن يستجمع شتات نفسه؛ لا تقدر على مواجهة هذا الوضع بمفردها. إنما تظل صامتة، تراقبه من كثب.

يسرع القول، ووجهه يتضرج بحمرة الخجل: «إنني آسف، أطلتُ النوم، لم أستطع النوم حتى وقت متأخر، وعندما غفلتُ...».

تنقطع أنفاسه. ومن ثم يخبره كالفن: «ستمتثل أمام المحكمة بعد قليل».

يومئ توم، كما لو أنه أمر طبيعي تمامًا أن تُستدعى زوجته أمام المحكمة بتهمة القتل.

تريد كارين لو تهز كتفيه ليفيق. يبدو أنه.. مشتتٌ للغاية.

تسأل ناظرة إلى كالفن: «هل يمكننا الانفراد للحظة؟».

يلقي المحامي نظرة خاطفة على ساعة يده، ويقول: «بالطبع، لدينا بعض الوقت».

ينهض عن كرسيه، محدثًا صريرًا، ويخرج، تاركهما بمفردهما.

تنهض كارين وتخطو مقتربة من توم. تلتقي أعينهما. وتبادر إلى قطع صمتهما.

- تبدو بحال مزرية. إنك لست على ما يرام مطلقًا.

ينكسر بقولها التوتر المشحون، ويبتسم كلاهما قليلًا.

تقول: «لا أعتقد أن كالفن يصدقني، يا توم».

تدفعه إلى الحديث. تدرك أنه لا يهمها حقًّا كيف يراها المحامي؛ إن وظيفته الدفاع عنها على أي حال. إنما تريد أن تسمع توم يخبرها أنه يصدقها. تحتاج إلى سماع ذلك منه.

- لا أعتقد أنه في مقدرتي قتله، يا توم، وإذا لم تصدقني...

يتقدم نحوها ويأخذها بين ذراعيه ويعانقها بقوة، فيما تدفن وجهها في صدره، وتجهش بالبكاء.

- شششش، بالطبع أصدِّقك.

كم هو شعور مريح أن يحتوِيَها بين ذراعيه، وتسمعه يعترف بذلك. على الرغم من أنها ترتجف دون إرادة منها. وبغتة، تسيطر عليها رهبة الوضع الذي هي بصدد مواجهته.

الفصل السادس والثلاثون

في الجهة المقابلة للمنزل رقم 24، دوجوود درايف، لا يوجد أحد بجوار النافذة الكبيرة العريضة. لا يجلس أحد للمراقبة اليوم.

لدى بريدجيت أمور أخرى لتهتم بها. فقد كانت الليلة الماضية.. كانت الليلة الماضية بداية نشوء حياة جديدة من أجلها. تشعر كما لو ستطير من فرط سعادتها.

وإذا تعين على أحد غيرها أن يعاني حتى تنال سعادتها، إذا اضطر أحد إلى المكوث في السجن لبقية حياته، فعلى أي حال، هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور. فما الحياة إلا لعبة تتساوى فيها كَفَّتَا المكسب والخسارة.

تعود بريدجيت بذاكرتها إلى ذلك اليوم الذي بدأت منه كل الأحداث، ذلك اليوم الذي بدَّل كل الأحوال. ابتدأ اليوم مثله مثل أي يوم آخر في طريق دوجوود درايف الخاملة. حينما كانت تنهي بعض الأعمال المنزلية البسيطة، وتلقي نظرة خاطفة إلى الخارج من حين لآخر، لاحظت رجلًا غريبًا يحوم حول منزل آل كروب. أوقفت المكنسة الكهربائية وراقبته. صعد الدرجات الأمامية واختلس النظر من النافذة أعلى الباب الخشبي. لكنها لاحظت أنه لم يطرق الباب أو يقرع الجرس. بدا أن لديه علمًا أن لا أحد في المنزل. كما لم تكن هناك سيارة في الممر. ثم، دار حول المنزل. مما أثار فضول بريدجيت واستياءها. أرادت أن تعرف من هو ذلك الرجل ولماذا يحوم بالجوار.

أخذت قفاز البستنة على عجل واتجهت إلى حافة الحديقة الأمامية لإزالة الحشائش الضارة ومراقبة الرجل الذي يتطفل حول منزل آل كروب. عندما

ظهر ثانية عند مقدمة المنزل، نهضت ونظرت إليه. لوَّح لها بأسلوب ودِّي، ثم خطا نحوها ليتحدث معها.

قال دون تكلف: «مرحبًا».

ردت بريدجيت بنبرة لبقة: «مرحبًا».

لم تقصد أن تستحوذ على إعجاب رجل ذي ابتسامة لطيفة ومظهر أنيق؛ أرادت أن تعرف من هو ذلك الرجل. ربما كان محقق تأمين أو في وظيفة من ذلك القبيل، ولذلك لديه سبب مقبول تمامًا ليتحقق من ممتلكات آل كروب. إنما لم يبدُ أنه محقق تأمين.

سألها بالإشارة إلى منزلها القابع خلفها: «هل تسكنين هنا؟».

قالت: «أجل».

قال مشيرًا برأسه نحو المنزل المقابل: «لا بد أنكِ تعرفين جيرانكِ على الجهة الأخرى».

أومأت بحذر.

أخبرها: «أنا صديق قديم للزوجة».

علقت بريدجيت، غير واثقة من صدقه: «أوه فهمت. من أين تعرفان بعضكما؟».

نظر إليها، وقد اختفت بشاشة وجهه، ولاح بعينه وميض غريب.

- من حياة أخرى.

ثم لوَّح لها بازدراء، وابتعد بسرعة.

شعرت بعدم الارتياح إزاء تصرف الرجل. وبمجرد أن ذهب عادت إلى المنزل، تتفكر في أمر تلك الصداقة الغريبة. مما دفعها إلى التساؤل بشأن كارين. لا تتحدث فيما يخص حياتها قبل معرفة توم، فيما عدا أنها جاءت من ولاية ويسكونسن، وأن لا عائلة لديها. كما أنها لا تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي مطلقًا. لم تجد لها حسابًا على الإنترنت، ولا حتى حسابًا على الفيسبوك. لدى الجميع حسابات على الفيسبوك.

تذكرت بريدجيت اسم كارين قبل الزواج عندما كانت وتوم يتواعدان. غيَّرت كارين اسم عائلتها إلى كروب بعد الزفاف. حينها ولجت بريدجيت إلى حاسوبها، وبحثت في محرك جوجل عن كارين فيرفيلد، ولم تحصل على

أي نتائج. لم يفاجئْها الأمر. لكن كلما فكرت في ذلك الرجل، وفي تعليقه، من حياة أخرى، ازداد فضولها. هكذا انجذبت بريدجيت إلى خوادم الإنترنت الخفية، وبدأت بالبحث عن كيفية اختفاء أشخاص وظهورهم في حياة جديدة بهويات أخرى. لم يمضِ وقت طويل حتى ساورها الشك -حتى تقنع نفسها- أن كارين قد لا تكون المرأة التي تدَّعي. لهذا، اتصلت بتوم في مكتبه ورتبت موعدًا لمقابلته في مساء اليوم نفسه. أرادت أن تخبره عن الرجل الغريب وشكوكها حول كارين.

لكن في تلك الليلة، عندما استعدت للخروج لمقابلة توم في مكانهما القديم عند ضفة النهر، رأت كارين تندفع خارجة من المنزل على عجلة من أمرها. وبسبب زيارة الرجل المريبة في نهار ذلك اليوم، تبعتها بريدجيت. بمكنها مقابلة توم لاحقًا.

ورأت هناك ما رأت. أما الآن، فقد تغير كل شيء.

تفكر فيما حدث مع توم الليلة الماضية، والخدر الدافئ الذي تسلل ببطء داخلها حتى غمر جسدها كله. كم اشتاقت إليه! لم تدرك مدى اشتياقها، إلى أن قبَّلته مجددًا.

كانت تلك القبلة -الحميمية الساحرة- مفعمة بكل المشاعر والذكريات المبهجة، وإحساسها بملمس شفتيه كما تذكره. سرت قشعريرة متدفقة من النشوة بجسدها. جعلتها تلك القبلة عاجزة عن التنفس، وأحيت كل ما كان بينهما، فيما مضى. ما أن توقفا، حتى انتزع نفسه بعيدًا، متطلعًا إليها. رأت أنه مأخوذ بتلك القبلة مثلما تشعر تمامًا.

عندها، أخذته من يده وقادته إلى الطابق العلوي، إلى غرفة النوم، حيث ناما معًا في سرير كارين. إنه السرير نفسه الذي عاشرها فيه، قبل أن تنتقل كارين إلى المنزل، تلك الفاجرة الماكرة.

تتذكر كيف مارسا الحب بِنَهَمٍ الليلة الماضية، مما جعلها تشعر بالتوهج من جديد. وكيف انتابها، فيما بعد، شعور بالسيطرة، والدهاء. اتَّكأت على مرفقها، وتطلعت إلى توم المستلقي مستكينًا إلى جانبها. مررت أصابعها ببطء على بشرته، وقالت: «لا تريدني أن أخبر الشرطة بما رأيت، أليس كذلك؟».

نظر إليها بخوف.

- بلى.

يجول ببالها، بهذه اللحظة، أنه لم يخيب ظنها بشأن علاقتها بتوم. لقد وقع في حبها مرة، وهي على ثقة أنه سيحبها مرة أخرى، سيرضخ لها مرة أخرى، كما فعل من قبل. بات يعرف توم ما اقترفته كارين، وأنها قاتلة، وبريدجيت هي من رأتها، وأخبرته.

وعدت توم بأنها لن تبلغ الشرطة بما رأت.

إنما لديها خطة.

لا مجال للعودة إلى الوراء.

ستؤول كل الأمور إلى صالحها.

***

تهتز أوصال توم مع انتهاء جلسة الاستماع. كان الوضع صاخبًا وجنونيًّا في قاعة المحكمة، لدرجة صعب معها سماع أي شيء، كما جرت الأمور أمامه بسرعة كبيرة. توقع أن يبدو الوضع أكثر جدية وأسهل في متابعة الإجراءات. ذهبت كارين لتجلس في المقدمة بجوار جاك كالفن عندما استُدعِيَت للمثول. وجلس توم في مقاعد الجمهور، في مؤخرة القاعة، على المقعد الوحيد الشاغر، الذي أمكنه الحصول عليه. لم يرَ غير ظهر كارين من بعيد. جعله اتساع قاعة المحكمة والضجيج من حوله، يشعر أنه ضئيل ومقهور، وجاهد لينصت السمع.

سرعان ما انتهت الجلسة، ثم جاء الحراس لاصطحابها، فنهض عن مقعده. التفتت ناظرة إليه، مرتعبة، وهم يقودونها إلى خارج قاعة المحكمة. جلس ثانية مستندًا بظهره إلى مقعده، مذهولًا، ولا يدري ماذا يفعل. عندها، رآه كالفن واقترب منه.

قال له: «يمكنك العودة إلى المنزل حاليًّا. سينقلونها إلى سجن المقاطعة. ويمكنك زيارتها هناك في وقت لاحق من اليوم».

لذلك عاد إلى المنزل. لا يعرف ما يفعله غير ذلك. ومن ثم، سيدَّعي المرض إلى أجل غير مسمى. يعلم أن لا أحد سيصدق أنه مريض، بمجرد أن ينتشر الخبر.

يصعد إلى غرفة النوم، ويحدّق إلى أغطية السرير المجعدة في ارتياع. ما كان يُفترض به النوم مع بريدجيت مجدَّدًا قط. كيف سمح لذلك أن يحدث؟

يعرف لِمَ فعل هذا. لقد شعر بوحدة شديدة، وشرب حتى ثمل. وهي تعاطفت معه، وكانت جاذبيتها لا تُقاوم، وبينهما علاقة قديمة. لكنها بعد ذلك، أفهمته بوضوح أن النوم معها هو ثمن صمتها.

يعتريه الإعياء والخوف. ماذا لو أنها تكذب؟ ماذا لو أنها لم تذهب إلى هناك على الإطلاق؟ في كلتا الحالتين، ستخدعه بأي طريقة حتى تعود إلى جواره على هذا السرير. ماذا لو زارت كارين في السجن وأخبرتها بما حدث؟ ماذا لو أنه أخبر كارين بنفسه أنه نام معها ليحميها من بريدجيت، فهل ستصدقه؟

ينتزع الأغطية بغتةً من على السرير في حنق، ويُلقِي بها متكورة على أرضية الغرفة. سيضعها في غسالة الملابس ويمحي أي أثر لبريدجيت من سريرهما.

إنما التخلص من بريدجيت نفسها، لن يتحقق بهذه البساطة.

***

يذهب جاك كالفن في رحلة طيران عاجلة إلى لاس فيجاس، بولاية نيفادا، لزيارة مركز الاستشارات للنساء المعنَّفات، الذي ترددت عليه كارين عندما كانت متزوجة من روبرت ترينور. تحقق، أنه ما يزال مفتوحًا هناك. وجد عدة أشخاص يتذكرونها، وهم يتوقعون زيارته. كما عيَّن محققًا خاصًّا في لاس فيجاس لمعرفة شركاء روبرت ترينور في إدارة أعماله. ربما يظهر أمر غير متوقع، لكنه لا يأمل أن يجد شيئًا بهذا الخصوص.

ما إن يصل، يستقل سيارة أجرة إلى المدينة. سرعان ما يحدد موقع مركز الأذرع المفتوحة لإيواء ودعم النساء. يبدو المبنى متهالكًا بعض الشيء، ومع ذلك يبدو صامدًا في محاولة جادة لتوفير مكان مبهج ودافئ ومرحِّب، وثمَّة رسومات أطفال في كل أرجائه.

يتوجه إلى مكتب الاستعلام. وسرعان ما تخرج مديرة المركز لاستقباله وتقوده عائدة إلى مكتبها.

تقول مشيرة إليه بالجلوس: «أنا تيريزا ولتشاك».

يقول: «وأنا جاك كالفن. كما أخبرتكِ على الهاتف، وجئت بالنيابة عن امرأة، تعيش حاليًا في ولاية نيويورك، اعتادت تلقي الاستشارة هنا، منذ ثلاث أو أربع سنوات ماضية. تُدعى جورجينا ترينور».

تومئ له.

- هل يمكنني الاطلاع على بطاقة تعريفك؟

- أجل، بالطبع.

يخرج بطاقة هويته، ويفتح حقيبته ليسلمها خطابًا يفيد بأن جورجينا ترينور تمنحه الموافقة على الإفصاح عن معلومات تخصها لمحاميها، جاك كالفن.

ترفع نظارتها لأعلى أنفها، وتقرأ. ثم تومئ بلطف.

- كيف يمكنني مساعدتك؟

- إن موكلتي، جورجينا ترينور، اتُّهِمت بجريمة قتل زوجها، روبرت ترينور.

تتطلع إليه تيريزا وتومئ في فتور.

- ويجب أن تبرر أفعالها أمام القانون.

- إنها متهمة بقتل رجل. لا يريد القانون سوى تحقيق العدالة. إذا ما ثبت صدق أقوالها، لا أعتقد أن هيئة المحلفين ستواجه صعوبة لتفهُّم ما حدث من وجهة نظرها، وأنها خافت أن تتحطم حياتها.

- إن المستشارة التي قابلتها موكلتك بصورة منتظمة هي امرأة تُدعى ستايسي هاول. دعني أستدعيها لمقابلتك.

بعدها بقليل، يلتقي كالفن بالمستشارة في مكتب صغير خاص. تبدو ستايسي امرأة سمراء جدِّية ذات صوت رَخيم، تحمل ملف جورجينا ترينور معها، وتفتحه، فور اطلاعها على الخطاب.

- أتذكرها بالتأكيد. بإمكانك أن تظن عكس ذلك، نظرًا إلى مقابلتي العديد من النساء، ممن لديهن نفس القصة الحزينة، لكني أتذكرها. كما أن اسم جورجينا ليس شائعًا. ولقد أحببتها حقًّا. ترددت على زيارتي لمدة عام تقريبًا.

- كيف رأيتِ حالتها؟

- مثل جميع النساء الأخريات اللائي يأتينَ إلى هنا، خائفة حتى الموت، أعتذر لصراحتي. إنما لا أحد يهتم بما تمر به هؤلاء النساء. كان الرجل

الذي تزوجته نذلًا حقيرًا. شعرت أنها محاصرة. وإذا أخبرتْ أي شخص غيرنا بما سببه لها، لن يصدقها.

- إذن، ماذا أخبرتِها؟ هل قلتِ لها أن تتركه؟

- ليست المسألة بهذه البساطة. لدينا نساء يعشن هنا من أجل حمايتهن. ومن الصعب تقديم الدعم الكافي لهن. حيث إن قوانين منع التعرض لا تبدو ذات فائدة في بعض الحالات.

تتنهد في إحباط.

- قلتُ لها إن بيدها وسيلة للضغط عليه. فزوجها لديه عمل مربح. لذلك أخبرتها إذا أرادت أن تتركه، فيمكنها الحصول على أمر بعدم التعرض، وتهدده أنها ستتندد بسلوكه معها. في بعض الأحيان، ينجح أمر التهديد بالتشهير. لكنها كانت مرتعبة للغاية.

يومئ كالفن.

- وذات يوم لم تحضر في موعدها. سمعنا أنها قفزت من أعلى جسر سدِّ هوفر. ولم يُعثر على جثتها. علمتُ ذلك من خبر بالجريدة.

تهزُّ رأسها بحزن، متذكرة.

- اعتقدتُ أنه هو من قتلها بلا شك، وحاول أن يبدو موتها انتحارًا.

- هل أبلغتِ الشرطة بذلك؟

- فعلتُ بالطبع. حققوا في أمره، ووجدوا أن لديه حجة غياب مؤكدة. رآه الكثير من الناس طوال ذلك اليوم، في أثناء انشغاله بعمله. فاستُبعِد البلاغ.

يقول كالفن مشيرًا إلى الخطاب: «لكنه لم يقتلها».

- لا، استطاعت الفرار منه بالنهاية. وهذا لمصلحتها.

- إنما وُجِّه لها اتهامٌ بالقتل.

تُطلق ستايسي متفاجئة: «هل قتَلته؟».

تنفثُ الهواء بقوة من أنفها.

- نال ما يستحقه ذلك النذل.

ثم تنظر إليه في أسًى قائلة: «وماذا حلَّ بها؟».

الفصل السابع والثلاثون

إن المحقق رازباك واثق تمام الثقة أنه من الآن فصاعدًا، ستأخذ قضية كروب منحنًى أكثر وضوحًا. فالأمر أشبه بحل أُحجِيَّة، صعبة في أولها، ولكن بمجرد تكوين الخطوط الخارجية، تبدأ جميع القطع باتخاذ أماكنها الصحيحة. يتضح أمامه أن كارين كروب قاتلة. رغم شعوره بالأسف تجاهها. يعتقد أنه، لو اختلفت الظروف، لما اضطرتْ إلى قتل أحد. لو لم تقابل روبرت ترينور بحياتها قط، على سبيل المثال.

لقد اكتشفا الطريقة التي تمكن من خلالها ترينور من تعقب زوجته. أجريا فحصًا على حاسوبه، الذي أرسلته شرطة لاس فيجاس. لقد اتبع ترينور بحثًا منهجيًّا على مواقع الويب الخاصة بشركات المحاسبة وإدارة الحسابات في جميع أنحاء البلاد، داخل الولايات المتحدة. ووَضَع إشارة مرجعية على الموقع الإلكتروني لشركة «سيمبسون وميريت» ومديرها توم كروب. وها هي تقف في صورة الخلفية، في حفل بعيد الميلاد في المكتب، وإلى جانبها يقف توم كروب، الذي لديه ملف تعريفي على نفس الموقع.

يدور ببال رازباك، أن الاختفاء التام أمر شديد الصعوبة حقًّا.

يتساءل عن السبب الذي من أجله بذل ترينور كل ذلك الجهد للعثور عليها. من الواضح أنه لم يقتنع بمسألة انتحارها، ربما لأن جثتها لم يُعثر عليها.

يرى أن بين يديه قضية محكمة جاهزة للعرض أمام المدعية العامة. تعتبر الأدلة المادية ليست قاطعة بعد، غير أن ظروف الجريمة مُقنعة. وعلى

الرغم من البحث الدؤوب في المباني السكنية والمحلات التجارية في المنطقة المحيطة، لم تتمكن الشرطة من العثور على أي شهود على الجريمة.

تخطر بذهنه المقابلة غير المثمرة مع كارين كروب، متذكرًا رعبها البادي عليها. يشعر بالأسف لحال توم كروب كذلك. بينما لا يخالجه ذرة أسفٍ على روبرت ترينور.

يطرق المحقق جينينجز الباب المفتوح ويدخل مكتب رازباك. يحمل حقيبة ورقية بها شطائر ملفوفة. يناوله إحداها، ويجلس، قائلًا: «تلقينا نصيحة من شخص ما بشأن قضية كارين كروب».

يعلق رازباك ساخرًا: «نصيحة!».

يلقي نظرة على صفحة الجريدة المفتوحة على مكتبه.

ربة منزل محلية، تُدعى كارين كروب، أُلقِيَ القبض عليها، بتهمة قتل رجل مجهول الهوية في مطعم مهجور يقع بشارع هوفمان. واكتُشِف بعدها هوية ذلك الرجل باسم روبرت ترينور، من لاس فيجاس، ولاية نيفادا. ولم تُعلن أي تفاصيل أخرى حتى الوقت الحالي.

يمتنع كلٌّ من كارين وتوم كروب عن الحديث إلى الصحافة، كما صرَّحت الشرطة في بيان رسمي بعد اعتقال كارين، عن أسماء الأشخاص المعنيين، دون ذكر أي تفاصيل أخرى. إنما لا يحدث كل يوم أن تتورط ربة منزل، محترمة وفاتنة، تسكن بضاحية راقية، في جريمة قتل. ستنجذب كل الصحف لخبر من ذلك النوع. لكن لا أحد يعرف، حتى اللحظة، أن كارين كروب لها هوية حقيقية أخرى، أو أنها زوَّرت موتها، أو سبق لها الزواج من الضحية.

يقول المحقق جينينجز، متابعًا نظرة رازباك إلى الجريدة: «بالضبط. هناك الكثير من المهووسين بتلك القضايا. من المرجح أن تبدأ المكالمات الهاتفية بالتدفق بغزارة قريبًا».

- من هو القائل بتلك النصيحة؟

- بل هي.

- وهل تركتْ اسمًا؟

- لا.

يقول رازباك: «لا يتركون اسمًا بالعادة».

ينتهي جينينجز من مضغ قضمة كبيرة من شطيرته ويبتلعها.

- قالت إنه يجب علينا تفتيش ممتلكات آل كروب للبحث عن سلاح الجريمة.

يرفع رازباك حاجبيه ويلوِّح بشطيرته في الهواء.

- أطلقت كارين كروب النار على الرجل، ثم ذعرت، وهربت. لم نجد المسدس في مسرح الجريمة، ولم نجده في السيارة. إذن، أين المسدس؟ يا حَبَّذا لو حصلنا على المسدس، وتمكنا من إثبات أنه الذي قُتل به الضحية، وتمكنا من إثبات أنه يعود إلى كارين كروب. ولكن لو أنها أخذت المسدس معها عندما غادرت مسرح الجريمة، فهي إما خبأته في مكان قريب –وهذا احتمال غير وارد نظرًا إلى الذعر الشديد الذي انتابها، وحينها لوجدناه- وإما ألقته من نافذة السيارة. وحينها، بعد خروجها من المشفى، قد تعود لتلتقطه أو تبحث عنه، وتخبئه في منزلها. لا أدرى أين، ربما في درج ملابسها الداخلية.

يزيل اللفافة عن شطيرته.

- وذلك تصرف شديد الغباء. وهي ليست امرأة غبية مطلقًا.

- أجل، ذلك التصرف لا يشبهها.

- لا أعتقد أننا بحاجة إلى أي نصيحة من العامة لحلِّ هذه القضية.

يتوقف رازباك عن الكلام، ويقضم شطيرة سلطة التونة الملفوفة بخبز القمح الكامل.

***

في وقت لاحق من بعد ظهر اليوم، يذهب توم لزيارة كارين في سجن المقاطعة.

يقف بجوار سيارته في موقف السيارات هنيهةً، محدقًا بقلق إلى واجهة المبنى الضخم المُشيد بالطوب. لا يريد أن يخطُوَ إلى الداخل. لكن يفكر في كارين ويشدُّ همته. إذا بإمكانها النجاة هنا، يمكنه أن يتظاهر بالشجاعة، عند زيارتها، على الأقل.

يشق طريقه نحو الأبواب الأمامية للسجن، متجاوزًا الحراس، ومتوجهًا إلى مكتب الأمن. يجب أن يعتاد كل هذه الحواجز -الأبواب والحراس والإجراءات

والتفتيش- من أجل التحدث مع زوجته. يتساءل عن حالها. هل ستصمد أم ستضطرب حالتها؟ وعندما يسألها، هل ستخبره حقيقة شعورها، أم ستحاول أن تجنبه القلق وتخبرها أنها تتدبر أمورها جيدًا؟

سيقابلها أخيرًا، في غرفة واسعة ملأى بالطاولات. يلمحها على الفور، ويجلس في الكرسي المقابل لها، تحت أعين الحراس اليقظة عند مقدمة الغرفة. هنالك زيارات أخرى حولها، على طاولات أخرى، وإذا حافظا على أصواتهما خافتة، فقد تتوفر لهما خصوصية كافية للتحدث معًا.

يقول وصوته يتقطع عند مرآها: «كارين...».

تترقرق عيناه بالدمع على الفور، فيفركها سريعًا، محاولًا أن تنعكس منهما ابتسامة.

تنهمر الدموع على وجهها، وتبتلع ريقها.

- توم! إنني سعيدة للغاية بقدومك. اعتقدتُك لن تأتي.

يقول توم جاهدًا: «لا بالطبع، ها أنا ذا! سآتي لزيارتكِ دائمًا كلما استطعت، يا كارين. أعدكِ. حتى نخرجكِ من هذا المكان».

يسيطر عليه إحساس بالذنب والخجل مما فعله مع بريدجيت، بينما كارين في السجن.

تقول: «أنا خائفة، يا توم».

يبدو أنها لم تنَم على الإطلاق، وشعرها غير مغسول. وكما لو تنتبه لنظرته إليها، تقول: «لا يمكنني الاستحمام هنا وقتما أريد، كما ترى».

يسألها يائسًا، مغلوبًا على أمره: «هل هناك ما أستطيع فعله؟ هل يمكنني أن أحضر لكِ أي شيء؟».

- لا أعتقد أنه مسموح لك بذلك.

هذا أكثر من كافٍ ليجعله ينهار. يجب أن يكبح رغبته في البكاء. دومًا ما أحبَّ أن يجلب لها الهدايا -الشوكولاتة والزهور. لا يحتمل التفكير في المدة التي ستقضيها هنا في ذلك التقشف؛ دومًا ما أحبَّت التأنق. لا تناسبها حياة السجن. ولا يناسب أي أحد.

- سأجد طريقة، اطمئني.

تميل برأسها نحوه.

- لا تحزن، لن أمكث هنا طويلًا. هكذا يقول المحامي.

يشك توم في أن كالفن قد يُقدم على قول مثل تلك العبارات المطمئنة، إنه يتظاهر بذلك تاركًا الجميع يعتقد أنها ستخرج قريبًا. وكأن عليهما البقاء صامدين فقط. إنما لديه أمر يجب أن يطلعها عليه.

يقول بحذر، وبنبرة خافتة: «تحدثتُ إلى بريدجيت الليلة الماضية، يا كارين».

تردد متفاجئة: «بريدجيت؟».

يأمل ألا تلاحظ الحمرة الطفيفة الذي يشعر أنها تلوِّن وجهه. ألا تلمح ذنبه. يطرق لأسفل للحظة، متحاشيًا عينيها، ثم ينظر إليها ثانية.

- أجل. جاءت لتتحدث معكِ. لم تعرف أنه قُبض عليكِ.

- حسنٌ.

- لكنها أخبرتني بأمر ما.

تقول كارين، بنبرة خافتة بدورها، لكن ممزوجة بالحذر: «وما هو؟».

- قالت إنها في ليلة الحادثة، رأتكِ تخرجين من المنزل.

يمعن النظر بعيني زوجته الجميلتين، الكاذبتين، محافظًا على صوته أشد خفوتًا.

- أخبرتني أنها تبعتكِ ليلتها.

توليه كامل انتباهها بغتة.

- ماذا؟

- تقول إنها تبعتكِ بسيارتها، وحافظت على مسافة كافية منكِ، حتى لا تلاحظيها.

ما تزال ساكنة في مكانها، فيما يخفق قلبه، وهو يراقب مشاعر متضاربة تتصاعد على وجهها. يفكر في نفسه، *ما قالته بريدجيت، حقيقي إذن.*

- وماذا قالت أيضًا؟

- إنها تبعتكِ حتى أوقفتِ سيارتكِ، وتوقفتْ على الجانب الآخر من الطريق. رأتكِ تذهبين إلى الجزء الخلفي من المطعم. سمعتْ طلقات نارية، ثلاث طلقات. وبعدها، شاهدتكِ تهرولين خارجة من المبنى باتجاه سيارتكِ. كما تقول إنها رأتكِ تنزعين القفاز وتقودين السيارة بسرعة بعيدًا.

لم تنبس زوجته ببنت شفة. من الواضح أنها مصدومة مما سمعت.

يهمس توم: «كارين».

ما تزال صامتة.

يضطرها إلى الانتباه قائلًا: «كارين!».

ويخفض صوته أكثر، ويتطلع حوله غريزيًّا، للتأكد أن لا أحد يسمعهما. لكن مَن يمكنه سماعهما فيما وراء الثرثرة العالية بالغرفة.

- لقد كانت هناك!

- ربما تكذب.

يقول توم بهدوء: «لا أعتقد ذلك. وكيف قد تعرف بأمر القفاز؟».

تسكن كارين وتتسع عيناها. يمكنه أن يرى وريدها يخفق عند عنقها. لا أحد يعرف شيئًا عن ذلك القفاز -باستثناء الشرطة. يهزُّ توم رأسه.

- أعتقد أنها ذهبت إلى هناك، وأعتقد أنها رأتكِ. تقول كذلك أنكِ حملتِ مسدسًا بيدكِ وأنتِ تدخلين، وخرجتِ وبيدكِ القفاز فقط.

تسأله كارين، قابضة يديها على حافة الطاولة: «وماذا فعلتْ بعد ذلك؟».

يقول توم: «دخلت إلى المطعم ورأت الجثة».

يرقب وجهها يمتقع، وشعر بمرارة تتصاعد إلى حلقه.

- ثم ارتعبت وخرجت بأسرع ما أمكنها وعادت إلى المنزل.

يميل إليها مقتربًا بأقصى قدر يجرؤ عليه تحت أعين الحراس الثاقبة، منزعجًا من التعبيرات البادية على وجهها.

- أخبريني الحقيقة، يا كارين. هل حقًّا لا تتذكرين؟

يقولها بلطف وَودٍ. سيغفر لها، لو أنها فقط تخبره الحقيقة. يمكنه أن يرى في نظرتها مدى الذعر الذي اختبرته. وبالتأكيد، يمكن لهيئة المحلفين أن ترى ذلك أيضًا.

تقول كارين، كما لو بالكاد تصدق: «*إنها شاهدة*».

يصرُّ عليها توم، بصوت خفيض للغاية، حتى يصعُب سماعه: «هل قتلته؟».

يتلفت حوله مرة أخرى. لا أحد يوليهما اهتمامًا.

- تستطيعين إخباري، أنا فقط.

تتطلع إليه ثانية، قائلة: «لا أتذكر. لكنني لا أعتقد أن بإمكاني إطلاق النار على أي أحد».

لو يستطيع أن يصدِّقَها. يستند بظهره إلى الوراء في إحباط شديد.

ربما تقدِّر هيئة المحلفين دافعها وراء ما فعلته. رغم ذلك، ستضطر إلى البقاء في السجن لسنوات وسنوات، هذا ما يدور ببال توم على نحو كئيب. هذا ليس عدلًا، عندما يؤول الحال لهذا، والخطأ كله خطأ روبرت ترينور. لو لم يأتِ بحثًا عنها، لو أنه فقط تركها لحالها، لما كانا جالسين هنا الآن، في سجن المقاطعة، مرتعبين، وبائسين.

حتى لو أنها لا تستطيع الاعتراف بالحقيقة له، ربما لا تستطيع حتى الاعتراف لنفسها، ربما ألجمت الحقيقة في عقلها الواعي. يعتقد أنه ما يزال يحبها، هذه المرأة الغريبة، المرتعبة والمغلوبة على أمرها، كارين. لا يمكن أن يدعها تُزجُّ في السجن لبقية حياتها، ويعيش دونها أيامًا ولياليَ وحيدًا، بضنيه التفكير فيها محبوسة في قفص -لا يحتمل تصورها هكذا.

تكرر كارين، متمالكة أعصابها، وتميل نحوه: «إنها شاهدة. حتى لو تمكنت الشرطة من إثبات أن القفاز ملكي، لا يُعد دليلًا كافيًا على قتله. إنه يؤكد وجودي بالمكان فقط. كنت هناك، لكنني...».

تنظر إليه بيأس.

- لو أنني قادرة على قتله، كنت لأفعلها وأنا متزوجة منه، ألا ترى ذلك؟ إذا قالت بريدجيت إنها سمعت طلقات نارية ورأتني أركض بعدها مباشرة، فلا بد أنها كاذبة!

تنظر إليه والخوف يطل من عينيها.

- لماذا قد تكذب؟

يهزُّ توم رأسه ولا ينطق بكلمة. لا يعتقد أن بريدجيت تكذب. بل يرى أن كارين هي من تكذب -أو بالأحرى، لا تعرف حقًّا ما فعلت. ينطق أخيرًا: «لا أعتقد أنها ستخبر أحدًا بأي شيء».

تهمس كارين، ردًّا عليه، ويشوب نبرتها القلق: «وماذا يجعلك متأكدًا لهذه الدرجة؟».

يقول في انزعاج: «إنها صديقتكِ».

- وهل هناك صديقة تختلق كذبة كهذه عن صديقتها؟ ربما تبعتني، ربما ذهبت إلى ذلك المكان. إنما ربما لم تجرِ الأمور على النحو الذي تؤكد أنها رأته.

يمعن توم النظر إليها مغتمًّا. ثم يميل إلى الأمام ثانية ويقول: «علينا أن نحرص ألا يُكتشف قط أنها كانت هناك. لا داعي لأن تعرف الشرطة أنها رأت أي شيء هناك. وبذلك، لن توجد لديهم حجة لاستدعائها شاهدة في القضية. وهي لن تبوح بكلمة».

تقول كارين بنبرة توجس: «أتمنى أن تكون على حق. لكنني لم أعد أثق بها».

لا يثق توم ببريدجيت أيضًا، إنما يرى أنها تقول الحقيقة.

الفصل الثامن والثلاثون

يعاود كارين الارتجاف بعدما يذهب توم. بينما تراه مغادرًا، تشعر كما لو أن آخر رباط بينها وبين العالم الخارجي يتلاشى. وبهذا المكان، تخشى أن تتبدد ذاتها الحقيقية. وفيما تراقبه مبتعدًا، تكاد تصرخ، *لا تتركني هنا!* لكن يقترب منها الحارس، وعليها أن تتمالك نفسها، لأنه إذا لم تفعل، إذا ضعفتْ، فلن تنجُوَ هنا أبدًا.

أخبرها كالفن، أن كل شيء سيجري على ما يرام. في حين، أنها ترى الأمر يزداد صعوبة عليها لتصدقه. يصدمها أن بريدجيت تعقبتها في تلك الليلة. وفجأة تتذكر أنها لمحت شيئًا بزاوية عينها، إزاء السوق التجارية، شيئًا مألوفًا لم تدركه تمامًا وقتها –سيارة بريدجيت. تتذكر الآن. إذن، لماذا لا يمكنها تذكر بقية ما حدث؟ يدفعها ذلك إلى الجنون.

لماذا تبعتها بريدجيت؟ ما هو السبب المحتمل لتقدِم على تصرف كهذا؟ السبب الوحيد المرجح أنها رأت كارين تندفع خارجة من المنزل بتلك السرعة، فاستشعرت أحداثًا درامية، لم تستطع مقاومتها.

يا لحظها العاثر أن بريدجيت تعيش قبالتها.

***

بينما يتجه توم نحو سيارته، يتلقى مكالمة من المكتب. يصيبه الإحباط. لا يحتمل التفكير في العمل. سيضطر إلى إخبارهم أنه يحتاج إلى إجازة لعدة أيام. لم يذهب إلى المكتب منذ إلقاء القبض على كارين قبل يومين، وترك

المكتب حينها على عجل عقب مكالمة جاك كالفن. بالإضافة إلى أن الخبر انتشر في جميع الصحف.

يجيب على مضض.

يقول جيمس ميريت: «مرحبًا توم».

إنه شريك رئيسي في شركة سيمبسون وميريت. لم يعبأ توم بوجوده يومًا.

يقول توم بنفاد صبر: «أجل؟».

يقول ميريت بصوته الرخيم الهادئ، ونبرته الآمرة: «نريدك أن تحضر إلى المكتب».

- الآن؟ لكن.. لكن لدي بعض الأمور التي يجب أن أنتهي من....

- نراك بعد نصف ساعة في غرفة الاجتماعات.

ثم يقطع الاتصال.

- اللعنة!

بالطبع، عرفوا أنه تم القبض على كارين بتهمة القتل. وهذا لن يثير إعجاب العملاء.

يقود سيارته عائدًا إلى المنزل بسرعة، ليرتدي بِذلة مناسبة، ومن ثم يتوجه إلى المكتب. يوقف السيارة في مكانها المعتاد ويمكث مكانه للحظة، يهيِّئ نفسه.

بشعور قوي باعثٍ على التشاؤم، يخرج من السيارة ويتجه داخلًا البناية. يأخذ المصعد إلى غرفة مجلس الإدارة في الطابق الثاني عشر، تلك الغرفة التي نادرًا ما يُدعى إليها.

عندما يخطو إلى الداخل، يرى الشركاء جميعهم جالسين حول طاولة ضخمة، ذات سطح أملس. تتوقف الهمهمات فجأة بطريقة موترة للأعصاب، يفهم توم، أنهم ولا شك يتحدثون بشأنه، وبشأن زوجته.

يقول ميريت، مشيرًا إلى مقعد شاغر: «اجلس، يا توم».

يجلس توم، فيما يجول ببصره في وجوه أعضاء الشركة المتجمعين، بعضهم تلتقي عيناه بأعينهم الفضولية، وبعضهم يتحاشون النظر إليه.

يسأل توم بجرأة: «ما سبب هذا الاجتماع؟».

يردُّ ميريت: «كنا نأمل أن تخبرنا».

يعتريه القلق. إنه لا ينتمي إلى هذا الجمع. ليست لديه خلفية اجتماعية مماثلة. لم ينحدر من عائلة ثرية، ولا يلعب الجولف في نوادٍ للأثرياء. لقد وصل إلى ما وصل إليه لأنه محاسب كفءٌ، ويعمل بإدمان ولم يتذمر قط. ورغم ذلك، لن يجعلوه شريكًا. والآن يستدعونه بهذه الطريقة.

يقول: «إذا كان هذا الاجتماع بخصوص زوجتي، فلا أظن أن من شأنكم التدخل بالأمر».

يقول ميريت: «على العكس، نعتقد أنه من شأننا».

يوجه نظرة فاترة إلى توم. ثم يتابع وهو لا يبدي ما يقول: «يساورنا الأسف لما تواجهه».

يبدو عليه وجميع الشركاء الآخرين الانزعاج الشديد.

- لكننا بطبيعة الحال قلقون بشأن العمل.

تنزلق نظراته نحو الشركاء الآخرين على الطاولة، فيومئ معظمهم بصمت.

يحدِّق توم إلى كل منهم بدوره، في حنق صامت.

يتابع ميريت: «لا شك أنك محاسب ممتاز، يا توم. لكن يجب أن تتفهم موقفنا. علينا أخذ عملائنا، وحساسية عملهم بالاعتبار. أخشى أننا نضطر إلى تعليق عملك دون أجر، لحين سقوط التهم الموجهة ضد زوجتك».

ينتظر حتى يستوعب توم، ثم يضيف: «وبالطبع، لك الحرية في التقدم لفرص في مكان آخر. ومن دواعي سرورنا، أن نمنحك توصية جيدة تشيد بعملك».

يجفل توم على الفور. إنهم يطردونه. ينهض، ودون أن ينبس بكلمة، يخرج من الغرفة ويصفق الباب صفقًا مدويًا خلفه.

يندفع إلى ساحة السيارات في غضب عارم. يحتاج إلى المال من أجل تكاليف قضية كارين، والتي ستفوق الحد. ولا سبيل أمامه غير تسديدها.

***

ترى بريدجيت توم عائدًا إلى المنزل. يخرج من السيارة ويصفق الباب بشدة في ثورة غضب. يصعد الدرجات ويختفي داخل المنزل.

تتسارع دقات قلبها، متسائلة عما حدث.

كلما أسرع في التخلص من كارين، قرَّبها إلى حياته أسرع، وصار أكثر سعادة. هذا ما تؤمن به بريدجيت في أعماق قلبها.

من الرائع، أن كارين ذهبت إلى أبعد مكان، إلى السجن. عندما ذهب توم لزيارتها، تصورت بريدجيت، كم سيجدها مختلفة، بشعر غير مغسول وفي ملابس السجن القبيحة. دومًا ما بدت كارين لافتة للأنظار–بملامحها المثالية وقصة شعرها الجذابة، التي تُظهر عظام وجهها الجميلة. لن تهنأ بهذا الجمال الأخاذ لفترة أطول. تتخيل كم هو ممتع أن تزورها وهي بهذه الحال. تودُّ زيارة كارين في السجن، وترى كيف هي كارين الجديدة، غير الجذابة. كم سيشعرها ذلك بالارتياح. فدومًا ما أحسَّت باستحقاق كارين لما لديها. أما الآن، تستحق بريدجيت الحصول على كل شيء –بما في ذلك توم. ستمتلك كل أغراض كارين اللطيفة، بما في ذلك زوجها. سرعان ما ستفهم كارين ذلك، وحينها لن تقدر على فعل أي شيء، حيال ذلك.

ستنتظر بريدجيت حتى وقت لاحق، حتى يعود بوب إلى المنزل لتناول العشاء ويخرج بعده. حقًّا، لا يأتي ذلك الرجل إلى المنزل إلا للأكل والنوم. لكنها باتت راضية بذلك، ما دام يترك لها الحرية في فعل ما تشاء.

بعد ظهر اليوم، قصَّت شعرها تمامًا مثل قصَّة شعر كارين، وحصلت على تجميل ليديها وقدميها. تعرف أن كارين تهتم بتجميل نفسها بانتظام، أو بالأحرى اعتادت، فلن تقدر على الاستمرار بفعل ذلك. تبتسم بريدجيت عند تخيلها كارين، تحصل على وشوم محلية في السجن بدلًا من ذلك. تعرف حتى صالون الأظفار الذي ترددت عليه كارين وحصلت على قصَّة شعرها، وكارين هي من أخبرتها. بهذه اللحظة، تتأمل نفسها في مرآة حمامها ويعجبها ما تراه. اختفى شعرها البني المتهدل حتى كتفيها، وكثافته المملة. أما القصَّة الجديدة القصيرة، تضيف إليها مظهرًا مختلفًا تمامًا. تحب شعرها الجديد. عندما جلست في مقعد الصالون وشاهدت كُتَلًا من شعرها تتساقط على الأرض، شعرت أن حياتها القديمة، وذاتها القديمة، هي التي تسقط، وكأنها فراشة تنبثق من شرنقتها بعد سبات طويل.

بما أنها ستندس إلى حياة كارين كروب، فعليها إتمام عملها كما يجب. ستصير كل ما يرغب توم أن تكون، وأكثر مما يرغب. ترفع يديها أمام ناظريها، في إعجاب بأظفارها المقلمة باحترافية.

سرعان ما ستعبر الطريق وتقابل توم مرة أخرى. ترتجف من الإثارة. لن يجرؤ على إدارة ظهره لها.

الفصل التاسع والثلاثون

يطل جينينجز برأسه من خلال باب مكتب رازباك مجددًا، في نهاية اليوم. يرفع الأخير رأسه سائلًا: «ما الأمر؟».

- تلقينا مكالمة أخرى بشأن قضية كروب، من المرأة نفسها.

- ثانية؟ ماذا قالت هذه المرة؟

- سألتْ لماذا لم نفتش ممتلكات آل كروب بحثًا عن سلاح الجريمة.

يرجع رازباك ظهره إلى الوراء على مقعده، فيما يجلس جينينجز في مقعده المعتاد، في الجهة الأخرى.

- إذن، فهي تعلم أننا لم نذهب للبحث. لا بد أنها تبقي المنزل تحت ناظريها. ربما، هي جارة قريبة.

- هذا صحيح. لم أكن لأزعجك بهذا الشأن، لولا أنها أضافت إلى قولها أمرًا مثيرًا للارتياب.

يسأله رازباك بحدة: «ماذا؟».

- سألتْ ما إذا عثرنا على القفاز.

يميل رازباك إلى الأمام بانتباه.

- لا أحد يعرف بأمره.

لا يعرف أحد فيما عدا الشرطة، وكارين، وتوم كروب. ولم يُذكر شيءٌ عن القفاز في الصحف.

- إنما هذه المرأة تعرف.

يقول رازباك: «محتمل أننا حصلنا على شاهدة، أو على الأقل، شخص لديه علم بشيء».

تجتاحه بعض الإثارة الناتجة عن اندفاع الأدرينالين.

- لا يُعقل أن كارين كروب أعادت سلاح الجريمة إلى منزلها. ناقشنا هذه المسألة في وقت سابق من اليوم. لم يكن في السيارة عندما اصطدمت بها، ولو أنها أخفته، أو ألقته من النافذة، لوجدناه.

يقترح جينينجز: «ربما هي ليست الوحيدة التي ذهبت إلى هناك. محتمل أنه دخل شخص آخر، والتقط المسدس».

يتطلع إليه رازباك، ويومئ له.

- هذا صحيح. من الأفضل أن نجهز مذكِّرة.

***

إن أسوأ ما يواجه توم، من وجهة نظره، أنه لم يعد بإمكانه التحدث إلى كارين متى يشاء. لم يدرك قبلًا مدى تعوده على سماع صوتها على مدار اليوم، وعلى رسائل البريد الإلكتروني، والنصوص التي يتبادلونها. كانت دائمًا حوله. والآن، لم تعد. يستطيع التحدث معها عندما تستخدم هاتف السجن، ولا يعرف متى أو كم مرة مسموح لها بهذا. ومع ذلك، لن يقدرا على قول الكثير لبعضهما. يمكنه زيارتها خلال مواقيت الزيارة فقط.

لقد أُبعدت عنه. ما مدى ملاءمة هذا الوصف.

وبقي هو وحده في المنزل. يشعر كأنما سيفقد عقله -لكن لا بد وأن الحال أكثر صعوبة بالنسبة إليها. إنها محاصرة هناك مثل حيوان بقفص، مع أناس كثيرين، يختلفون عنها، أناس ارتكبوا أفعالًا سيئة. أما كارين فلم ترتكب أي خطأ، ألم تفعل ما فعلت، من أجل حماية نفسها؟ إنما حتى لو حالفها الحظ، وتعاطفوا معها، ستمكث بالسجن لسنوات، على الأرجح، تعاني خلالها بشدة، حتى لو أن مبرراتها معقولة.

وعندما تخرج بالنهاية.. سيكون كلٌّ منهما قد تغير.

يفكر توم في انزعاج بأمر بريدجيت. يخشى أن تعود. وحينها، لن يقدر على إثارة غضبها.

يتمنى أن كل ما أرادته هو ليلة واحدة، من أجل الأيام الخوالي، وبعدها ستمسي سعيدة، وتعود إلى زوجها. وكأن تفكيره فيها جذبها، يسمع نقرًا على الباب، فيقفز فزعًا.

فات الأوان، ليدرك توم أنه وجب عليه قضاء هذه الليلة في أحد الفنادق. أو يذهب إلى منزل أخيه. لا ينبغي أن يبقى هنا، حيث تجده بريدجيت. ينبغي أن يمكث مع أخيه بضعة أيام. يمكن أن يمنعها هذا من المجيء إليه. لكنه لا يدري إذا ما يجرؤ على فعل ذلك، أم أن ذلك كفيلٌ بإغضابها، فتؤذيه أو كارين.

يمكنها أن ترى سيارته في الممر. على مضض، يفتح الباب. إنه مذهول -مرعوب- من مظهرها.

- لقد قصصتِ شعركِ.

يقول ذلك قبل أن يتمكن من إيقاف نفسه.

تسأله في تَدلُّل: «هل يعجبك؟».

إنها تثير اشمئزازه. لقد قصَّت شعرها ليبدُوَ تمامًا مثل شعر كارين. ما خطبها؟ ونبرة صوتها مُنفِّرة للغاية وغير ملائمة في ظل هذه الظروف. قد يقل كرهه لها، إذا جاءت قائلة، نَمْ معي *وإلا سأخبر الشرطة عن زوجتك*. إنما هذا التظاهر بأنهما عاشقان من جديد، يصيبه بالغثيان. يريد لو يصفق الباب في وجهها، ويحكم إغلاق القفل. لن تقدر امرأة أن تحل محل كارين، لا سيما بريدجيت.

تسأل: «ما خطبك؟».

يقول، متعافيًا من ذهوله سريعًا: «لا شيء».

لا يدري كيفية التعامل معها. تتغير حالتها المزاجية بسرعة كبيرة؛ يتذكر تلك السمة فيها، كم هي متقلبة. لا يريد أن ينام معها مرة أخرى. لا يريد أن يلمسها. لا يريد أن يفعل أي شيء لها. يريدها أن تغادر.

تخطو إلى غرفة المعيشة وتستدير لمواجهته، فيما يغلق الباب.

- لِمَ لا تجلب لي شرابًا؟

إذن، تريد أن يعيدا الليلة السابقة، وهو لا يطيق تكرار ما حدث. يشك في قدرته على تلبية رغبتها. ربما هذه هي حجته للتهرب منها. إذا لم يقدر على

إرضائها، ستسخر منه، وتزدريه، ومن ثم، تتركه وشأنه. قد يكون هذا تصرفًا حسنًا، بالنسبة إليه. لكن ماذا لو غضبت منه، وأخبرت الشرطة بما رأت؟

يشعر بالتعرق يدغدغ مؤخرة رقبته، وقلبه يدق بعنف في صدره. يعلم أنه من أوقع نفسه في هذا المأزق، ولا يستطيع إخبار كارين بأي من هذا.

يسمح لكل الإرهاق واليأس الذي يعتريه، أن يجد متنفسًا إلى صوته، قائلًا: «لا أعتقد أنني قادر على فعل شيء الليلة، يا بريدجيت. إنني متعب».

تنظر إليه، فيما تضيق عيناها خائبة الأمل.

يضيف: «كما أنني قلق حقًّا بشأن كارين».

يدرك على الفور أنه ما كان عليه قول ذلك، ويلعن نفسه بصمت، أنه أحمق.

تردُّ بنبرة تظهر استياءها: «عليك أن تتوقف عن القلق بشأن كارين. إنها في السجن. ولا يوجد بيدك ما تفعله من أجلها. غير أن ثلاثتنا، أنت، وهي، وأنا، نعلم أنها قتلت رجلًا. ستُدان على جريمتها. ولن تخرج لفترة طويلة».

ثم تضيف بنبرة أكثر حدة: «وهي تستحق كل ما سيحدث لها».

لا يصدق ما يسمعه. وهذه الكراهية المفاجئة البادية على وجهها نذير بالخطر. يذكِّرها توم: «إنها صديقتكِ، يا بريدجيت. كيف يُعقل أن هذا شعوركِ نحوها؟».

يخفق قلبه، ويتخذ صوته نبرة استجداء.

تقول: «لقد انتهت صداقتنا يوم قتلت ذلك الرجل، وكذبت عليك ودمرت حياتك. أي امرأة قد تفعل ذلك بـرجل تحبه؟ أنت تستحق أفضل من ذلك».

تخطو مقتربةً منه، وتحيط رقبته بيديها. يحاول ألا يرجع رأسه إلى الوراء مشمئزًا منها. بات يدرك بهذه اللحظة –فيما يتطلع إلى قصَّة شعرها المماثلة لشعر كارين– أنها متوهمة، وعقلها مختل. لا يمكنها التفكير باعتدال تمامًا.

يقول ناظرًا إلى عينيها: «بريدجيت، لا أعرف فيمَ تفكرين...».

تردُّ بصوت مثير لاهث: «أوه، أعتقد أنك تعرف».

يرغب أن يتملص منها، لكنه لا يجرؤ.

يمسك يديها وينزلهما بلطف عن رقبته.

- بريدجيت، ربما كانت الليلة الماضية غلطة...

تصرخ: «لا تقل ذلك!».

يصير وجهها قبيحًا، ويعلو قسماته غضب حاد.

يقول توم يائسًا: «لكن يا بريدجيت، كلانا متزوج -ما زلت متزوجًا من كارين، ولا يمكنني التخلي عنها قط، حتى لو أردتُ ذلك. وأنتِ متزوجة من بوب...».

تحتج قائلة: «لا يهم. أنت من أحب، يا توم. أحببتك طيلة الوقت -منذ أن قطعت علاقتك معي وبدأت بمواعدة كارين. ظللت أراقبك من الجهة الأخرى للطريق. أشعر برباط يجمعني بك- ألا تشعر به؟ وما حدث مع كارين، ربما هو أمر مُقدر أن يحدث. ألا تؤمن بالقدر؟ ربما كان من المفترض أن يحدث هذا، حتى تدوم علاقتنا معًا».

يتطلع إليها مرتعبًا. مستحيل أنها تقصد ما تقول. لكنها تقصده. إنه في مواجهة امرأة مجنونة بحق.

يشعر أنه يُستغل، وينتابه غضب شديد لدرجة أنه يودُّ لو يحكم قبضته حول رقبتها ويعتصرها.

الفصل الأربعون

في صباح اليوم التالي، يستفيق توم فزعًا. يتطلع إلى الجانب الآخر من السرير، جانب كارين. إنه فارغ، بالطبع. كارين في السجن. يستغرقه الأمر لحظة كل صباح، ليتذكر ما حدث، ليستيقظ على الكابوس الذي صار حياته هذه الأيام. ويحتاج إلى لحظة أخرى، ليتذكر تفاصيل الكارثة المستعصية الأخيرة، بريدجيت. فقد نامت بسريره مجددًا الليلة الماضية.

عادت إلى الجهة الأخرى من الطريق بجوار زوجها. الشكر للربِّ على ذلك.

يسمع طرقًا عاليًا على باب منزله. يدقق النظر إلى المنبه فوق منضدة جانبه من السرير. إنها 9:26 صباحًا. بالعادة، يكون في العمل بحلول هذا الوقت، ولم يعد لديه عمل يذهب إليه بعد الآن.

يسرع بجذب الرداء عليه، ويتحرك بعصبية نازلًا الدرج المغطى بالسجاد ليرى من يطرق بابه. إنه المحقق رازباك. بالطبع، ومن يأتي منزله غير هذا المحقق اللعين، وتلك المختلة من المنزل المقابل! إنما هذه المرة، هناك فريق كامل بصحبته. ويشعر توم أن رأسه ينبض بالألم.

يفتح الباب.

- ماذا تريد؟

لا يستطيع أن يواري الفظاظة في نبرة صوته. فهذا الرجل، أكثر من أي شخص آخر -باستثناء روبرت ترينور- قد خرب حياته. غير أنه محرج من مظهره المُزري، وحقيقة أنه لا يرتدي سوى رداء الحمام في الساعة 9:30

صباحًا، بينما المحقق حليق الذقن، ويرتدي ملابس أنيقة، ومتشوق لبدء العمل.

يقول رازباك، وهو يمد له يده بورقة ما: «لديَّ مذكِّرة لتفتيش هذا المنزل».

يختطفها توم منه وينظر إليها. ثم يرجعها له.

يقول: «تفضل».

هذا أمر مزعج، ليس إلا. لن يجدوا شيئًا هنا. لقد بحث توم بنفسه سابقًا.

يسأل رازباك، فيما يخطو إلى داخل المنزل، ويبدأ بتوجيه فريقه: «كم سيستغرق هذا التفتيش؟».

يردُّ المحقق بعدم وضوح: «هذا يعتمد..».

يقول توم: «سأصعد إلى الطابق العلوي وآخذ حمامًا».

يومئ رازباك ويباشر عمله.

يعود توم إلى غرفة النوم. يمسك هاتفه الخلوي ويتصل بجاك كالفن.

يسأل كالفن بنبرته الفظة المعتادة: «ماذا حدث؟».

- جاء رازباك إلى هنا، ومعه أمر تفتيش.

تمرُّ لحظة صامتة على الطرف الآخر من المكالمة.

يسأله توم: «ماذا أفعل؟».

ينصحه المحامي: «لا يوجد ما يمكنك فعله. دعهم يبحثون. لكن ابقَ بالجوار وراقب إذا ما سيجدون أي شيء».

يصرُّ توم: «لن يجدوا أي شيء».

- وصلتُ في وقت متأخر مساء أمس من فيجاس. كما سأذهب لزيارة كارين في السجن لاحقًا. أطلِعني عما يجرى.

ثم ينهي المحامي المكالمة.

يستحم توم ويحلق ذقنه ويرتدي بنطالًا من الجينز وقميصًا أنيقًا. والآن، يمكنه النزول إلى الطابق السفلي. يتابع روتينه المعتاد، في عناد. يسخن إناء القهوة. يصنع لنفسه خبزًا محمصًا ويسكب لنفسه كوبًا من العصير، فيما يراقب فريق الشرطة يفككون أجزاء مطبخه بأيديهم المغطاة بالقفازات.

أتستمتعون بوقتكم؟ يريد أن يلقي تعليقًا ساخرًا، لكنه لم يفعل. وبعد انتهائهم من المطبخ، يتبعهم إلى جميع أنحاء المنزل، حاملًا كوب قهوته ويبقيهم تحت ناظريه. إنه ليس متوترًا، تمامًا. فهو يعلم أنه لا يوجد شيء للعثور عليه.

يسأل رازباك في فضول، والنهار يمرُّ ببطء: «عمَّ تبحث؟».

بالكاد، ينظر إليه المحقق، ولا يجيب.

يبدو أنهم انتهوا أخيرًا، ولم يعثروا على أي شيء. لا يطيق توم الانتظار حتى يغادروا.

يسأل توم: «إذن، هل انتهى عملكم جميعًا هنا؟».

- ليس بعد. يتعين علينا تفقد الفناء والمرأب.

ينزعج توم من هذا البحث المطول. وبمجرد أن يخطو إلى الخارج، لا يجد جميع سيارات الشرطة متوقفة أمام منزله فقط، بل وكذلك عربات الأخبار والمراسلين والفضوليين، الذين تجمعوا في محيط المنزل. يدرك أنه لن يحدث أي فرق؛ لقد فقد كامل خصوصيته منذ الليلة التي قتلت فيها كارين ذلك الرجل.

لا مهرب من طلب الصحافة الحديث معه.

يهتم الفريق بتفتيش المرأب أولًا. عادة ما يكون المرأب، الذي يتسع لسيارتين، فارغًا في هذا الوقت من العام –لا يوقفان سيارتيهما بالداخل إلا في الشتاء فقط. أما الآن، فلا يوجد غير أدوات عادية مبعثرة، ومواد للبستنة لفحصها، والرائحة المألوفة للزيت على الأرض الأسمنتية. لن يستغرق الأمر منهم وقتًا أطول، وحينها سيغادرون ويرتاح منهم.

تجلس ضابطة شرطة القرفصاء بجانب منضدة التصليح. وتبحث بحذر داخل صندوق أدوات، له غطاء علوي قابل للإزالة وأدراج بالأسفل. بحث توم في صندوق الأدوات هذا بنفسه، وقتما كانت كارين في المشفى.

تقول الضابطة: «وجدتُ شيئًا».

يتقدم منها رازباك، ويقرفص بجانبها.

- دعينا نرَ.

يحدِّثها المحقق، دون أن يبدي تفاجؤًا. مما يثير فضول توم، رغم خوفه.

ما الذي وجدوه؟

ترفع الضابطة بإصبعين من يدها المغطاة بالقفاز، مسدسًا.

تندفع الدماء إلى رأس توم. لا يستوعب.

يقول في بلاهة: «ما هذا؟».

يجيب رازباك بهدوء، والضابطة تسقطه في حقيبة للأدلة وتضع علامة عليها: «أظن أنه سلاح الجريمة».

***

تستعد الشرطة للمغادرة بمجرد انتهائهم من تفتيش الفناء. يدور بباله في حيرة، أنهم عثروا على ما جاؤوا بحثًا عنه. يضجُّ عقله في عدم تصديق.

ما إن غادروا، يحزم حقيبة ليلية، ويلقيها في السيارة. ينتظر عند باب السيارة للحظة، ويتطلع نحو منزل بريدجيت. يراها وراء النافذة تراقبه، فتسري قشعريرة في بدنه.

ثم يجلس ويتصل بجاك كالفن. ويردُّ الأخير على مكالمته.

- عثروا على مسدس، يا كالفن!

يصرخ فعليًّا في المحامي.

- وجدوه في المرأب! يعتقدون أنه سلاح الجريمة!

- اهدأ من فضلك، يا توم. أين أنت؟

- ركبت السيارة، وآتٍ إلى مكتبك.

- إنني في طريقي لزيارة كارين. قابلني في السجن، وسنتحدث عن الأمر هناك.

يحاول تهدئة نفسه وهو يتجه رأسًا إلى السجن. إذا ثبت أن المسدس الذي وجدوه هو سلاح الجريمة -يعلم أن المعامل الجنائية يمكنها أن تثبت بشكل قاطع، سواء هو أم لا- فلم يكن موجودًا عندما فتش المنزل بعد الحادث. ولو أن المسدس يعود لكارين، كيف وصل إلى هنا؟ لا يُعقل أنها خبأته في المرأب، ولم تكن لتفكر حتى. مما يعني أن شخصًا آخر، لا بد وأنه وضعه هناك.

ولا يوجد إلا شخص واحد فقط، يتصور أن بإمكانه فعل ذلك. وهو على علاقة معها.

تسأله: «هل ذهبت إلى لاس فيجاس؟ هل زرت مركز الإيواء؟».

يجيب كالفن: «أجل، أكدوا أنكِ ترددتِ على زيارتهم لمساعدتكِ في أمر إساءة زوجكِ لكِ، لمدة تزيد على العام».

يصمت للحظة.

- لكن هناك أمرًا طرأ حديثًا.

تتطلع إلى توم قلقة، فيما يضغط يدَها.

يتابع كالفن: «لقد نفذت الشرطة أمرًا بتفتيش ممتلكاتكِ هذا الصباح».

تنقل كارين نظرها بين محاميها وزوجها؛ كلاهما مشدود الأعصاب.

تقول: «وماذا بعد؟».

يردُّ كالفن: «عثروا على مسدس».

تنذهل سائلة: «ماذا؟ كيف حدث هذا؟».

تلتفت إلى توم ليؤكد لها.

يقول كالفن: «يعتقدون أنه سلاح الجريمة. ولقد تحدثت مع المحقق رازباك، وعلمت أنه يخضع للفحص الجنائي».

تقول كارين بنبرة قاطعة: «هذا مستحيل!».

يشعر بموجات من الذعر تتدفق داخلها، وتكاد تخنقها.

يميل كالفن إلى الأمام وينظر في عينيها.

- دعينا نتكلم افتراضيًّا لبضع دقائق. هل من الممكن، فرضًا، أن المسدس، الذي وُجد في المرأب هذا الصباح، هو سلاح الجريمة؟

تهزُّ رأسها.

- لا، لا يمكن.

عندها، ينقل بصره إلى توم.

- إذن، ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟ هل تعرف شيئًا؟

ترى توم يأخذ نفسًا عميقًا، ثم يقول: «ربما لدي فكرة عما حدث».

يتطلع إليها، وتعبير وجهه يشي بالخطر.

- أظن أن شخصًا ما وضعه هناك.

الفصل الحادي والأربعون

يجافي كارين النوم طوال الليل، جراء الضجيج المستمر حولها. حتى مع وضع وسادتها على رأسها، لا تستطيع احتمال الضجَّة بالخارج. تتساءل كيف يعتاد أي شخص وضعًا كهذا. تحسُّ بعينيها غائرتين ومرهقتين عندما يبزُغ الصباح، وتسوء حالتهما خلال ساعات النهار البطيئة.

إنها وحيدة هنا، ومرتعبة –ما أسرع السجن في تحطيم روحها المعنوية. ينبغي أن تصمد أكثر من ذلك، إذا ما تريد النجاة. تذكِّر نفسها أنها جسورة. عليها أن تواجه الواقع، وتَجْلُد. لن يمكنها التغلب على هذا الوضع دون عناء.

تقترب حارسة من زنزانتها قائلة: «لديكِ زيارة».

تكاد تبكي من السعادة، وهي تنهض عن فراشها وتتبع المرأة، حتى غرفة نجد فيها كالفن وتوم بانتظارها. تعانق توم بشدة والدموع تحرق عينيها، وتشعر بذراعيه تحيطانها بقوة. تشبه رائحته الحياة بالخارج، بدلًا من رائحة السجن، فتستنشق بعمق. لن ترغب في الابتعاد عنه. تجهش بالبكاء عند عنقه. بعدها، يبعدها توم متطلعًا إليها. تستطيع أن ترى دموعًا في عينيه. يبدو في حالة رهيبة.

يتنحنح كالفن. من الواضح أنه يريد مباشرة العمل.

- يجب أن نتحدث.

تلتفت كارين ناظرة إلى محاميها في توجس، وهم يجلسون جميعًا. ترى أن زمام مستقبلها بأكمله في يدَي هذا الرجل. تمد يدها إلى توم؛ تحتاج أن تستمد منه القوة.

يسأله المحامي بحذر: «ولماذا تظن ذلك؟».

- لأنني أعلم أن ذلك المسدس لم يكن هناك، عندما فتشت المنزل بعد الحادثة، في أثناء مكوث كارين في المشفى. قلبت المنزل رأسًا على عقب، حتى المرأب فتشته بدقة. وبحثت في صندوق الأدوات ذلك، ولم أجد بداخله أي سلاح.

توجه له كارين نظرة محدَّقة متفاجئة. فتش المنزل بينما كانت في المشفى، ولم يخبرها قط.

يقول كالفن: «إنما المسدس وُجد في الصندوق اليوم. فكيف وُضع داخله؟ ألديكِ فكرة، يا كارين؟».

تهمس: «لا أدري. لم أضع شيئًا داخله».

يوجه توم حديثه إلى كالفن: «اِعقِل الأمر. حالما وقع حادث السيارة لكارين، لم تجد الشرطة المسدس في السيارة. وبالتأكيد، لم تحمله معها إلى المشفى. إذن، كيف يُفترض أنها استخدمت السلاح ثم أخفته في مرأب منزلها فيما بعد؟ ولماذا قد تفعل ذلك بحق الجحيم؟».

يصمتون جميعًا هنيهة.

يتابع توم: «لا يخطر ببالي غير شخص واحد».

تنظر إليه كارين، خائفة، وتضيق أنفاسها.

يتطلع إليهما كالفن في ضجر.

- حقًّا؟ ومن هذا الشخص؟

- إنها جارتنا في المنزل المقابل، بريدجيت كروكشانك.

يدور ببال كارين، *أنهما مضطران إلى إخباره بشأن ذلك الأمر.*

ترى الاهتمام باديًا على وجه المحامي.

- ولماذا قد تعبُر هذه المرأة إلى الجانب الآخر من الطريق لتضع مسدسًا في مرأبك؟

يقول توم: «لأنها امرأة مجنونة».

تنقل كارين بصرها من زوجها إلى محاميها، وتتنفس بعمق.

- ولأنها ذهبت إلى موقع الجريمة.

يقول كالفن في دهشة واضحة: «ماذا؟».

توضح كارين: «لقد أخبرني توم أنها تعقبتني تلك الليلة».

يسأل المحامي في نبرة ارتياب: «ولماذا قد تريد تعقبكِ؟».

تردُّ كارين: «لا أعرف».

يردف توم فجأة، ملتفتًا إليها: «أنا أعرف السبب. إنها مهووسة بكِ، يا كارين، وأكثر هوسًا بي. تجلس في غرفة معيشتها بجانب تلك النافذة المقابلة لمنزلنا، وتراقبنا طوال اليوم، تراقب كل ما نفعله. لأنها واقعة في غرامي، وتكرهكِ أشدَّ الكره، يا كارين».

تتنهل كارين.

- ماذا؟

يضيف في اقتضاب: «أنتِ لا تعرفينها، كما أعرفها».

تحتَجُّ: «ما الذي تقوله؟ إنها لا تكرهني. يا لها من سخافة. إنك بالكاد تعرفها».

يهزُّ توم رأسه.

- هذا غير صحيح.

- إنها صديقتي المفضلة، يا توم.

يصرُّ بشدة: «لا، إنها ليست صديقتكِ. فعندما جاءت لتخبرني أنها تبعتكِ ليلة الحادثة...».

يتردد في تكملة حديثه. فتحدِّق إليه، متسائلة بقلق عما سيقوله، عما يعرفه ولم يخبرها به قط. ما الذي يخفيه عنها؟

ينظر توم بعيدًا، كما لو يتحاشى النظر بعينيها.

- هناك أمر يجب أن تعرفيه، يا كارين. قبل أن أتعرَّفكِ، تورطتُ مع بريدجيت.. في علاقة سرية. كانت غلطة، وقطعتُ علاقتي بها قبل أن ألتقي بكِ.

يتطلع إليها خجلًا.

تتمعن في وجهه في عدم تصديق، ساكنة تمامًا. للحظة، ظنَّت أنها فقدت النطق. لكن تقول أخيرًا: «ألم تفكر في إخباري مطلقًا؟».

العلاقة قبل أن نلتقي».

تستمر في التحديق إليه، فيما تفكر في كل الأوقات التي قضتها مع بريدجيت، وهي لا تعلم أنها نامت مع زوجها. تشعر بالإعياء.

يستطرد توم: «اتفقنا على ألا نخبر أحدًا بشيء، حتى لا يتسبب ذلك في حرج للجميع».

تتطلع إليه في قليل من الاشمئزاز.

- إنها متزوجة، يا توم.

- أعلم، لكنها كذبتْ عليَّ حينها. قالت إنهما منفصلان، ولكل منهما حياته الخاصة. إنها مخادعة للغاية -لدرجة لا تتخيلينها.

يتوقف، ثم يتابع: «في الليلة التي جاءتني فيها لتعلمني أنها تعقبتكِ، اقتربت مني.. وأخبرتني أنني.. إذا نمتُ معها، فلن تبلغ الشرطة عن ذهابها إلى هناك، وعن رؤيتها لما حدث تلك الليلة -سمعت طلقات ورأتكِ تفرِّين من المبنى بعدها مباشرة».

بُهتت.

- هل عاشرتها في تلك الليلة؟ نمت مع بريدجيت؟ بينما أمكث في السجن؟

للحظة سابقة، لم تفكر حتى في سحب يدها من يده، لكنها تفعل ذلك بعد ما سمعته. يكتسي وجهه بالحمرة، حتى منابت شعره. يبدو أنه يكره نفسه لجرحها بهذه الطريقة.

يقول: «لم أرغب في النوم معها! فعلتُ ذلك لحمايتكِ! وبهذه اللحظة، تدور بخلدها فكرة مجنونة أنني وهي مقدران لبعضنا بعضًا، وبما أنكِ في السجن، بمكننا أن نظلَّ معًا. تعتقد أن هذا هو قدرنا. ألا ترين؟ لا بد وأنها من وضعت المسدس في مرأبنا. تحاول أن تضمن زَجَّكِ في السجن بتهمة القتل!».

تحمل نفسها على التفكير، وقلبها تتسارع دقاته.

- لقد ذهبتْ إلى موقع الجريمة، لا بد أنها التقطت المسدس.

يومئ لها.

- هذا ما أحاول قوله.

تقول له وهي ترتب أفكارها: «ربما تركت بريدجيت بصماتها في مسرح الجريمة. ذكرتَ لي، كما أخبرَتكَ، أنها فتحت الباب».

ثم تلتفت إلى المحامي متابعة: «هل ستحث الشرطة على رفع بصمات روبرت داخل منزلنا؟».

يومئ لها كالفن.

- ربما في أثناء رفعهم لبصماته، يجدون بعضها تخصُّ بريدجيت. لا بد وأن لديها بصمات بالمنزل. ويجب أن نحملهم على مقارنتها بأي مما قد يجدونه في مسرح الجريمة.

يراقبها توم وكالفن في اهتمام.

فتتطلع إلى الرجلين المحدِّقين إليها، قائلة: «هذا هو شكُّنا المعقول. أنني مُطاردة من قبل جارتي المجنونة على الجهة المقابلة لمنزلي. لأنها مغرمة بزوجي».

الفصل الثاني والأربعون

للمرة الثانية لهذا اليوم، يذهب المحقق رازباك إلى العقار الخاص بآل كروب.

يفكر، كيف تتطور *الأحداث بسرعة*. بالأمس قال لنفسه إن هذه القضية أصبحت واضحة تمامًا، وأن قطع الأحجية ستنزلق بسلاسة إلى أماكنها. أما الآن، فيرى الصورة المنبثقة من قلب الأحداث، تختلف عن الصورة المتوقعة.

ارتاب في النصيحة التي جاءت من متصِلة مطلِعة على القضية. من الواضح، أنها امرأة لديها معلومات غير مُعلنة، بما أنها على علم بأمر القفاز. ربما هي شاهدة. ربما ذهبت إلى ذلك المكان، ورأت كارين كروب تنزع القفاز وتهرب. أو ربما رأتها تُطلق النار على الضحية، ثم عادت لاحقًا، لتأخذ المسدس. مَنْ هي؟ اعتقد أن من التقطه شخص من ذلك الحي هناك، قبل الإبلاغ عن الجثة. لكن اتضح أن الأمر ليس بهذه البساطة.

ما دام عُثر على المسدس في صندوق الأدوات بمنزل آل كروب، فلا بد أن شخصًا آخر، كان في مسرح الجريمة، ودسَّه في الصندوق، شخصًا يريد أن يرى كارين كروب تُزجُّ في السجن. وإلا لماذا لم يترك السلاح مكانه، بمسرح الجريمة؟ لماذا يلتقطه، ما لم تكن لديه خطة؟

يشاهد جاك كالفن قادمًا باتجاهه من المطبخ، ويتبعه توم كروب. يلقي التحية على كالفن؛ فقد تعامل معه في قضية بالماضي، ويعلم أنه محامٍ بارع وصريح.

- ما سبب الاجتماع بالضبط؟

يقول كالفن: «تعتقد موكلتي أن شخصًا ظلَّ يلاحقها خلال الأسابيع القليلة الماضية، ويدخل المنزل متفحصًا أغراضها في أثناء وجودهما بالخارج. تعتقد أنه روبرت ترينور. من الواضح، أنه تعقبها حتى وصل إلى هنا. إذا وجدنا بصمات ترينور في أرجاء المنزل، فسُيعدّ هذا دليلًا قويًا على الرعب الذي عايشته. مما يؤثر في حالتها الذهنية».

يومئ رازباك.

- أمر معقول. لقد رفعنا بصمات الجثة. وسنلقي نظرة بالمنزل. إذا ما لديه بصمات هنا، فسنكتشفها.

يومئ كالفن، ثم يقول: «هناك أمر آخر».

- وما هو؟

- لقد تسلل شخص ما إلى المنزل. إذا لم يُثبت أنه ترينور، نريد معرفة من هو. إن موكلتي لم تضع هذا المسدس في صندوق الأدوات. لا بد أن شخصًا آخر فعلها. ونحتاج إلى معرفة هويته.

يتوقف، ثم يضيف بتأنٍّ: «نحتاج إلى معرفة ما إذا توجد أي بصمات في هذا المنزل تتطابق مع أي بصمات في مسرح الجريمة».

يتأمل رازباك وجه المحامي -يحاول كالفن إخباره بشيء ما.

يومئ قائلًا: «لك ذلك. دعونا نرى ما سنحصل عليه».

يريد رازباك معرفة من دخل المنزل أيضًا. يشعر وكأنه عاد لنقطة البداية، أمامه جثة، وأسئلة كثيرة بلا إجابات.

***

تروح وتجيء كارين في زنزانتها، تفكر فيما يحدث في المنزل. فقد طلب كالفن من الشرطة إيجاد دليل على دخول روبرت إلى منزلهما. تأمل أن يعثروا على بصماته، لأن ذلك سيدعم موقفها أنها زوجة مُعنَّفة، وطاردها زوجها العنيف، وفعلت ما فعلت خوفًا على حياتها. لو اضطرَّها الأمر، فستستخدم هذا الدليل لتقليل مدة عقوبتها في السجن. لكنها، بهذه اللحظة، تأمل حدوث أمر آخر، أمر يمنحها تذكرة الخروج من السجن.

إنها بريدجيت. ستكون بريدجيت تذكرتها للخروج من السجن. لأنها، رغم جنونها، ورغم وقوعها في حبٍّ زوجها، فالمسألة الأهم، هي أن بريدجيت

ليست غبية. إنها ليست غبية لدرجة وضع سلاح الجريمة ببساطة في مرأب منزل كارين.

لم تكن لتتوقع أن تتبعها بريدجيت تلك الليلة. لم تكن لتتوقع أن تأخذ بريدجيت المسدس. ما تزال كارين مصدومة مما علمت. إنما كل غمامة يتبعها غيث، فبينما تُعد بريدجيت نفسها لتكون شاهدة عيان، حتى تستطيع على الأرجح –مع كل الأدلة الأخرى في مقابل شهادتها– أن تبعد كارين، نمادت كثيرًا في الاتجاه الخاطئ: عرَّضتْ نفسها لموقف خطر، ودسَّت سلاح الجريمة، وأبلغَت الشرطة، وضغطتْ توم لينام معها.

تتخيل كارين بريدجيت تعاشر زوجها في سريرها، بينما تنكمش على نفسها على فراش بالٍ، في حجرة حجز بائسة، في قبو مركز الشرطة، ويحيطها ضجيج ورائحة نتنة من كل جانب. تفكِّرُ كيف تآمر الاثنان معًا لكتْمِ سرِّ علاقتهما السابقة عنها، طوال كل هذا الوقت.

يغيظها أن توم نام معها مجددًا ليلة حجزِها، ومع ذلك، فهو أفضل ما يمكن أن يحدث. لأنه حينئذ، يمكن لتوم إبلاغ الشرطة كيف هددته حتى ينام معها، وإلى أي مدى هي مغرمة به، وتريد أن تبعد كارين عن طريقها. وسيدعم بلاغه، بصمات أصابعهما في منزلهما، في أماكن لا ينبغي أن تصل إليها، ما دامت مجرد صديقة لكارين. سيجدون بصماتها في غرفة النوم.

لحسن الحظ أن كارين لم تخبر الشرطة بأي مما رأته بعد. فهناك أمر يجب أن تتخذ فيه قرارًا. هل تقول الحقيقة –إنها لم تزل غير قادرة على تذكُّر أي شيء بعد وصولها إلى باب المطعم؟ أم تكذب، وتقول إنها تذكَّرت كل شيء؟ أنها تجادلت مع روبرت في المطعم، ثم هربت لإنقاذ حياتها. أنها لم تطلق النار عليه –تركته خلفها على قيد الحياة. ومن ثم، تنصب لها شَرَكًا هنا؛ أن بريدجيت تبعتها وسمعتْ كل شيء، وبعدها قتلتْه بنفسها، عقب خروج كارين، واحتفظتْ بالمسدس، معتقدةً أنه يمكنها إلصاق تهمة ارتكاب جريمة القتل بكارين.

لا تحتاج إلى إثبات أن بريدجيت قتلت روبرت –رغم أنه من الرائع لو استطاعت. تتساءل كيف أخبرت بريدجيت الشرطة بشأن المسدس؟ بالتأكيد لم تتصل بهم من خلال هاتفها الخاص. ألن يصبح أمرًا بديعًا إن فعلت؟ إنما هذا لا يهم حقًا. كل ما يجب فعله هو إثارة الشك بما يكفي، وبثّ الارتباك بما يكفي، حتى تسقط كل الاتهامات الموجهة إلى كارين.

ولن ينام توم مع بريدجيت بعد الآن أبدًا. كما لم يعد بيديها ما تضغطهما به، لأنهما سيخبران الشرطة عن ذهابها إلى المطعم في تلك الليلة. تعرف كارين أن توم حزم بعض أغراضه، وسيقيم عند أخيه إلى حين. كم ستمسي بريدجيت في غضب، وقد تركها. كم ستحزن وهي وحيدة، جالسة بجوار نافذتها، تراقب منزلهما الفارغ على الجهة الأخرى.

تقول في نفسها، *هذا ما تستحقين.*

***

استعجل رازباك فريق رفع البصمات. وبحلول صباح اليوم التالي، يقف مع خبير تحليل البصمات، يبحثان عن مجموعة كاملة من بصمات روبرت ترينور، وبعض البصمات المختلفة، التي رُفعت في يوم أمس من منزل آل كروب، بالإضافة إلى بصمات أخرى، رُفعت سابقًا من مسرح الجريمة.

يقول الخبير: «لا توجد بصمة واحدة للضحية في أي مكان بالعقار المشار إليه. لم يدخل ذلك المنزل قط، أو على الأقل، دون قفازات. ربما تمكَّن ترينور من دخول المنزل في وقت ما، لكن لا يمكن تأكيد ذلك».

يهمهم رازباك: «سيخيب هذا الأمر آمال جاك كالفن».

يسأل جينينجز، الواقف بجانبه: «هل كانت تتوهم أشياء لا صحة لها، وتقول إن شخصًا ما تجوَّل في المنزل؟».

يهزُّ خبير البصمات رأسه مجيبًا: «كما قلت لكما، ربما ارتدى قفازًا. لكننا وجدنا الكثير من البصمات لشخص مجهول الهوية، بجميع أرجاء المنزل».

يستفهم رازباك: «ماذا تعني بكل أرجاء المنزل؟».

- أعني بكل مكان، غرفة المعيشة والمطبخ والحمامات وغرفة النوم. كأن ذلك الشخص يعيش هناك. وأيًّا ما يكون ذلك الشخص، فلديه حسٌّ بالملامس. يتلمس الأشياء، ويتحسَّسُها، حتى إننا وجدنا بصماته داخل درج الملابس الداخلية الخاص بكارين كروب، وداخل خزائن الحمام، وعلى زجاجات العطور الخاصة بها، وداخل خزائن التخزين.

يسأله رازباك: «وماذا عن المرأب؟».

- لا، لم نجد شيئًا في المرأب.

يقول رازباك: «هذا أمر مثير للاهتمام».

يقول الخبير، وعيناه تبرقان: «لا، بل المثير للاهتمام حقًّا، أن هذه البصمات تتطابق مع البصمات التي وجدناها في مسرح الجريمة، على باب المطعم الخلفي. مما يعني أن مَنْ تجوَّل بمنزل آل كروب، كان بمسرح الجريمة، عند نقطة ما، على الأقل».

يقول رازباك: «هذا هو الأمر المثير للاهتمام».

- لم يظهر تطابقٌ في قاعدة البيانات. فأيًّا ما كان صاحب البصمات، ليس له سجل جنائي.

- أعتقد أننا سنقدر على تضييق نطاق البحث. إنه عمل ممتاز، أشكرك. ثم يتحرك، ويتبعه جينينجز.

يقول رازباك: «إنها مُطاردَة حقًّا. إنما ليس مِمَّن في اعتقادك».

- الحياة ملأى بالمفاجآت.

يتحدث ببهجة لا تتماشى مع محقق جرائم القتل.

يقول رازباك: «نحتاج إلى استجواب كارين كروب مرة أخرى. وربما هذه المرَّة تتحدث إلينا».

الفصل الثالث والأربعون

يقول كالفن: «موكلتي مستعدة للإدلاء بتصريح».

أُجلست كارين مع كالفن في غرفة استجواب في السجن. لم يأتِ توم. ويجلس رازباك على الجانب الآخر من الطاولة مع جينينجز. هناك مسجِّل فيديو في الغرفة لالتقاط كل كلمة، وكل حركة تصدر عنها، بينما تتوتر تحت وطأة الاستجواب.

تعرف كارين أنه عليها التصرف جيدًا، فحياتها تعتمد على ذلك.

بعد قليل من المقدمات الرسمية، يبدأ الاستجواب.

تقول: «كان اسمي جورجينا ترينور. كنت متزوجة من روبرت ترينور، تاجر تحف في لاس فيجاس».

تخبرهم كل شيء -عن حياتها معه، وكيف هربت- بالتفاصيل البشعة. وتخبرهم عن اعتقادها أن روبرت اقتحم منزلهما، ومدى خوفها. وتخبرهم عن الليلة التي تلقت فيها المكالمة الهاتفية.

ترتشف رشفة من الماء لأن صوتها قد بحَّ. تستحضر ذلك الماضي المريع، فتشعر بالإعياء.

- وافقتُ على مقابلته. كنت مرعوبة من أنه قد يؤذي توم.

تتلعثم، ثم تكمل.

- كان لدي مسدس، اشتريته بعدما رحلت عنه، من أجل الحماية، في حال تعقبني. احتفظت به مخبَّأً في غرفة التدفئة. لذلك بمجرد أن اتصل أخذتُ المسدس والقفاز المطاطي من المطبخ، وخرجتُ للقائه.

تركز بصرها على المحقق رازباك.

- لفترة طويلة، لم أستطع تذكر ما حدث تلك الليلة، على ما أعتقد لأنني صُدمتُ للغاية. لكنني.. لكنني أتذكر كل شيء الآن.

تهدئ نفسها بأخذ نفس عميق قبل أن تتابع حديثها.

- عندما وصلتُ إلى هناك، كان الظلام قد حلَّ. دخلتُ مطعمًا، ووجدتُ روبرت بالداخل، في انتظاري. في البداية، لم يبد عليه الغضب، مما فاجأني. ربما لأنه رأى المسدس بيدي، آثر أن يعاملني بحذر. لكن بعدها، بدأ يهددني كما اعتاد دائمًا. أخبرني أنني عرضته للكثير من المتاعب والتكاليف ليعثر عليَّ، وإذا لم يستطع الحصول عليَّ، فلن يستطيع أي أحد. وإذا لم أرحل معه، سيجد طريقة لقتلي وزوجي الجديد، ولن يكتشف أحد، لأنني ميتة رسميًّا، ولا علاقة تربطه بتوم. قال إن هذه جريمة قتل مثالية، وأنا صدَّقته.

توقفت هنيهةً.

- رغم أنني واجهته بمسدس في يدي، استمر بتهديدي. عرف أنني لا أملك الشجاعة على إطلاق النار عليه. وسخر مني.

يتطلع إليها رازباك بجمود. لا يمكنها التكهن بما يدور بباله؛ لن تقدر على معرفة ما يفكر فيه.

- لم أعرف ماذا أفعل. علمتُ أنني لا أقدر على إطلاق النار عليه. أُصبتُ بالذعر. خرجتُ أركض. وعندما وصلتُ إلى السيارة، أوقعتُ المسدس على الأرض وخلعت القفاز من يدي -أتذكَّرُ أنني لم أستطع، والمسدس في يدي والقفاز، إخراج المفاتيح من جيبي. لذلك أوقعتُ المسدس وخلعتُ القفاز. ثم ركبتُ السيارة وانطلقتُ بأسرع ما أمكنني، وتخطيتُ السرعة حتى اصطدمتُ في ذلك العمود.

تنظر في عيني رازباك مباشرة.

- أقسم لك، إن روبرت كان على قيد الحياة عندما تركته. ولم يتبعني للخارج. اعتقدتُ أنه سيفعل- ظللتُ أتوقع أن يشُدَّني من شعري- لكنه سمح لي بالذهاب.

وتضيف: «لكنه عرف أين أعيش أنا وتوم».

ترتجف، كأنها تسترجع ذعرها منه.

يسأل رازباك: «إذن، كيف في رأيك قُتل زوجكِ؟».

- لا أعرف على وجه اليقين.

- ألديكِ أي تخمين؟

- أجل.

- أطلعيني عليه.

تقول، دون أن تنظر إلى كالفن: «إنها جارتي، في المنزل المقابل. تُدعى بريدجيت كروكشانك. وقد أخبرَتْ توم أنها تعقبتني تلك الليلة، وأنها سمعتني وروبرت نتحدث في المطعم».

ترى تعابير وجه رازباك تحتد.

- ولماذا تتعقبكِ؟

- لأنها مغرمة بزوجي.

تعتقد أنها أتقنت النبرة المضبوطة، في مزيج من الحنق والامتعاض والألم.

- وماذا تعتقدين أنها فعلت؟

- أعتقد أنها التقطَت المسدس من حيث أوقعته، في موقف السيارات. دخلت المبنى وأطلقت النار على روبرت.

تدرجت نبرة صوتها انخفاضًا حتى الهمس.

يسأل رازباك، من الواضح أنه يشك في قولها: «لماذا قد ترغب في فعل ذلك؟».

- حتى تتوجه أصابع الاتهام إليَّ. وجدت فرصة مثالية لتتخلَّص مني، وتأخذ زوجي بعيدًا عني.

يبدو رازباك غير مقتنع، وقد ارتفع حاجباه في استنكار.

تستطرد: «جمعتها وتوم علاقة سرية، قبل أن يقابلني. تريده أن يعود لها، ولذلك تريد التخلص مني. أخبرني توم أنها ابتزَّته لينام معها مرة أخرى؛ هددته أنه إذا فعل، فلن تخبر أحدًا، أنها ذهبت إلى هناك ورأتني أتجادل مع روبرت تلك الليلة. لا بد أنها استَمعتْ إلى كل ما جرى بيننا».

ترى النظرة التي يوجهها رازباك إلى جينينجز، كما لو أنه يجد كل ما قالته بُستبعد تصديقه.

تنقل بصرها بين المحققين.

- لا بد أنها من دسَّت المسدس في مرأبنا. أنا لم أضعه هناك. وإذا بحثتما، ستجدان بصمات أصابعها في مسرح الجريمة. لقد أخبرتْ توم أنها فتحت الباب. يجب أن تتحققا من ذلك».

بدأ يشوب صوتها نبرة متوترة. لا يبدو أنهما يصدِّقانها.

يقول رازباك: «فهمت».

يقولها كما لو لا يصدق كلمة من تصريحها.

تقول في استماتة: «لقد ذهبَت إلى هناك! بإمكانك أن تجد شهودًا على أنها تعقبتني بسيارتها في الطريق تلك الليلة. لا بد أن نفس الأشخاص الذين رأوني أغادر المنزل وأقود بعيدًا، رأوها. هل سألتما أيًّا منهم؟».

يقول رازباك: «سننظر في هذا الأمر. هل كانت بريدجيت صديقة لكِ؟».

- أجل، كانت.

- هل دعوتِها إلى منزلكِ، خلال فترة صداقتكما؟

- أجل، أحيانًا.

يسألها: «ماذا تفعلان، عندما تأتي لزيارتكِ؟».

- نحتسي القهوة، في المطبخ عادة أو في غرفة المعيشة، فيما نتحدث معًا.

بهذه اللحظة، يعتريها التعب وتريد العودة إلى زنزانتها.

يقول رازباك بهدوء: «حسنٌ، لنعيد النظر من البداية».

***

يعتدل رازباك في جلسته، ويتطلع إلى كارين كروب، الجالسة أمامه على الجانب الآخر. يرى الإرهاق باديًا عليها، وهيئتها رثَّة قليلًا، رغم أنها تُلاقي عينيه بعينيها طوعًا، كما لو تتحداه أن يجد ثغرة في قصتها. يتصور أنها أحكمت صياغة قصتها بعناية تامة، كما زيَّفت انتحارها. ومع أنه متعاطف بشأن حاجتها إلى الابتعاد عن زوجها -يمكنه تفهُّم الدافع وراء ما فعلته- لا يرى أن هذه القصة جاهزة للتصديق. إنها تعاني فقدانًا للذاكرة.

يقول: «إنه أمرٌ غريب قليلًا، ألا تعتقدين ذلك. أن تستعيدي ذاكرتك فجأة، قبل مقابلتنا اليوم مباشرة».

تقول كارين، في رباطة جأش: «إذا تحدثتَ إلى طبيبي المعالج، ستدرك أنه ليس أمرًا غريبًا على الإطلاق. هكذا حالات فقدان الذاكرة. تُسترد وقتما يحلو لها، أو لا تُسترد أبدًا».

يخبرها، مترقبًا ردَّة فعلها: «لقد تحدثت إلى طبيب متخصص في حالات فقدان الذاكرة».

لا تبدي رد فعل. إنها بارعة في التصنع.

- ولذلك أرى أنه من الغريب، أن تستعيدي ذاكرتكِ دفعة واحدة. أعني اليوم.

يضحك.

- لم تستطيعي تذكر أي شيء قبل يومين. واستعدتها بسهولة بعض الشيء، هذا كل ما في الأمر.

تعقص ذراعيها أمام صدرها، فيما تستند إلى الوراء على كرسيها، دون أن تنطق بكلمة.

يقول رازباك في كياسة: «كما ترين، لدي مشكلة صغيرة في تصديق رؤيتكِ للأحداث».

بصمت هنيهة حتى يدعها تغتاظ. ثم يمتد الصمت إلى هنيهة أطول.

- المسألة التي أواجه صعوبة في تصديقها، هي عندما قلتِ إنكِ قابلتِ روبرت ترينور في تلك الليلة، وقد عثر عليكِ بعد عدَّة سنوات، وتلوحين بمسدس في وجهه –وإذا به يسمح *لكِ بالرحيل*.

تحدِّق إليه كارين في برود.

- من واقع تجربتي، فإن الرجال سريعو الغضب والعنيفون والذين تعرضوا للخداع، لا يتصرفون بمثل ذلك التحكم الشديد في النفس. أندهش، في الحقيقة، لقدرتكِ على الخروج من هناك على قيد الحياة، إذا اعتبرنا أن ما تقولينه صحيحٌ.

تعقَّب بصوت مرتجف قليلًا: «قلتُ لك. أعتقد أنه سمح لي بالذهاب لأنه عرف أين أعيش. لقد عرف من هو زوجي. وخطط لقتل كُلٍّ منَّا إذا لم أفعل ما يريد -لذلك لم يكن مضطرًّا إلى قتلي حينها وبذلك المكان».

يتطلع إليها مرتابًا.

- لكنه بالتأكيد، لم يرد بذهنه أنكِ ستعودين إلى المنزل وتنتظرينه حتى يأتي ويذبحكما، ثم يفلت بفعلته. أنتِ امرأة ذكية. ما دمت عرفتِ أنه سيقتلكما، أنتِ وتوم، ألم يتوجب عليكِ الاستنجاد بالشرطة؟

- أخبرتك أنني أُصبت بالذعر. ركضتُ خارجة من هناك، ولم أفكر باعتدال.

يقول رازباك، وهو يميل قليلًا إلى الأمام: «إنما من وجهة نظري، أن روبرت ترينور قد يتوقع منكِ الذهاب إلى الشرطة. أو الاختفاء مرة أخرى. إذن، *لماذا قد يفكر في السماح لكِ بالرحيل؟*».

تبدو كارين أكثر شحوبًا وأكثر توترًا.

- لا أعرف. لا أعرف فيم كان يفكر.

- لا أعتقدُ أنه قد يسمح لكِ بالرحيل. أعتقدُ أنه مات عندما فررتِ من هناك.

تلتقي عيناها بعينيه بثبات، دون أن تطرف. ويغير مسار الأسئلة.

- منذ متى تعرفين بعلاقة زوجكِ مع جارتكِ بريدجيت كروكشانك؟

- لقد أعلمني مؤخرًا.

يومئ رازباك.

- تقصدين أخفى الأمر عنكِ، أليس كذلك؟ لماذا تعتقدين أنه فعل ذلك، ما دامت العلاقة بينهما انتهت، كما قال لكِ، قبل تعارفكما؟

تقول، ويظهر عليها أن السؤال باغتها: «ولِمَ لا تسأله؟».

- سألته بالفعل. وأريد أن أسمع منكِ ما تظنينه برأيك.

تنظر إليه شزرًا.

- قالت له إنها وزوجها سينفصلان. صدَّقها. وما كان لينام معها لولا ذلك.

- إذا كان الأمر كذلك، ما الذي منعه من إخبارِكِ سابقًا؟ هل تعتقدين أن السبب هو خوفه من ألا تصدِّقي مثل هذا المبرر الذي يخدم صالحه وحده؟

تولي له كارين نظرة ساخطة ويتغاضى عنها. يتابع موضحًا: «إن زواجكِ ليس مبنيًّا على أساس من الصدق التام، بينما لا تهتمين».

تعلق بنبرة حادة: «أنت لا تعرف أي شيء عن زواجي».

يدور بباله أن ثبات انفعالها يهتزُّ قليلًا.

- هنالك أمر آخر. لدي صعوبة أخرى في تصور بريدجيت تحمل بتلقائية المسدس الذي أوقعته في موقف السيارات، ثم تدخل المطعم وتطلق الرصاص على روبرت ترينور.

تعارضه كارين: «لماذا؟ ليس لدي أي صعوبة في تصور ذلك على الإطلاق. لقد فقدت عقلها. إنها مهووسة بزوجي. وتريدني أن أذهب إلى السجن. تحدثْ إلى توم. إنها مختلة تمامًا».

يقول: «سأفعل. وسأتحدث معها، أيضًا».

***

يتوجه رازباك وجينينجز إلى مركز الشرطة بعد مغادرتهما لسجن المقاطعة. إن القضية، التي بدت في يوم ما واضحة المعالم، أصبحت على النقيض من ذلك. لم يعد رازباك يعرف بما يصدق.

يقول جينينجز: «إنها تجادلنا في خيوط القضية. ماذا لو أنها على حق؟ ماذا لو تطابقت بصمات تلك المرأة، بريدجيت، مع البصمات التي وُجدت بكل أرجاء منزل آل كروب ومثيلتها في مسرح الجريمة؟ ربما وضعنا المرأة الخطأ في السجن».

- أمر محتمل. أيًّا مَنْ وضع المسدس في المرأب، لا بد وأنه ذهب إلى مسرح الجريمة. ربما هي بريدجيت. أو ربما شخص آخر، أو ربما توم؛ فمحتمل أنه ظَلَّ على علاقته بتلك المرأة، جارتهما، لهذا السبب تركت بصمات أصابعها في كل ركن بالمنزل.

يشرد رازباك متأملًا الطريق من نافذة السيارة.

ثم يقول: «لا بد أن فحص السلاح قد انتهى في الوقت الحالي. ربما يتضح أنه ليس سلاح الجريمة، وفي هذه الحالة، فقد دسَّه أي معتوه بالمدينة محاولًا السخرية منَّا. لنتحدث إلى خبير الأسلحة، ونحصل على بصمات تلك المرأة، بريدجيت، ومن ثم، نحاول التوصل إلى ما حدث، في ضوء الأدلة».

لدى وصولهما إلى المركز، يهاتف رازباك خبير فحص الأسلحة، ويؤكد له أن المسدس الذي عُثر عليه في مرأب كارين كروب هو بالتأكيد المسدس الذي أردى روبرت ترينور قتيلًا.

يقول رازباك: «جيد، أمسينا على يقين تام بخصوص تلك المسألة. لنذهب ونتحدث إلى بريدجيت كروكشانك».

الفصل الرابع والأربعون

تحملق بريدجيت مقطَّبة الجبين إلى منزله على الجهة الأخرى، كما لو أن ذلك سيعيده لها.

اختفت سيارة توم. لم تره بالأمس. جاءت الشرطة وتجوَّلت في المنزل للمرة الثانية، مثلما حدث أول أمس، وتحيَّرت من سبب مجيئهم. ألم يعثروا على سلاح الجريمة؟ إنها على يقين من أنهم وجدوه. لقد رأتهم يدخلون المرأب من مكانها، على هذا المقعد، لا يُعقل أنهم غفلوا عنه.

حالما انتهوا، غادروا جميعًا، وسرعان ما لحق بهم توم بعدها بقليل. وفي وقت مبكر من أول أمس، رأته يلقي حقيبة ليلية في سيارته. ثم وقف بجانب السيارة، وتطلع نحوها على الجانب الآخر من الطريق. سقط قلبها بين ضلوعها. لماذا غادر؟ ألم يتوصلا إلى تفاهم فيما بينهما؟ ألم تخالجه مشاعر مثل التي تخالجها، وصارا عاشقين من جديد؟

لكنه لم يعد الليلة الماضية. لا بد أنه مكث في مكان آخر، مما يشعرها أن عالمها كله ينهار. إنه يتجنبها. *ماذا يمكنها فعله ليعود إليها؟*

تجاهد دموع الخيبة. لا يمكنه البقاء بعيدًا إلى الأبد، بحقيبة ترحال صغيرة. سيحتاج إلى الذهابِ إلى العمل، وسيعود ليغير حلَّته. سيضطر إلى العودة للمنزل، وستترقبه؛ لن يهرب منها. ستجعله يرى أنه ينتمي إليها. وستفعل ما بوسعها كي لا تخرج كارين من السجن مطلقًا.

لو اضطُرت، ستشهد ضد كارين، حتى لو لم يعجب توم هذا، حتى لو كرهها لبعض الوقت. لأنه ما دامت كارين موجودة في عالمه، لن يختار توم العيش مع بريدجيت. وهذا ما يجعلها في قمَّة حنقها.

ترى سيارة تقترب وتراقبها حتى تتوقف أمام منزلها. تتعرف السيارة، والمحققين اللذين يترجلان منها. ما الذي جاء بهما إلى هنا؟ يتشنج جسدها لا إراديًا.

يدُقُّ جرس الباب. يزداد توترها، بغتةً، وتفكر في تجاهل الجرس، لكن ربما رأوها وراء النافذة. وحتى لو لم يروها، سيعاودان المجيء في مرة لاحقة. تنهض لتفتح الباب. وقبل فتحه مباشرة، تبدِّل تعبيرات وجهها، على أمل أن تُظهر ابتسامة هادئة.

تقول: «أجل؟».

يقول المحقق رازباك، حاملًا شارته: «مساء الخير».

تردُّ: «أعرف من تكون، أيها المحقق. أتذكركَ من تلك المرة التي أتيت فيها إلى هنا».

يطلب منها: «هل تسمحين لنا بالدخول؟».

تقول بريدجيت، وهي تزيد فتحة الباب: «بالطبع».

تدعوهما للجلوس في غرفة المعيشة. يجلس جينينجز، بينما يخطو رازباك على مهل نحو النافذة الكبيرة العريضة، حتى يتوقف خلف مقعد بريدجيت المفضل، الذي يطل على منزل آل كروب.

يقول: «إنه منظر رائع».

ثم يقترب رازباك ويجلس قبالتها. تربكها عيناه الزرقاوان الحادتان. لا بد أنه لاحظ قصَّة شعرها الجديدة. تقاوم رغبتها في مدِّ يدها ولمس شعرها.

تسأل: «كيف يمكنني مساعدتك؟».

يجيب المحقق: «لدينا بعض الأسئلة، حول جارتكِ في المنزل المقابل، كارين كروب. أُلقي القبض عليها في أثناء التحقيق الجنائي الجاري».

تضع ساقًا على ساق، وتضم قبضتيها متكورتين بإحكام.

- أعرف. إنه أمر صادم للغاية. اعتقدتُ أنني أعرفها جيدًا، ولم يكن لدي أي فكرة عما هي قادرة على فعله. أقصد، لا أحد منا توقع ذلك. وأنا متأكدة من أن زوجها لم يتوقع أيضًا.

يذكّرها بلطف: «لم تُدَن بالواقعة بعد».

تحسُّ بوجنتيها تتوردان بحمرة خفيفة.

- أجل، بالطبع.

تعيد وضع ساق على أخرى، وتبادر مضيفة: «أخبرتني كارين -قبل أن تُعتقل- أنها ربما شهدت على شيء ما، مثل جريمة قتل، وأنكما حاولتما حملها على تذكر ما حدث تلك الليلة، حتى تساعدكما على التحقيق. إنما هذا ليس صحيحًا، أليس كذلك؟».

تتطلع مباشرة إلى المحقق الوسيم. وعندما لم يُجِبها، تنقل بصرها بين الرجلين، كما لو ستبوح لهما بِسِرٍّ.

- علمتُ أن أمرًا رهيبًا يحدث، فلقد ترددت الشرطة على منزلها أكثر من مرة.

ثم تميل إلى الأمام في مجلسها على الأريكة، وهي تأمل أن تُصِيب نبرة القلق بالقدر الكافي، عندما تسأل: «من كان ذلك الرجل؟ هل تعرفان لماذا فعلتْ ذلك؟».

يقول رازباك بسلاسة: «في الوقت الراهن، نحقق ببساطة في جميع الطرائق المحتملة، ونأمل أن بإمكانكِ مساعدتنا».

تقول، متراجعة للوراء قليلًا: «بالطبع».

- هل ذكرت لكِ كارين كروب يومًا أنها تخشى شخصًا ما، أو أنها قلقة على سلامتها؟

تهزُّ بريدجيت رأسها.

- لا.

- هل أخبرتكِ يومًا أن لديها مسدسًا؟

توليهما نظرة متفاجئة.

- لا.

- هل رأيتِ من قبل أي شخص مشبوه يتطفل على ممتلكاتِ آل كروب؟

تهزُّ بريدجيت رأسها ثانية، وتقول: «لا، لِمَ تسأل؟».

- يقول الزوجان كروب أن شخصًا ما تطفَّل إلى داخل منزلهما، لمدة عدة أسابيع. نعتقد أن هذا الأمر قد يرتبط بما حدث ليلة الواقعة. لذلك، رفعنا بصمات الأصابع داخل المنزل، وبما أننا نعرف أنكِ تزورين كارين في بعض الأحيان، نودُّ الحصول على بصماتكِ لنجنبها من قائمتنا. هل توافقين على الحضور إلى مركز الشرطة وأخذ بصماتكِ؟ سيكون ذلك خير عون لنا.

تنظر إليه وتفكر بسرعة. تعرف أنها تركت المسدس نظيفًا -حتى إنها بحثت في محرك جوجل عن كيفية إتمام ذلك بطريقة صحيحة- وارتدت قفازًا عندما أخفته في المرأب. إنها متأكدة أن بصماتها ليست على المسدس. كما لديها مبرر منطقي لوجود بصماتها في منزل آل كروب؛ إنها مجرد صديقة. إذن، لا يوجد ما يدعو للقلق.

باستثناء أمر واحد، يسبب لها إزعاجًا مؤخرًا. فهي واثقة تمامًا أنها دفعت باب المطعم بيديها في تلك الليلة. لكن، لا بأس. لأنها إذا اضطُرَّتْ، يمكنها الاعتراف بأنها ذهبت إلى هناك، رأت كارين تقتل ذلك الرجل. سيغضب توم، إنما ستختفي كارين إلى الأبد، وسيعود إليها في النهاية. كما لا ترى أن أمامها أي خيار آخر حيال أخذ بصماتها. ولو أن عليها الاعتراف بتعقبها لكارين، فهي لم تُدلِ بشهادة بعد حلف اليمين بشأن تلك الليلة بعد. لقد أخبرتهما ببساطة أنها لم تكن بالمنزل حينها. لذا يمكنها تغيير قصتها، وإخبار الشرطة بحقيقة ما رأت. ينتظر رازباك ردَّها.

تقول: «أجل. أسنذهب في الحال؟».

يقول رازباك في تهذيب: «إن لم يكن لديكِ مانع».

تسمع صوتًا بالقرب من باب المنزل، فيديرون جميعًا رؤوسهم فجأة، تجاه الصوت. يدخل بوب كروكشانك على نحو غير متوقع إلى غرفة المعيشة، مذهولًا.

يسأل: «ما الذي يجري هنا؟ من أنتما؟».

تسأله بريدجيت، متفاجئة بنفس القدر: «ما الذي جاء بك؟».

لا ترغب في وجود بوب، هنا الآن.

يقول زوجها: «لا أشعر أنني على ما يرام، لذلك جئتُ إلى المنزل لأنال قسطًا من الراحة».

ينهض رازباك مشهرًا شارته، قائلًا: «أنا المحقق رازباك، وهذا المحقق جينينجز. إننا نحقق في جريمة قتل، وحضرنا لتوجيه بعض الأسئلة إلى زوجتك».

يسأله في ارتياب: «وماذا تريدان منها؟ هذا التحقيق بخصوص المرأة في المنزل المقابل، أليس كذلك؟ هما صديقتان، إنما أشك أن لدى بريدجيت ما يمكنها مساعدتكما به».

تُوجِّه إليه بريدجيت نظرة معادية قائلة: «ربما لست عديمة الفائدة كما تعتقد».

عندها يتطلع إليها متفاجئًا، فيما يراقبهما المحققان في صمت.

تلتفت إلى المحققين، وتصلح ما خرَّبه زوجها، قائلة: «هيا لنذهب».

تسمعه يناديها من خلفها: «إلى أين تذهبين؟».

تستدير وتواجهه، مجيبة: «إنني ذاهبة لتأخذ الشرطة بصماتي».

يروقها تعبير الارتباك على وجهه. *لتدعه يفكر فيما يجري، لبعض الوقت.*

***

يحلُّ المساء، عند حصول رازباك على نتائج المختبر بشأن بصمات الأصابع. يجلس وجينينجز في مكتبه، يمضغان البيتزا، فيما يتناقشان النتائج، وفي الخطوة التالية.

يقول رازباك: «ذهبت بريدجيت كروكشانك إلى مسرح الجريمة بالفعل. وتوجد بصماتها على الباب».

إنه لا يستغرب هذا مطلقًا، لأنه في أثناء انتظارهما صدور النتائج، عادا إلى الضاحية وأجريا مقابلات مع الجيران مرة أخرى، ليسألاهم عما إذا رأوا بريدجيت تلك الليلة. وكِلتا المرأتَيْن اللتين لمحتا كارين تقود بسرعة كبيرة في الطريق، شهدتا بريدجيت أيضًا، في الليلة ذاتها، تقود سيارتها في نفس الطريق، بعدها بقليل. لذلك فهما متأكدان من أن بريدجيت تعقَّبت كارين كروب.

يضيف جينينجز: «وبصماتها منتشرة في جميع أرجاء منزل آل كروب».

يقول رازباك: «إذن، بريدجيت هي من تطاردها. إنها الوحيدة التي لديها بصمات في درج ملابس كارين الداخلية، على سبيل المثال. في حين، لم يُعثر على بصمات توم كروب نفسه في درج ملابس زوجته».

يشرُد جينينجز، مفكرًا بصوت عالٍ: «ما الذي يجعلها تعبث في درج ملابس كارين كروب الداخلية؟ هذا سلوك مُريب جدًّا».

يقول رازباك: «إنها، على الأرجح، الشخص الذي التقط المسدس ودَسَّه في المرأب، كذلك. قالت كارين إن بريدجيت تحبُّ توم، وتحاول إثبات تهمة القتل عليها».

يأخذ نفسًا عميقًا ويزفره. ثم يسأل: «ما الذي يجري حقًّا؟».

يردُّ جينينجز: «ربما بريدجيت واقعة في غرام توم. ربما هي مهووسة به، لدرجة أن تتبع كارين، وتطلق النار على ترينور، ثم تخفي السلاح في المرأب».

يقول رازباك متمعنًا التفكير: «لقد ذهب الاثنان إلى هناك. يمكن لأي منهما ارتكاب الجريمة. ولدى كلتيهما دافع للقتل. لا يمكننا رفع الدعوى إلا على إحداهما، لأن كل واحدة منهما ستشير بالاتهام إلى الأخرى».

يتراجع إلى الوراء في مقعده، ويسقط طَرف البيتزا من يده محبطًا.

- إن الأمر أشبه بتخطيطهما لارتكاب الجريمة معًا –ارتكاب الجريمة الكاملة.

يسأل جينينجز: «هل نبحث عن دليل لتواطؤ المرأتين معًا، أو عن نية مشتركة للقتل؟».

يجيب رازباك: «لا أعتقد أنه في مقدورنا إيجاد دليل كهذا».

يمعن التفكير للحظات.

- لأنه ما النفع الذي قد يُرجى من ذلك لبريدجيت؟ أما كارين، فهو أمر رائع بالنسبة إليها. تتحرر من تهديد روبرت إلى الأبد، وتفلِتُ من العقاب، بكل سهولة ويُسر. وما الفائدة التي ستعود على بريدجيت حينها؟ لن تحصل على شيء.

يتطلع إلى جينينجز.

- هل ستقدِم على ارتكاب جريمة من أجل صديق؟

- لا، لن أفعل.

يقول جينينجز ذلك، ثم يقترح: «ربما علاقة بريدجيت وكارين تتعدى الصداقة. ربما كانتا مقربتين، وخططتا للتخلص من روبرت معًا. في حين نوم كروب، ليس لديه أدنى فكرة عما يجري حوله».

يميل رازباك رأسه إلى الجانب.

- هذا تفكير إبداعي قليلًا، يا جينينجز.

يهزُّ الأخير كتفيه بطريقة مرحة.

يمسح رازباك وجهه بيده متعبًا، ثم يهزُّ رأسه.

- لكن لا أظنُّ ذلك.

- ولا أنا.

- لا أعتقد أنهما خططتا لذلك معًا. أعتقد أن المرأتين لديهما دوافع متقاطعة.

يعتدل رازباك في جلسته.

- نحتاج إلى استدعاء بريدجيت من أجل استجوابها، لكن لنستدعِ توم أولًا.

الفصل الخامس والأربعون

تتوتر أعصاب توم، عند حضوره من أجل الاستجواب في صباح اليوم التالي. يفضِّلُ وجوده بأي مكان خلاف غرفة الاستجواب بمركز الشرطة. إن الغرفة حارة، كأن مكيف الهواء مُطفأٌ أو معطوب. هل يفعلون ذلك عن عمد، حتى يرونه غارقًا في عرقه من التوتر؟ إنما، بطريقة ما، لا تؤثر حرارة الغرفة في رازباك. يتململ توم في جلسته بعصبية، فيما يباشران استجوابه.

يسأل رازباك، دون إضاعة وقت: «ما هي علاقتك مع بريدجيت كروكشانك؟».

يتضرج وجه توم.

- لقد أخبرتكما من قبل.

- أخبرنا مجددًا.

لا يعلم إذا ما تحدَّثا إلى بريدجيت، أم لا، وماذا من المحتمل أنها قالته لهما. يتوجس أن ما قد تخبرهما به، لن يطابق أقواله يخبرهما مجددًا عن علاقتهما السرية القصيرة، وكيف قطعها.

- اعتقدتُ أن علاقتنا انتهت. لم أكن أتصور أنها ما زالت تحمل مشاعر تجاهي. ولكن بعد إلقاء القبض على كارين، جاءت إلى منزلنا و...

يمسك عن الكلام.

يسأله رازباك بِرَوية: «وماذا بعد؟».

- أخبرتكما زوجتي بالفعل بكل هذا.

يعرف توم ما قصَّته كارين على مسامع المحققين أول أمس، بالتفصيل؛ ذكر له كالفن كل ما صار. عرف توم كذلك أن كارين كذبت على محاميها والمحققين بشأن استعادة كامل ذاكرتها. يتمنى لو أنها لم تكذب.

يقول رازباك: «نريد سماعك تخبرنا».

يتنهد توم بعمق.

- أخبرتني بريدجيت أنها تعقَّبت كارين في تلك الليلة، وإذا لم أعاشرها، فستخبر الشرطة بأنها كانت هناك و...

- وماذا؟

- وأنها سمعتْ طلقات الرصاص، ورأت كارين تخرج من المطعم بعدها مباشرة.

يومئ رازباك مفكرًا: «فهمت. وهل عاشرتها، عندما هددتك بتلك الطريقة؟».

يجيب توم: «أجل».

يعلم أنه يبدو مكفهر الوجه، خجلًا؛ يعرف أنه يحرِّف الحقيقة. يرفع رأسه وينظر في عيني رازباك.

يقول المحقق: «إذن، فقد صدَّقتها عندما أخبرتك أن كارين ارتكبت الجريمة».

يحتَجُّ توم في ارتباك: «لا! لا، لم أصدِّقها. اعتقدتُ أنها تختلق ما تقول، وأنها ستخبر الشرطة بكل أكاذيبها، مما سيسيءُ إلى وضع كارين في القضية».

يتململ توم مضطربًا في كرسيه ويشعر بالعرق يتصبب من وراء قميصه.

يسأل رازباك: «ما ظنُّك في تهديد بريدجيت لك بهذه الطريقة؟».

يجيب توم: «إنها مجنونة، مجنونة، هذا هو السبب! تجلس بجانب نافذتها تراقب كل ما نقوم به. إنها مهووسة بنا، ومغرمة بي. كما لو اختل عقلها، وضيَّقت علينا الخناق بوسيلة أو بأخرى، وصرنا جزءًا من أوهامها».

لا يواجه معضلة في التحدث هكذا، لأن كل ما عبَّر عنه مُروعٌ بحق. كما أطلعهما كالفن على ما وجده الخبراء في المنزل؛ أخبره وكارين بأمر بصمات أصابعها. يميل توم إلى الأمام ويثبت ناظريه على المحقق.

- بتنا نعلم جميعًا أنها كانت تدخل منزلنا في غيابنا. بتنا نعلم جميعًا ما تشير إليه بصمات أصابعها. لا بد أنها ظلَّت لأسابيع، تتسلل إلى منزلنا.

تستلقي على سريرنا، وتتفقد ملابس كارين الداخلية. والآن، حصلت على قصَّة شعر مماثلة لشعر كارين. قُلْ لي، ألا يُعد ذلك جنونًا! أهناك عاقل يفعل ذلك؟

يدرك أنه يلوِّح بذراعيه في عنف؛ فيرجع ظهره إلى الوراء، محاولًا تهدئة نفسه.

يحدِّق إليه رازباك، دون أن ينبس ببنت شفة.

يضيف توم: «منذ أيام قليلة، اعتقدتْ كارين أن شخصًا ما انتزع سدادة عطرها وتركها على منضدة الزينة. ظننتُ أن كارين فعلت ذلك بنفسها. لكن لنخمن من وُجدت بصماته على سدادة العطر؟ إنها بريدجيت!».

يسأل رازباك: «ما ظنُّك في كيفية دخولها المنزل؟».

يقول توم: «حسنًا، فكرتُ في هذا. لقد أعطيتها نسخة احتياطية من المفاتيح عندما كنا على علاقة معًا. وأعادتها بعدها. لكنني أظنُّ أنها زوَّرت نسخة منها قبل أن تعيدها لي».

- ولِمَ لم تغير أقفال منزلك؟

- ولماذا أفعل؟ لم أتوقع حدوثَ أيٍّ من هذا.

إنما وجب عليه فعل ذلك. وجب عليه تغيير جميع الأقفال، بكل تأكيد.

يستمر رازباك في التحديق إليه.

- هل تريد إضافة أمر آخر؟

- أجل. إنها الوحيدة التي بإمكانها وضع المسدس في مرأبنا. لا بد أنها ذهبت إلى المطعم تلك الليلة، كما تقول؛ تتبعت كارين، والتقطت المسدس.

يعتدل توم في جلسته، ويعقد ذراعيه أمام صدره.

- إذن، ألن تعتقلها؟

يسأله المحقق: «نعتقلها بأي تهمة بالضبط؟».

يحدِّق إليه غير مصدِّق. يقول في نبرة ساخرة: «لا أدري، ماذا عن تهمة التحرش، دسّ الأدلة،...».

يقول رازباك: «ليس لدينا دليل على أنها مَنْ وضع المسدس».

يشعر توم بخوف يعتصر قلبه. يسأل في حيرة: «ومن غيرها يمكنه فعل ذلك؟».

- لا أعلم. ربما يكون أي شخص. جاءتنا المكالمة من هاتف عمومي.

يحملق إليه في عدم تصديق، ويتفاقم قلقه. *اللعنة. إذا لم يصدِّق رازباك أن بريدجيت هي من دسَّت المسدس...* يشعر بمعدته تتقلص خوفًا، بينما يرقبه المحقق.

يقول رازباك: «من المرجح، أنه يمكننا اتهامها بالتعدي على ممتلكات الآخرين».

ينهض مضيفًا: «ليست لدينا أسئلة أخرى في الوقت الحالي. لك الحرية في المغادرة».

ينهض توم مترويًا، يحاول حفظ ماء وجهه.

يردف المحقق بأريحية: «من الرائع، أن زوجتك تستعيد ذاكرتها، بين ليلةٍ وضُحاها».

يجمد، ثم يجبر نفسه على تجاهل تعليقه. لن يردَّ عليه.

يقول رازباك: «أوه، هناك أمر آخر. لماذا أرادتْ بريدجيت أن تلتقي بك في ليلة الواقعة؟».

يعود توم ليجلس ببطء. «لقد سألتها، في الليلة نفسها، عندما اتصلتُ بها لمعرفة إذا ما تعرف مكان كارين. سألتها لماذا أرادت مقابلتي، وجعلتني أنتظرها. لكنها قالت لي أن أتغاضى عنه، فلا أهمية له، لأنه طرأ أمرٌ ما».

يتوقف متذكرًا.

- كنت قلقًا على كارين للغاية، ولم أُوَلِّ لكلامها بالًا. لكن لاحقًا...

يتردد في المتابعة. ويحثُّه رازباك: «لاحقًا...».

لا يدري إذا ما يجب أن يخبرهما بذلك أم لا. لكن ماذا لو أخبرتهما بريدجيت؟

- لاحقًا أخبرتني أنها أرادت مقابلتي في تلك الليلة، لتطلعني على أمر الشخص الذي رأته يحوم حول منزلنا صباح اليوم ذاته.

- من هو؟

- لا أعرف على وجه الدقة، إنما مِن وصفها، بدا لي أنه روبرت ترينور.

الفصل السادس والأربعون

ألحَّ بوب على بريدجيت بشأن مرافقتها إلى مركز الشرطة، لكنها لم تسمح له. وعندما عادت إلى المنزل في مساء اليوم السابق، بعد أخذ بصماتها، ظلَّ يطاردها مستفسرًا. لماذا يريدون بصمات أصابعها؟ هل هو إجراء روتيني للشرطة؟ يتطلع إليها كما لو أنه قلق بحال تورطت بأمر جنائي. تتركه يتحرق شوقًا على نار هادئة، ريثما تشرح له سبب أخذ بصماتها كما أُخبرت، أنه من أجل إجراءات استبعادية.

وعندما اتصل المحققان بها هاتفيًّا، بعد ظهر اليوم، وطلبا منها الحضور للإجابة عن بعض الأسئلة –ولم يزل بوب في المنزل، لا يشعر أنه على ما يرام– سألها ما الذي يجري بحق الجحيم. قالت إنها ذاهبة إلى مركز الشرطة لاستجوابها. نظر إليها بالطريقة نفسها مجددًا، كما لو يباغته قلق شديد بشأن أمر ما. وأراد أن يرتدي ملابسه ويمضي معها، لكنها أخبرته أن لا، وأخذت السيارة دون انتظاره. وبهذه اللحظة، ظل حبيسًا في المنزل، ينتظر بقلق. تستمتع بريدجيت بهذا الموقف. بوب يهتم، *أهذا أمرٌ قد يتصوره أحد؟!* يفترُّ ثغرها عن ابتسامة بائسة. لقد فات الأوان. لقد مَضت قُدُمًا بالفعل.

تسجِّل حضورها في مكتب الاستقبال، وعلى الفور، تُصطحبُ إلى حيث غرفة الاستجواب. ويصل المحققان رازباك وجينينجز بمجرد وصولها. بخبرانها عن كاميرا التسجيل. تحبُّ طريقة التعامل التي تلقاها منهما – بعاملانها بودٍّ، إنما باحترام، ويتأكدان من شعورها بالراحة. كما لو تقدم لهما معروفًا. إنها تقدم لهما معروفًا *بالفعل*. حتى أحضرا لها قدحًا من القهوة،

التي قبلتها منهما بسرور. إنهم جميعًا أصدقاء هنا بالمركز، ويعملون لنفس الهدف بالتأكيد. يريدون القبض على القاتل، مثلما تريد تمامًا.

يباشر رازباك الأسئلة: «ما علاقتكِ بكارين كروب، يا بريدجيت؟».

تجيب: «نحن جيران وبيننا صداقة جيدة. إننا أصدقاء لما يقرب من عامين، منذ أن تزوجتْ توم وانتقلت للعيش معه في المنزل المقابل لمنزلي».

يومئ رازباك مشجعًا.

- وما هو شعورِكِ تجاه زوجها، توم كروب؟

تحمر خجلًا دون إرادة منها؛ تنزعج من نفسها حيال هذا الأمر. تمدُّ يدها إلى كوب قهوتها.

تقول، متمالكة أعصابها: «أميل إلى الاعتقاد أننا صديقان».

يسألها رازباك مستوضحًا: «هل أنتما صديقان فقط؟».

تتدفق الحمرة إلى وجهها جِديًّا. ليست متأكدة مما يجب قوله. هل أخبرهما توم عن علاقتهما السابقة؟ وأنهما عادا إلى النوم معًا من جديد؟ بالتأكيد لا. إذا فعل حقًّا، فلا بد أنه لم يعد يخشى أن تخبرهما بدورها، أنها رأت كارين في مسرح الجريمة تلك الليلة. أم أبرمت كارين صفقة ما مع الشرطة؟

تقول: «لماذا توجه إليَّ هذا السؤال؟».

يقول رازباك بنبرة حازمة: «أجيبي عن السؤال، من فضلكِ».

تقول: «لن أجيب عن هذا السؤال».

إنها ليست قيد الاعتقال. ليست مضطرة إلى الإجابة عن أي من أسئلتهما. يقلقها احتمال إخبار توم لهما عن علاقتهما. لا تحبُّ فقدان سيطرتها على ما يجري. يجب أن تتابع بحذر أكبر، وتتحسس طريقها في هذا الاستجواب.

يتغاضى المحقق عن ذلك السؤال.

- أين كنتِ في اليوم الثالث عشر من أغسطس، ليلة حادثة كارين كروب، في قرابة الثامنة والعشرين دقيقة مساءً؟

- لا أتذكر بالضبط.

- حسب أقوال توم كروب، فقد اتصلتِ به في ذلك اليوم وحددتِ موعدًا لمقابلته في الساعة الثامنة والنصف من مساء اليوم نفسه، لكنكِ لم تحضري في الموعد.

تتململ في جلستها، وقد باغتها ما سمعت.

- لماذا أردتِ مقابلته؟

تتطلع إلى رازباك، ثم إلى جينينجز، ثم تعود إلى رازباك مرة أخرى. لا تريد أن تقع في معضلة لعدم ذكرها لهذا من قبل.

- لقد نسيتُ، في الواقع، هذا الأمر، بسبب الحادثة. لكن أجل، في ذلك الصباح، رأيتُ رجلًا غريبًا يحوم حول منزل آل كروب، ويختلس النظر إلى الداخل. اتصلتُ بتوم في المكتب وطلبتُ منه مقابلتي في مساء تلك الليلة.

تتوقف عن الكلام.

يسأل رازباك: «وهل هذا هو ما دعاكِ لتحديد لقاء شخصي معه، في ذلك المساء؟».

توضِّح بريدجيت: «لقد حدث ما هو أكثر من ذلك. تحدَّث الرجل إليَّ، وبدا مُريبًا نوعًا ما. قال إنه يعرف كارين من حياة أخرى. هكذا قال بالضبط. لهذا السبب اتصلتُ بتوم وطلبتُ مقابلته. ظننت أنه أمر مهم يجب أن يعرفه، ولم أرغب في إخباره عبر الهاتف».

- لكنكِ لم تذهبي إلى موعدكِ مع توم كروب يومها. لماذا؟

تتردد. لا تريد إخبارهم بمكان وجودها في تلك الليلة. من الأفضل أن تُدان كارين دون الإدلاء بشهادتها. هذا هو الأفضل من أجلها وتوم ومستقبلهما معًا. ولهذا السبب دسَّت المسدس.

يصرُّ المحقق على الضغط عليها.

- عندما جئنا إلى باب منزلكِ بعد الحادثة، أخبرتِنا أنكِ لم تكوني بالمنزل ذلك المساء، ولذلك لم ترَي كارين خارجة من منزلها. إلى أين ذهبتِ؟

- لا أتذكر.

- أحقًّا؟ لدينا شاهدتان رأتاكِ تقودين سيارتكِ، بعد خروج كارين بدقيقتين بالضبط، وانعطفتِ في المسار نفسه الذي اتخذته كارين قبلكِ.

تبتلع ريقها.

- ووجدنا بصمات أصابعكِ وبصمة كفِّكِ على باب المطعم، الذي عثرنا فيه على الجثة.

يتلاشى اللطف البادي على قسمات وجهه. ويتسلل إليها شعور بالجزع.

يستمر بالضغط عليها.

- بم تفسرين ذلك؟

لا يمكنها التفسير، ما لم تقل الحقيقة. توجست من مواجهتها لهذا.

تقول بسرعة، وعيناها تنتقلان بين المحققين: «حسنًا، سأخبركما الحقيقة. لكن هل أنا بحاجة إلى حضور محامٍ؟».

- أنتِ لستِ رهن الاعتقال. بالتأكيد، يمكنكِ طلب محامٍ للحضور، كيفما تشائين.

تهزُّ رأسها وتلعق شفتيها بعصبية.

- لا، لا بأس. أودُّ أن أخبركما بما حدث بالفعل.

تأخذ نفسًا عميقًا وتزفره.

- كنتُ في المنزل ليلة الحادثة، أتجهز لمقابلة توم، عندما رأيتُها تخرج مهرولة من المنزل. وجدتُ الأمر غريبًا، وكأنما تواجه مشكلة ما، ولأنها تحرَّكت على عجلة من أمرها. لذلك ركبت السيارة وقررتُ تتبعها، بدلًا من مقابلة توم. لقد رأيتُ ذلك الرجل حول منزلهما، في الصباح. وظننتُ أنها قد تحتاج إلى مساعدة، بالإضافة إلى أنها صديقة لي.

تتوقف هنيهة، والمحققان يراقبانها من كثب. شابكت يديها تحت الطاولة وهي تتابع رواية قصَّتها.

- تبعتها حتى هذا الحي المقفر من المدينة. أوقفت سيارتها في ساحة انتظار صغيرة بجوار المطعم، وأوقفت سيارتي في موقف آخر على الناحية المقابلة من الطريق. رأيتها ترتدي هذا القفاز الوردي وبيدها مسدس. اختفت في الجانب الخلفي للمطعم. وعندما تقدَّمتُ منه، سمعتُ ثلاث طلقات نارية. ثم فُوجئتُ بكارين تفرُّ من المبنى وتتجه إلى سيارتها. انتزَعَت القفاز وركبَت السيارة وأسرَعَت مبتعدة.

- ماذا فعلتِ حينئذٍ؟

تأخذُ نفسًا عميقًا آخر.

- اتجهتُ إلى الباب الخلفي ثم خطوتُ للداخل. وجدتُ رجلًا ممددًا على الأرضية، جثة.

تضع يدها على فمها، كما لو ينالها شعور بالغثيان.

- لم أصدق. ارتعبتُ، وركضتُ نحو سيارتي، وعدتُ للمنزل.

تتطلع إلى عيني المحقق الزرقاوين الحادتين مباشرة.

- مكثتُ في المنزل لفترة قصيرة. أتساءل عما يجب أن أفعله. وعندما هاتفني توم وسألني إذا ما أعرف مكان كارين، قلتُ إنني لا أعرف.

تترقرق الدموع في عينيها.

- لم أعرف ما أقوله. لم أستطع إخباره أن زوجته قتلتْ رجلًا.

تذرف دموعها. ويمرر جينينجز علبة مناديل في اتجاهها، وتسحب منديلًا في امتنان.

يوجه إليها رازباك نظرات اتهام، تثير أعصابها.

- لماذا لم تذهبي إلى الشرطة وتخبريهم بما رأيته وبما عرفتِه؟ وأنكِ شاهدة على ما حدث؟ لماذا لم تطلعينا على الحقيقة عندما استجوبناكِ؟

تهمس بريدجيت: «إنها صديقة لي. أعلم أنه وجب عليَّ الإبلاغ، لكنها كانت صديقتي».

- هل التقطتِ المسدس؟

- ماذا؟

تزداد توترًا فوق توترها.

- هل التقطتِ المسدس الذي أوقعتْه على الأرض؟

لا تستطيع البوح بأمر دسِّها للمسدس.

- لا، لم أرَ مسدسًا. لم أرَ شيئًا في ذلك الظلام الشديد. كنتُ مضطربة، وركضتُ هربًا.

- إذن، ألم تلتقطي المسدس وتحمليه معكِ، ثم وضعتِه في مرأب آل كروب لاحقًا؟

يمتقع وجهها وتحاول أن تبدو غاضبة، مدركة أنه وجب عليها انتظار محامٍ.

تصيح محتَجَّة: «لا، لم أفعل. لِمَ قد أتصرف هكذا؟».

- ألم تتصلي بالمركز، ليس مرة، بل مرتين، لتنصحينا بالبحث عن سلاح الجريمة في ممتلكات آل كروب؟

- لا، لم أفعل.

- إذن، إذا راجعنا سجل مكالمات هاتفكِ، ألن نجد تسجيلًا لوقت إجراء هاتين المكالمتين؟

- لا.

- أنتِ محقة، فهاتين المكالمتين، أُجريتا من هاتف عمومي، وهذا أمر تعرفينه جيدًا، لأنكِ أنتِ من أجراها. وقد وجدنا بصماتكِ على هذا الهاتف العمومي.

تُحسُّ بنفسها تذبل، وتهرب الدماء من جسدها. إنها عاجزة عن التفكير باعتدال؛ إنها عاجزة عن التفكير في سبيلٍ للإفلات.

- هل أنتِ مغرمة بتوم كروب؟

تتردد رُغمًا عنها، لجزء من الثانية، منذهلة من السؤال.

- لا.

- أخبرنا أنكِ كذلك.

تقع في حيرة من أمرها.

- كيف أخبركما؟ ماذا قال؟

- يقول إنكِ واقعة في غرامه، وإنكِ حاولتِ ابتزازه، وإنكِ أخبرته بتعقبكِ لكارين، ليلة الواقعة، ورؤيتكِ لما حدث، وإنكِ لن تخبري الشرطة، إذا نام معكِ. أهذا صحيح؟

تستعر بريدجيت غضبًا. كيف يجرؤ توم على إخبارهما، كيف يجرؤ على وصف الأمر بهذا النحو! بالتأكيد، لم يفعل. إنه هو هذا المحقق، هو مَنْ يتلاعب بالألفاظ. تتسمر مكانها ولا تجيب.

- تقول كارين كروب إن روبرت ترينور كان على قيد الحياة عندما غادرَت.

تصيح بريدجيت: «هذا ليس صحيحًا!».

- حسب أقوالها، فقد أوقعَت المسدس والقفاز بجانب موقف سيارتها قبل انطلاقها. بالإضافة إلى، أنكِ التقطتِ المسدس، ودلفتِ إلى المطعم

وأرديتِ روبرت ترينور قتيلًا. ومن ثم، أخذتِ المسدس إلى منزلكِ، لتدسِّيه في مرأبها لاحقًا.

- ماذا؟

تلهثُ بريدجيت، مصعوقة.

- وفعلتِ ذلك حتى تريها تُزَجُّ في السجن، وتستردي زوجها الذي تحبين.

ينكمش رازباك إلى أسفل حتى يقترب من مستوى وجهها. وينظر في عينيها، بعينيه الزرقاوين الرهيبتين.

- نعلم كل ما يخصُّ علاقتكِ مع توم كروب؛ أخبرنا كل شيء بالتفصيل. ونعلم أنكِ تسللتِ إلى منزلهما، وتفقدتِ أغراضهما. توجد لكِ بصمات في كل ركن بالمنزل. ونعلم أن لديكِ نسخة من المفتاح.

تقول بريدجيت، وظهرها متشنج: «هذا كله محض هراء. أحتاج إلى حضور محامٍ، في الحال».

الفصل السابع والأربعون

يسمح رازباك لبريدجيت بالذهاب، لدى علمه أن أول ما ستفعله، هو أن تسعى جاهدة لتجد محاميًا يدافع عنها، كما أنهما لن يستطيعا أن يستخلصا منها أي أقوال بعد. يعود مع جينينجز إلى مكتبه لمناقشة القضية.

يسأله الأخير، فيما يجلسان: «ماذا ترى؟».

يقول رازباك، معبرًا عن إحباطه: «أرى أن هذه القضية بِرُمَّتها متشابكة».

يجلسان في صمت هنيهة ثم يسأل رازباك: «ما رأيك في بريدجيت؟».

- أعتقد أنها امرأة مختلة عقليًّا، كما يقول الزوجان كروب.

- ولكن هل هي القاتلة؟

يميل جينينجز رأسه جانبًا.

- مِن الجائز، أنها القاتلة.

- هذه هي المعضلة.

يتنهد رازباك بعمق، مردفًا: «ما زلت أرى أن كارين كروب هي مَنْ قتلتْ ترينور. لا أستوعب قصتها، ولا مسألة فقدانها للذاكرة، واستردادها كلها فجأة. لا يمكنني تصديق ذلك».

- ولا أنا.

- من اللافت للنظر، كيف لم يتحدث توم كروب عن رؤيته للأمر. أتساءل عما يصدِّقه حقًّا.

يقول جينينجز: «أودُّ لو أعرف أيضًا. لقد انتظر بجوار النهر مثل الأحمق، في أثناء الواقعة بالطرف الآخر من المدينة، دون حجة مُقنعة».

يومئ رازباك.

- ولا أصدِّق أن كارين هربت من روبرت ترينور وأسقطت المسدس من يدها، ثم التقطته بريدجيت ودخلت المطعم وقتلته. لا أستوعب هذا السياق. لا أرى أن ترينور قد يسمح لكارين بالمغادرة، ولا أرى أن بريدجيت قد يخطر ببالها بتلك السرعة، أن تستطلع كل ما يجري بالداخل. بل أعتقد أن كارين أطلقت عليه النار، ورأتها بريدجيت وهي تقتله، وبعدها اغتنمت الفرصة والتقطت المسدس، لتحفظه حتى حين.

يومئ جينينجز متمعنًا فيما يقول.

يتابع رازباك: «في غالب الظن، سترفض المدعية العامة النظر في القضية، وتسقِط الدعوى الجنائية الموجهة ضد كارين كروب. فلن تجد أمامها اختيارًا آخر، وهي تفتقر إلى وقائع موضوعية ترتكز عليها، ما دام هناك شخصان، لدى كليهما دافع مُقنع -كما ليس بين أيدينا، غير دليل مدسوس».

يوافقه جينينجز.

- وعلى هذا النحو ستفلت من العقاب.

- إن إحدى هاتين المرأتين قتلت روبرت ترينور. أعتقد أنها كارين كروب. إنما من يعرف أيهما فعلها على وجه اليقين هما كارين وبريدجيت.

يتطلع إلى جينينجز، مستطردًا: «ويتضح أنهما تعشقان نفس الرجل. لذلك من المحتم أن تغدو الأمور معقدة».

يقول جينينجز: «كم أنا سعيد لأنني لست توم كروب».

***

إن سوزان جريمس مدعية عامة كفءٌ. إنها ذكية وواقعية، ولهذا السبب، يعرف رازباك أنه في خِضَمِّ معركة شاقة.

استعرض حذرًا أوراق القضية أمامها. والآن، يقف بجانب النافذة في غرفة مكتبها، يراقبها فيما تجلس على مقعدها خلف مكتب ضخم. ويجلس جينينجز على المقعد المقابل لها. هذه هي لحظة الحقيقة.

تقول سوزان جريمس: «لا بد أنكما تمازحانني».

يردُّ رازباك: «لا أمزح، مع الأسف».

تقول: «أتعتقد أن كارين كروب هي مِنْ فعلتها؟».

يجيب: «أجل، أعتقد هذا. وأقدّر أنه من الصعب إثبات ذلك».

- من الصعب إثبات ذلك؟ تقصد لا تستحق كل هذا العناء.

تتنهد عميقًا وترفع نظارتها وتفرك عينيها المتعبتين، ثم تتابع: «إن دافع كارين كروب هو الأفضل تصديقًا -لديها دافع قوي للغاية. نعلم أنها كانت بمسرح الجريمة. كما يوجد دليل مادي ضدها بين أيدينا، وشهادة إثبات من تلك المرأة الأخرى. ماذا كان اسمها؟».

يقول رازباك: «بريدجيت كروكشانك».

- إنها شاهدة عيان على وجودها بمسرح الواقعة.

يومئ رازباك. تميل المدعية العامة رأسها، مستطردة: «إنما لدينا بصمات بريدجيت على باب المطعم. ويدعي الزوجان كروب أنها مغرمة بتوم كروب وتحاول أن تُلفق تهمة القتل إلى كارين كروب. ما دليلهما على هذا الادِّعاء؟».

يجيب رازباك: «لم تعترف بريدجيت بوقوعها في حب توم كروب، كما لم تعترف حتى بعلاقتها السابقة معه. لذلك، فإن أقواله ضد أقوالها. لكننا وجدنا بصمات أصابعها في جميع أرجاء منزل آل كروب. وهنا تأتي مسألة المسدس».

تقول جريمس: «بشأن المسدس، هنا تكمن المعضلة الحقيقية. من الواضح أن آل كروب لم يضعاه في مرأبهما. ويمكنهما إثبات أن بريدجيت تركت نصيحة للشرطة، في إشارة إلى وجود المسدس في المنزل، وبصمات أصابعها وُجدت على الهاتف العمومي».

يومئ رازباك.

- بالضبط.

- وبما أنها كانت بمحيط مسرح الجريمة، فمحتمل أنها هي مَن التقطت المسدس.

تمعن التفكير هنيهة طويلة.

- لو أن بريدجيت غادرت مسرح الواقعة بمفردها، واكتفت بالإدلاء بشهادتها، لكُنَّا أثبتنا التهمة على كارين كروب. لو أنها فقط لم تَدُسَّ المسدس، لما اتضح أن بريدجيت لديها دافع مضاد.

- هذه هي المعضلة.

توجه نظرة حادة إلى رازباك.

- أأنت متأكد من أنه لا يوجد دليل على أن المرأتين دبرتا هذه الجريمة معًا؟ ألم تتبادلا علاقة صداقة في وقت ما؟

- بلى، ولكننا لم نعثر على دليل يفيد ذلك.

تهزُّ المدعية العامة رأسها في أسف، ثم تقول: «حتى أقل محامٍ كفاءة، لن يواجه أدنى صعوبة في إثارة شك معقول في دعوى الاتهام. مع الأسف، سنضطر إلى إسقاط الدعوى».

يتطلع رازباك من النافذة، متعكر المزاج، ويعلق: «هذا هو بالضبط ما توقعتُ سماعه منكِ».

الفصل الثامن والأربعون

كم تشعرها العودة إلى المنزل بالغرابة والبهجة بعد ليالٍ مزعجة في السجن. تتمتع برفاهية وَحدتِها من جديد، وبالهدوء، بعيدًا عن المواجهة المستمرة للنظرات العدائية، والروائح الكريهة، والطعام المُريع. إن الأيام القليلة الأولى منذ عودتها أشبه بأفضل عطلة قضتها كارين على الإطلاق. تذهب للنوم في وقت متأخر، تأخذ حمام فقاعات معطرًا طويلًا، تطهي طعامها المفضل. تحبُّ وسائل راحتِها؛ إن حرمانها منها يُعد تعذيبًا لها.

ومن ثم، تأتي الراحة الكبرى. لم يعد هناك اتهام بالقتل يهدد حياتها. ما يزال عليها تحمل مخالفة القيادة المتهورة ومخالفة تزوير هوية. إنما هذه عواقب بسيطة نسبيًّا، بفضل اعتناء جاك كالفن بها.

إن الشعور بالراحة.. مُثيرٌ لِلعجَب حقًّا.

لم تعد تقلق بشأن مطاردة روبرت ترينور لها، وتهديده بقتلها.

لم تعد تقلق بشأن اكتشاف توم، بطريقة ما، هويتها المزيفة.

لا داعي لتقلق بشأن أي دخيل في منزلها. لأنه عُرف من كانت الدخيلة. وهي لن تجرؤ على تكرار فعلتها أبدًا. غُيرت أقفال المنزل. وثُبت نظام أمني جديد، أيضًا، وسيظل يعمل طوال اليوم، حتى عندما يمكثان في المنزل. إنه أمر غير مريح، ومزعج، إنما عليهما احتماله، على الرغم من حصولهما على أمرٍ قضائيٍّ بعدم التعرض أو الاقتراب ضد بريدجيت.

ومن قد يجرؤ على مخالفة أمرٍ قضائي بعدم التعرض؟

تتحسن الأمور بينها وبين توم رويدًا. خشيت في البداية من أنهما لن يقدرا على تجاوز كل ما حدث. لم يعجبه أنها كذبت على الشرطة، وادَّعت تذكرها لما جرى ليلة الحادثة.

سألها، عندما أمسَيا معًا: «لماذا فعلتِ ذلك؟ ما دمتِ لا تتذكرين، لماذا لم تخبريهم بالحقيقة وحسب –أنكِ لا تتذكَّرين؟».

لاحظت استياءه الشديد مما فعلت.

قالت له: «ظننتُ أن الأمور ستجري بنحو أفضل بهذه الطريقة. ظننتُ أن ذلك سيساعدنا».

حملق في وجهها غاضبًا.

- لا أحب الأكاذيب، يا كارين. إنني *أمقتُ الأكاذيب*.

ظلَّ مستاءً، حتى سقط الاتهام عنها. ومنذ حينها، يبدو أنه وضع كل ما حدث وراء ظهره. لا تدري ما يصدِّقه توم حيال مَنْ أطلق الرصاص على روبرت ترينور. لا يتحدثان عن ذلك، خاصة، ما يعرفه هو أنها لا تتذكَّرُ بعد. ومن الناحية الأخرى، يرى بريدجيت غير مستقرة ذهنيًّا. إنه يخشى بريدجيت. يدور ببالها أنه إذا ما صدَّق توم أن كارين هي من أطلقَت النار على زوجها السابق، سيتفهم مبررها ويسامحها. ولن يخاف منها.

ترى أنه ما زال يحبُّها، حتى لو أن حبَّه، صار نوعًا من الحبِّ الحَذر. عندما عادا إلى المنزل معًا، بعد خروجها من السجن، وبمجرد أن تخطَّا عتبة الباب، أغلق الباب بعنف خلفهما، والتفت إليها في صرامة.

قال: «أريد أن نبدأ من جديد».

لم ترَ وجهه بتلك الجدية من قبل. مدَّ يده وجذبها من ذراعها، وقرَّب وجهه منها، وقال: «لا مزيد من الأكاذيب. عِديني، يا كارين».

شدَّد قبضته عليها، بقسوة. حدَّجت عينيه بنظرة مماثلة، قائلة: «أعِدكَ، يا توم، لا مزيد من الأكاذيب. أقسم لك».

قال: «كُشفت كل الأسرار التي أخفيناها عن بعضنا، ويجب أن يبقى الحال على هذا المنوال، دومًا. من أجل كلينا».

وافقته، والدمع يترقرق في عينيها: «أجل. أعِدكَ، يا توم».

قال: «وأنا أعِدك أيضًا».

ثم قبّلها بشوق، قبلة عميقة طويلة.

وبينما تنظّف المطبخ، تفكر في مدى الغضب الذي يعتري بريدجيت، وهي جالسة في مقعدها تراقبهما، فيما تشتغل بالحياكة. لم تسرِ الأمور على رغبتها. مسكينة بريدجيت. كما سمعت كارين أن بوب قد تركها. يا لها من صدمة أصابت بوب، وقتما علم من الشرطة، أن زوجته ظلّت تلاحق الزوجين اللذين يعيشان في المنزل المقابل لها، وسمحت لنفسها بالتجول في منزلهما في أثناء غيابهما، لتلعب لعبة المنزل، وأنها دخلت إلى مسرح الجريمة تلك الليلة، وربما هي القاتلة. كما تشتبه الشرطة أنها دسّت المسدس في مرأب آل كروب. لا عجب أنه تركها. إنها امرأة مجنونة. ربما خاف منها على حياته. ربما يجب عليه أن يخاف. لا يُمكن التكهن بما قد تفعله بريدجيت.

انتهت علاقتها معها، تلك الصديقة العزيزة السابقة. طردها كارين وتوم من حياتهما إلى الأبد. آن لكارين أن تستمتع بحياتها. إنها نالت حريتها، أخيرًا.

***

تجلس بريدجيت في منزلها المظلم الخالي. تحملق في الستائر المُسدلة لمنزل رقم 24، دوجوود درايف. هناك ضوء خافت يومض فيما وراء الستائر، ودفء، وسعادة، تعرف أنها لن تنالها، مهما بلغ توقها إليها، ومهما بلغت قدرتها لتحصل عليها. تحتك إبر الحياكة بعنف ببعضها -تشعر بالمرارة والغضب والحقد.

تسترجع بعصبية كل الأحداث الماضية. لم ينتج عنها إلا أمر واحد جيد، على الأقل -تركها بوب. انتابه الفزع عندما اكتشف ما كان يجرى من وراء ظهره. أمور لم يعِرها انتباهًا قط. وربما لو أنه انتبه لها، لما حدث ما حدث مطلقًا. ومع ذلك، ينشرح صدرها لرحيله عنها. ما أروعها نهاية! لا تحتاج إلى حِرصه وازدرائه. لا تحتاج إلى جواربه الملقاة على الأرضية، ولا فرشاة أسنانه على الحوض. لا تحتاج إلى فوضويَّته، وتلبية رغباته، ووجوده معها في هذا المنزل. ما دام سيستمر في تسديد فواتير المنزل، فهي راضية بتَركِه لها.

إنها راضية بالمكوث بمفردها، في هذه الآونة. إذا لم تستطع الحصول على توم، فلن ترغب بأحد. ستترقب فرصتها المناسبة.

***

تمضي الأسابيع ويتحول الصيف ببطء إلى خريف. تتلوَّن أوراق الشجر بالبرتقالي والأصفر والأحمر، والهواء يصير منعشًا، وبخاصة في ساعات الصباح. وجد توم وظيفة جديدة في شركة محاسبة منافِسة، ويعود للعمل في بناية إدارية شاهقة بوسط المدينة، حيث يزاول عمله بكفاءة باعتباره مديرًا للحسابات، ويتساءل عن فرصة ليصبح شريكًا. ربما في العام المقبل سيخصص وقتًا للعب الجولف.

يرى كارين سعيدة مجددًا، مما يشعره بالامتنان. وهو نفسه سعيد، أو على الأقل، سعيد بالقدر الكافي، بعدما بينت له الحياة ما يمكنها فعله بالسعداء. لن يعيش توم في فقاعة مريحة، من عدم الارتياب، أبدًا، مفكرًا أنه لن يحدث أمر سيئ. بات يعرف الحياة أفضل من السابق. يعتريه القلق أحيانًا من أن بريدجيت ستواجهه، أنها ستأتيه راكضة من منزلها، وشعرها أشعث، وقسمات وجهها وحشية، وتحاول اقتلاع عينيه بإبرة الحياكة.

ينتظران أن تُغرس لافتة في حديقة المنزل المقابل. فبما أن بوب ترك بريدجيت، يأمل هو وكارين أن يجبرها بوب على بيع المنزل والانتقال إلى منزل أصغر، في مكان آخر. استجمع توم شجاعته مرتين، ليتصل به في العمل ويسأله عما يفكر بخصوص المنزل. لكن بوب رفض الرَّد على مكالماته. يخطر بباله بوب أحيانًا، ودومًا ما يجتاحه إحساس بالذنب والندم. إذا لم يعرض آل كروكشانك منزلهما للبيع، فقد يضطر هو وكارين إلى بيع منزلهما. كيف يمكن لهما العيش وبالمنزل المقابل امرأة مجنونة، مهووسة به؟ إنه أمر يوتِّر الأعصاب. يرغب في الانتقال من المنزل حقًّا، لكن هذا ليس موسمًا مناسبًا للبيع، قد يتكبد خسارة كبيرة. أما بالنسبة إلى آل كروكشانك، فمن الأفضل أن يبيعا منزلهما، فهما سيطلَّقان على أي حال، وإلا سيبقى وضع توم وكارين على ما هو عليه، في الوقت الحاضر.

وهو ليس وضعًا مثاليًّا.

الفصل التاسع والأربعون

تودِّع كارين زوجها قبل ذهابه للعمل، وتعود إلى المطبخ لتنهِيَ قهوتها. إنها في مزاج حسن اليوم. لذا، ستستقل القطار متوجهة إلى مدينة نيويورك، لتكافئ نفسها بجولة تسوق. تلملم أغراضها، محفظتها ومفاتيحها وسترتها الخريفية، وتشغِّل جهاز الإنذار بحرص. تتحقق الجهة الأخرى من الطريق. بات سلوكًا تلقائيًّا، هذه الأيام؛ تلقي نظرة على منزل بريدجيت، لترى إذا ما كان خروجُها آمنًا. فهي لا تريد أن تُصادفها بالطبع.

تأخذ كارين الحافلة إلى محطة القطار بوسط المدينة. ومن هناك، ستأخذ القطار السريع إلى نيويورك. تحبُّ القطارات. إن أحد الأمور المفضلة لديها هو التطلع من النافذة، بينما يقطع القطار المسافات، وتفكر وتخطط وتحلم. تتظاهر أن بوسعها الذهاب إلى أي مكان، وأن تكون أي شخص تريد. دومًا ما تغريها الطُرق التي لم تسلُكها.

تشتري تذكرتها وتجول ببصرها فيما حولها، لتتأكد أن بريدجيت لا تترصَّدها، متوارية في ركن ما. تباشر التدقيق. أهي تلك المرأة بجوار المجلات، لكن في ملابس لا تشبهها؟ ترتعش أوصالها. تستدير المرأة، وتدقق كارين في وجهها. لا، إنها امرأة مختلفة تمام الاختلاف. تحاول الاسترخاء.

بعد حين، تجلس في القطار بجوار النافذة. إنه ليس مزدحمًا اليوم، والمقعد بجانبها شاغر. تضع حقيبة يدها، على أمل ألا يرغب أحد في الجلوس عليه. تريد أن تنفرد بذاتها.

خلال الأسابيع القليلة الماضية، استعادت ذاكرتها بالكامل، بصورة متقطعة في البداية، ثم تدفقت بعد ذلك. والآن، أمسى بإمكانها أن تنظر إلى الماضي وتدفع ذلك الباب القذر تفتحه بعين عقلها، وترى كل شيء يتكشَّف أمامها، بالتسلسل الذي حدث به. صدَّق قول الطبيب فولتون؛ لقد عادت ذاكرتها، احتاجت أن تصبر لبعض الوقت فقط.

تراقب المناظر المتسارعة بجوارها، فيما تفكر في توم، وفي مدى حبها له، ومدى ثقته بها. إنها لا تستحقه حقًّا.

إنه لطيف للغاية، لدرجة أنه يصدِّق أيًّا مما تخبره به. إنه يريد حمايتها -أن يصبح فارسها ذا الدرع اللامع. تكاد تتصور أنه لو لم يَمت روبرت، للَاحَقه توم من أجلها، حانقًا عليه بسبب سوء معاملته الرهيبة لها. إنما هي ليست امرأة قد تحتاج إلى رجل لحمايتها. لم تكن من ذلك النوع من النساء قط. بل إنها من ذلك النوع من النساء اللائي يحتاج الرجال إلى حماية أنفسهم منهن. يرسم هذا التصور البسمة على محياها.

إنها تحبُّ توم، تعشقه لدرجة أدهشتها. تتمنى أن تظلَّ على حبِّه بهذا القدر لبقية حياتها. لكن لأنها تحبه، وهو يحبها، لا يعني ذلك أنه *يعرفها*. يدور بخلدها، ما الحبُّ على أي حال، إلا وهم عظيم؟ إننا نقع في حب فكرة مثالية وليست الواقع. يحبُّ توم أن يعتقد أنها المرأة التي يريد. لقد أثبت بنفسه، أنه قادر على التكيف، على نحو لافت للنظر، مع المرأة التي اختار. وهي تحبُّ من تعتقده الرجل المناسب. وهذه هي الحال التي تجري بالعالم كله، حيث يقع الناس في الحب، ويفقدونه، حسب تغير نظرتهم إلى الواقع. هكذا تقول لنفسها، بينما تتطلع من نافذة القطار.

إنها ليست ضحية أحد. إنها ليست امرأة تعرضت لسوء المعاملة أو العنف، ولم تكن مطلقًا. تكاد هذه الفكرة تحملها على الضحك. فإن اليوم الذي قد يرفع أي رجل يده عليها، سيصبح آخر يوم قد يقدر فيه على تكرار فعلته إلى الأبد.

لم يسئ روبرت معاملتها. لقد كان رجلًا لطيفًا بما يكفي، ليس جيدًا للغاية، وليس سيئًا للغاية كذلك. لكنها علمت أنه قد يصبح عنيفًا، لو مسَّتْ يد أحدهم ماله. تورَّط بالعمل مع بعض الأشخاص. واتضح أنه تعلَّم طرائقَ ملتوية للربح. لم تقع في حبِّه. توم هو الرجل الوحيد الذي أحبت. ولم يكن روبرت إلا فرصة سانحة أمامها. لأنها بسبب روبرت، صار لديها صندوق

أمانات في «بنك تشيس مانهاتن» في مدينة نيويورك، وبه أكثر من مليوني دولار نقدًا. هذا هو درعها الواقي. ولن يتمكن من العثور عليها، وإجبارها على العودة أبدًا، بعدما لاقى حتفه. تيقنت من أنه إذا عثر عليها، سيقتلها على فعلتها.

تتذكر، فيما تتطلع من نافذة القطار المتسخة في طريقها إلى المدينة، كيف قابلت روبرت في فيجاس، في ملهى ليلي. رأته وسيمًا ومبالغًا في التأنق -كمَنْ لديه مال ويحب أن ينفقه- بينما لم يملك مالًا وفيرًا. أُخذ بجمالها على الفور. أخبرها أنه يعمل بتجارة التحف. هذا صحيح، إنما سرعان ما أدركت أن عمله في تجارة التحف يمنحه غطاء لعمل من نوع آخر -ليغسل الأموال بدوام جزئي. كارين ليست حمقاء. عاشت معه لفترة من الوقت، تراقب كيف يدير عمله. في بعض الأحيان، يربح الكثير من المال، ويحفظه في خزنة بالمنزل، مخبأة خلف لوحة زيتية لا قيمة لها، في غرفة النوم. لم يخبرها بأرقامها السرية قط. أمضت شهورًا تحاول معرفتها.

تزوجا في إحدى تلك الكنائس المُريعة في فيجاس، حيث يتزوج أناس بائسون، لكنها لم تهتم، فلديها خطة. أصرَّ أن يتزوجا، فوافقت. دومًا ما أتقنت وضع الخطط طويلة المدى. هكذا حققت ما أرادت تحقيقه. إنما إذا تصرفت في ذعر تسوء الأمور. هذا ما تعلمته بالطريقة الصعبة.

ظلَّت زوجة لروبرت لمدة ثلاث سنوات. راقبت من كثب النقود تدخل وتخرج من الخزنة. اكتشفت بعد فترة، أين يحتفظ بالأرقام السرية، التي يغيرها أسبوعيًّا. ومنذ حينها، بدأت بالتردد على مركز الأذرع المفتوحة في لاس فيجاس، لبناء قصة عن زوجة مُعنَّفة. بما أنها صارت مستعدة لفتح الخزنة وأخذ المال، وترك روبرت. كما أدركت أنه لن يبلغ الشرطة عن مال مسروق -لن يمكنه. إنما لم تُرِد أن يأتي بحثًا عنها. لهذا خططت بعناية لانتحارها المزيف، والحياة من جديد بشخصية كارين فيرفيلد. وإذا تعقَّبها، ليسترد ماله، عرفت أنها سينبغي لها قتله. وإذا قُبض عليها، فلديها حجة دفاعية محبوكة، بصفتها زوجة مُعنَّفة.

غير أنه ما كان يجب أن تصل الحال إلى ما وصلت إليه. بل أن تسير الأمور وفق ما أرادت. لقد خططت سابقًا لتلك العاقبة. حصلت على مسدس غير مرخص، حريصة ألا تترك عليه بصماتها أبدًا. وبات لديها قفاز أيضًا. لو لم

تتوتر أعصابها في تلك الليلة، لسارت الخطة بسلام، مثلما قال المحقق رازباك تمامًا، لأفلتت من العقوبة بتهمة القتل، دون شاهد عليها.

لكنها انزعجت لدرجة لم تتصورها، عندما سمعت صوت روبرت تلك الليلة، وعندما جاء الوقت لمواجهته وجهًا لوجه، واضطرارها إلى قتله.. لم تجد الأمر سهلًا كما ظنَّت. لم يكن سهلًا على الإطلاق. لم يسبق لها أن تصرفت بعنف. تتصرف بجشع، جائز، إنما ليس بعنف. بدا متفاجئًا للغاية عندما رفعت المسدس ولوَّحت به في وجهه. ارتعشت يدها؛ كلاهما لاحظ ذلك. لم يرَ أنها قادرة على فعلها. لم تقدر. سخر منها. أوشكت أن تبعد المسدس، وعندها اندفع نحوها، وفي خضم ذعرها -دون أن تقصد- ضغطت الزناد، مرة، ثم مرة، فأخرى. ما زالت تتذكر دفعة المسدس المضادة في يدها، وانفجار الرصاصات النارية في صدره ووجهه. كم أصابها المنظر بالإعياء، ورائحة القفاز المطاطي تخنقها، حينما وضعت يدها على فمها لتمنع نفسها من التقيُّؤ.

لو أنها لم تُصَب بالذعر! لو أنها تمالكت أعصابها، لقادت سيارتها بعيدًا وألقت المسدس في النهر، ولأمكنها أن تعيد القفاز إلى المطبخ وتخبر توم بكذبة بسيطة عن المكان الذي ذهبت إليه. وعندئذ، لعثرت الشرطة على جثة روبرت، واكتشفت هويته، وأن زوجته ماتت قبل سنوات، ولن يتوصلوا إلى أي رابط يربطها -أو كارين كروب- بوفاة روبرت مطلقًا. لو أنها لم تذعر، ولم تسقط القفاز، ولم تتعرض لتلك الحادثة الغبية.

لو لم يكن رازباك ذكيًّا لهذه الدرجة.

ولو لم تتعقبها بريدجيت، السبب الآخر الذي كاد أن يوقع بها.

لم تتوقع حدوث أي من هذا.

لكن بالنهاية، أصابت ما أرادت. إنها في الواقع ممتنة لبريدجيت. فلو لم تُرِد التقرب من توم بذلك التوق، لو لم تتبعها، وتدُسَّ المسدس، لظلت كارين في السجن حتى اللحظة.

ولن يعرف توم حقيقة ما حدث أبدًا، لأن روبرت قد مات.

إن كارين في قمة سعادتها. إنها ذاهبة إلى المدينة للاطمئنان على سلامة ودائعها، وبعدها، ستذهب للتسوق. ستشتري هدية صغيرة من أجل توم. إن

الحياة تجود عليها. كم تحبُّه وتأمل أن تمتد قصة حبهما إلى الأبد، وربما يفكران جديًّا في تكوين أسرة.

ينبغي لها أن تجد وسيلة لكسب المال قريبًا، حتى تستمتع مع توم بالثروة التي بذلت الكثير من الجهد من أجلها -أو ربما جزء منها، بأي حال. إنها على يقين من أنها ستجد تلك الوسيلة.

***

تجلس بريدجيت، وحدها في منزلها الخالي، بجوار النافذة، تراقب وتنتظر، فيما تتحين فرصتها الملائمة. طقطقة احتكاك إبر الحياكة النشطة، هي الصوت الوحيد حولها. إنها في قمة غضبها.

تعرف أن كارين هي مَنْ قتلت ذلك الرجل، ورغم ذلك ما تزال طليقة. أفلتت من عقوبة ارتكاب الجريمة، حتى مع اعترافها بحقيقة ما رأته وسمعته تلك الليلة. حاولت كارين أن تُحوِّل الاتهام باتجاه بريدجيت، لتجعلها تبدو المذنبة. كيف جرؤت.

وبهذه اللحظة، تملك كارين كل ما أرادته بريدجيت. لم تفلت من الاتهام بالقتل فقط، بل ما زال توم بجانبها، مثل الخاتم في إصبعها. هذا هو الذي يظهر عليهما، على الأقل. وربما ليس هو الحقيقة؛ يصعب عليها التحقق من ذلك، من مكانها. تتمنى لو أنها ذبابة على الحائط داخل ذلك المنزل. لكنها تظنُّ أن توم باقٍ على حبِّه لكارين، على الرغم من كل ما جرى. كيف يظل يحبُّها، فيما تنوحُ على حظها، ويخفق قلبها حسرةً، بعد كل ما فعلته، وبعد كل أكاذيبها؟ إنه أمر لا يُحتمل. كيف لا يعرف *أن كارين قاتلة؟ كيف يصدِّقها؟*

تدرك بريدجيت أنها أفسدت الأمر، عندما دسَّت المسدس. وجبت عليها المغادرة دون أخذه معها. إنها شاهدة عيان، وهذا أكثر من كافٍ. لكن كارين أفلتت من العاقبة، وأذلَّتها. أذلَّتها أمام الشرطة وأمام زوجها وأصدقائهما والجميع، واتهمتْها بالقتل، بحجة أنها هي من دسَّتْ سلاح الجريمة، وأنها تلاحقها داخل منزلها. وجَّهت لها مذكرة بالتعدي على ممتلكاتها، ولتزيد الأمر سخافة، حصلت ضدها على أمر بمنع التعرض.

من الواضح أن كارين تظنُّها ليست حاذقة. حسنٌ، سنرى بهذا الشأن.

إن بريدجيت لا تستسلم ولا تدير ظهرها بعيدًا. لديها خطة جديدة. ستجبر كارين على دفع الثمن.

كما أن لديها سرًّا. تبتسم بريدجيت ناظرة إلى ما تحوكه بتأنٍّ شديد: سترة أطفال في أنعم صوف عاجيٍّ فاتح وجدته. بات لديها الكثير من الملابس لتحوكها توجد على حجرها قلنسوة من نفس اللون، وجوارب للسترة. كما انتهت توًّا من حياكة سترة الأطفال الصفراء الفاتحة، التي ظلت تعمل عليها من أجل صديقة لها، وتخلَّت عن تكملتها منذ بضعة أسابيع، فالعمل عليها أثارَ استياءها.

إنما لم تعد تثير استياءها بعد الآن.

تعجبها هذه السترة الصغيرة الرائعة بين يديها وقلبها ملأه الفخر. ترفع عينيها متطلعة إلى المنزل المقابل.

ستجري كل الأمور على النحو المثالي.

غريب في المنزل

حاضر لا يمكنها تذكُّره وماضٍ يأبى تركها.

كانت كارين كروب بالمنزل تُحضر العشاء من أجل زوجها. تتوقع حضوره في أي لحظة. رن الهاتف- إنها المكالمة التي أملت ألَّا تتلقاها أبدًا. هرعت إلى سيارتها، وانطلقت مسرعة نحو أحد الأحياء، التي لم تفكر مطلقًا بزيارته. تمعنت النظر داخل ذلك المبنى المظلم المهجور، وشحذت همَّتها لمواجهة ما هو أسوأ. بعدها، لم تتذكَّر أيَّ شيء.

أُخبرت الشرطةُ زوجَها، توم، أنها تعرضت لحادثة. لا بد أنها فقدت السيطرة على سيارتها، وهي تسرع عبر تلك المنطقة المُقفرة من المدينة.

تشتبه الشرطة أنها ارتكبت أمرًا خطيرًا. رفض زوجها التصديق، لكن أقرب صديقاتها لم تكن متأكدة تمامًا. حتى كارين نفسها لا تعرف ماذا عليها أن تصدق.

تعود للمنزل مع زوجها لتجد أن شيئًا ما قد تغيَّر مكانه. تستمر الشرطة في التشكك والتساؤل بلا هوادة. لا بد أن غريبًا دخل المنزل. بل بات الجميعُ غرباء. كلٌّ لديه أمرٌ مخفي، سرٌّ قد يقتل من أجله.

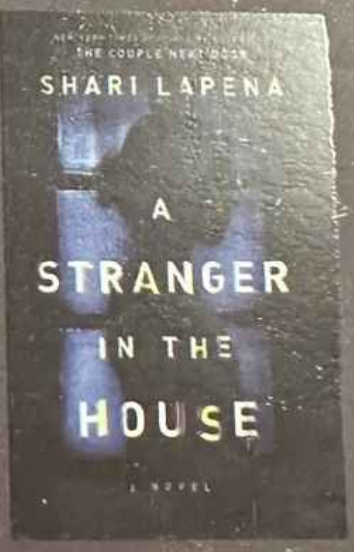

غلاف: عبد الرحمن الصواف

9 789779 922263

عصير الكتب

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb